

جامعة، بسكرة، الجزائر



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة بسكرة الجزائر

العدد: 10

رجب 1435هـ / جوان 2014م

I.S.S.N :2253-0347

رقم الإيداع القانوني: 2012-1695

أنجز بمطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة

ص.ب 145 ق.ر بسكرة 07000 الجزائر

مجلة

علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 10 : رجب 1435هـ / جوان 2014م

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير أ.د عبد الرحمان برفوق إلى :
ص.ب 145 ق.ر. بسكرة 07000 الجزائر

الهاتف / الفاكس : 0021333501260

البريد الإلكتروني : revue.fshs@univ-biskra.dz

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قواعد النشر:

- تنشر مجلة "علوم الإنسان والمجتمع" الأبحاث والدراسات العلمية والفكرية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية وفقا للشروط التالية:
- تقدم المقالات مطبوعة على الورق في نسختين وفي حدود 15 صفحة بصفحات المجلة، مصحوبة بقرص مضغوط وفق برنامج « Microsoft Word » بالنسقين العادي و RTF.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال، اسم الباحث ورتبته العلمية المؤسسة التابع لها(قسم، كلية وجامعة)، الهاتف والفاكس، العنوان الإلكتروني وملخصين للموضوع في حدود مأتي كلمة أو ثمانية سطور أحدهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين الأخرين على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية .
- تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simlified Arabic مقاسه 12 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 14 Gras، العناوين الفرعية Simplified Arabic 12Gras، أما الفرنسية أو الانكليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.

- هوامش الصفحة تكون كما يلي: أعلى 02، أسفل 02، يمين 02، يسار 02، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25، حجم الورقة مخصص (5,1623x).
- تضبط الجداول والأشكال مرقمة ومعنونة وفقا لهوامش الصفحة الأنفة الذكر، و يستحسن أن تعد بالطريقة الآلية أي بالبرامج المخصصة لها.
- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية « Note de fin » على أن تعرض في نهاية المقال بالترتيب التالي: المؤلف: عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة.
- المقالات المرسله إلى المجلة لا ترجع إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.
- يحق هيئة تحرير المجلة إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- كل مقال لا تتوفر فيه هذه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.
- يرسل المقال في قرص مرن مرفقا بنسختين مطبوعتين إلى عنوان الجامعة و البريد الإلكتروني على:

revue.fshs@univ-biskra.dz

المادة التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة تعنى بالدراسات الاجتماعية والنفسية و الاعلامية والتاريخية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د بلقاسم سلاطينية مدير جامعة بسكرة

رئيس التحرير

أ.د عبد الرحمان برفوق: عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

هيئة التحرير

أ.د عبد العالي دبله

أ.د علي آجقو

أ.د نور الدين زمام

إعداد وإخراج

د. عبيدة صبطي

الهيئة العلمية

أ.د علي آجقو، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د سلاطنية بلقاسم، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د عبد العالي دبله، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د زمام نور الدين، جامعة بسكرة، الجزائر
أ.د الطاهر إبراهيمي، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د نصر الدين جابر، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د عبد العزيز علي الخزاعي، جامعة الأردن	أ.د حسان الجيلاني، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د عبد الخالق يوسف الختاتنة، جامعة الأردن	أ.د ديدوي لوساوت، جامعة باريس 8 ، فرنسا
أ.د يعقوب الكندري، جامعة الكويت.	أ.د السعيد فكرة، جامعة باتنة ، الجزائر
أ.د عيسى قادري، جامعة باريس 8، فرنسا	أ.د دحو فغور، جامعة وهران ، الجزائر
أ.د علي قوادرية، جامعة سكيكدة، الجزائر	أ.د ميلود سفاري، جامعة سطيف ، الجزائر
أ.د عبد العزيز العايش، جامعة خنشلة، الجزائر	أ.د مراد بوطيبة ، جامعة أم البواقي
أ.د أشرف صالح محمد سيد، جامعة ابن رشد، هولندا	أ.د عبد الحميد حفال، جامعة عنابة ، الجزائر
أ.د رشيد حمدوش، جامعة الجزائر 2	أ.د الهاشمي مقراني، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر
أ.د / معن خليل العمر، جامعة سيدني، استراليا	أ.د ابراهيم بلعادي، جامعة قالمة ، الجزائر
أ.د/ محمد السيد عبد الرحمان، جامعة المنوفية، مصر	أ.د نور الدين تاويرت، جامعة بسكرة ، الجزائر
د/علا عبد المنعم مصلحي الزيات، جامعة المنوفية، مصر.	د صالح محمد خميد، جامعة الصنعاء، اليمن.

المحتويات

11	الافتتاحية	
الدراسات الاجتماعية		
15	من قضايا التحديث وشروطه (بحث في منزلة التعليم) د/ علي الصالح مولى، جامعة: صفاقس، تونس	01
47	الخطوات الأساسية في البحوث الاجتماعية د/ سامية حميدي، الباحث: عبد المليك حميدي جامعة بسكرة، الجزائر	02
69	دور منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة د/ صباح غربي، أ/ وهيبة غربي، جامعة بسكرة، الجزائر	03
89	الانتماء النقابي والاضرابات في الجزائر دراسة ميدانية للنقابات المستقلة في قطاع التربية د/ منير صوالحية، جامعة تبسة، الجزائر	04
119	العمل: المعنى والمكانة في عالم متغير د/ قويدر سيكوك، أ/ بلهاري الحاج، جامعة مستغانم، الجزائر	05
137	التنمية السياحية المستدامة في الجزائر د/ فضيل حضري، أ/ وهيبة بوربعين، جامعة تلمسان، الجزائر	06
155	البيئة الصحراوية وعلاقتها بالعادات الاجتماعية الغذائية دراسة ميدانية عن البدو الرحل بوادي سوف.	07

	أ/ محمد بن عمارة ، جامعة بشار، الجزائر	
181	حوادث السياقة في الجزائر: وضعها و حدودها (مقاربة سيكواجتماعية لإتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية). أ/ محمد سبع، الباحث: عبد اللطيف بكوش، جامعة الجلفة، جامعة بسكرة، الجزائر.	08
الدراسات التاريخية		
213	دوافع وتبعات اعتداء المستعمر الفرنسي على الأملاك الوقفية في الجزائر. أ/ سفيان شبيرة، المعهد الوطني غليزان المتخصص لتكوين اطارات الشؤون الدينية.	9
الدراسات النفسية و التربوية		
235	إستراتيجية معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة وعلاقتها بصعوبات التعلم. د/ نجيبة بكيري، جامعة جيجل، الجزائر.	10
259	التكنولوجيا الحديثة والبحث في علم النفس العصبي، صعوبات تعلم الرياضيات نموذجا د/ عبد الحفيظ زتشي، أ/محمد أمين حجاج، جامعة الجزائر.	11
الدراسات الإعلامية		
283	الاتصال الشخصي في عصر شبكات التواصل الاجتماعي، ضرورة اجتماعية في عالم متغير. د/ جمال العيفة، جامعة عنابة، الجزائر.	12

دراسات في علوم و تقنيات النشاطات البدنية والرياضية		
313	ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي. د/ عمار رواب، أ/ شوقي قدادرة ، جامعة بسكرة، الجزائر .	13
الدراسات باللغة الأجنبية		
03	Arabism and the Arab Identity Dr .Omar Assous, University of Guelma; Algeria.	14
47	Le match Egypte- Algérie : De l'évènement l'évènementialisation médiatique. Nasreddine Bouziane, Université Constantine 03, Algérie.	15

الافتتاحية

ونحن على مشارف نهاية السنة الجامعية 2014/2013، أردنا أن نقدم لكم العدد العاشر من مجلة علوم الإنسان والمجتمع والذي تضمن العديد من البحوث العلمية المختلفة في مجال الاجتماع والاعلام والنفوس والتربية والتاريخ، آمليين أن نكون قد وفقنا في اختيارها.

ونعد ان شاء الله كل الباحثين الذين قدموا لنا بأبحاثهم والتي تمت الموافقة عليها من طرف لجنة القراءة أن يتم نشرها في الأعداد القادمة بحول الله.

كما نوجه دعوة لكل الباحثين من داخل الوطن وخارجه، للمشاركة في فعاليات المؤتمر الدولي الثاني الذي تشرف عليه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد خيضر بسكرة و بالتعاون مع مخبر التغير الاجتماعي الموسوم بـ الاعلام الجديد وقضايا المجتمع المعاصر تحت شعار التحديات والفرص يومي 26/25 نوفمبر 2014 القادم، الذي يهدف إلى:

1. الكشف عن علاقة الإعلام الجديد بقضايا المجتمع (الاجتماعية، والسياسية، الاقتصادية، والمعرفية...) بين الهالة النظرية وحقيقة الواقع.
2. الوصول إلى التأثيرات النفسية والصحية والاجتماعية لأدوات الإعلام الجديد على مختلف فئات المجتمع.ولفت الأنظار إلى المخاطر المتعددة الناتجة عن إساءة استخدام الإعلام الرقمي الجديد والسعي لبيان بعض تلك الأشكال وتوضيح شيء من مخاطرها.
3. كشف الأدوار والوظائف المستقبلية المتوقعة لوسائل الإعلام الجديد.
4. الخروج باستراتيجيات عملية لترشيد استخدامات كافة المجتمعات لتطبيقات الإعلام الجديد، واستشراف آفاق تطور الإعلام الجديد في ظل التغيرات والأزمات العالمية.

ويطيب لنا في الختام أن أقدم خالص الشكر والثناء والتقدير لجميع الذين شاركوا في تحكيم الأبحاث العلمية من داخل الوطن أو خارجه و هيئة التحرير وجميع من كان لهم الفضل في إنتاج المادة العلمية والتحرير والمراجعة والإخراج النهائي.

رئيس التحرير

البروفيسور : عبد الرحمان برقوق

الدراسات الاجتماعية

من قضايا التحديث وشروطه (بحث في منزلة التعليم)

د. علي الصالح مولى

جامعة: صفاقس، تونس

الملخص:

لا ريب في أنّ الحداثة رؤية فلسفية. وهي ممتنعة عن التأثير في حياة الإنسان الحسية والروحية ما لم تتحوّل إلى سلوك، وما لم تتجلّ في الواقع كأنها ورشة لتحديث جميع مسالك الحياة. وهذا غير قابل للتحقق إنّ لم يحصل عندنا الوعي بأنّ هذا العنصر التحديثي أو ذلك إنّ لم يكن جزءاً من شبكة القيم المؤسسة للحداثة يظلّ عاجزاً عن تغيير نمط حياة المجتمع وغير قادر على الثبات في وجه التحديات.

في هذا السياق تنزّل هذه الدراسة. إنّها محاولة لاستعراض المقدمات/ المعطيات الضرورية لبناء مقاربة نقدية موضوعية لميلاد حداثة عربية شكلية وسطحية. وكانت مسألة التعليم ومشروع طه حسين المستقبليّ بمثابة سندٍ عولنا عليه لاستفراغ المقدمات النظرية في إنتاج فكريّ محدّد.

Résumé

Certes, la modernité est une vision philosophique, mais elle n'a d'impact sur notre vie physique et morale que lorsqu'elle se transforme en comportements concrets et lorsqu'elle se manifeste comme un grand chantier de modernisation touchant tous les secteurs. Et cela ne peut s'effectuer que lorsqu'on serait conscient que nul facteur, soi-disant modernisateur, n'a ni la capacité ni la résistance pour changer le mode de vie d'une société s'il ne faisait pas partie d'un réseau de valeurs fondatrices de la modernité.

Dans cette optique, nous avons essayé d'aborder les données nécessaires pour l'instauration d'une approche critique et objective de la naissance d'une modernité arabe formelle et superficielle. La question de l'enseignement et le projet prospectif de Taha Hussein ont constitué un support significatif dans cet essai.

نحاول في هذا المقال الذي لا يتجاوز أفقه الزمانيّ ثلاثينات القرن العشرين أن نبحث في مسألة محدّدة من قضايا الفكر الحدائبيّ العربيّ وهي مسألة التربية والتعليم. وليس الغرض أن ننظر فيها باعتبارها موضوعاً مستقلاً بنفسه، وإمّا وجّهنا العناية إليها من جهة كونها مبحثاً لا ينفصل عن سائر أسئلة التقدّم والتحديث. فقد انصرف إليها الدارسون انصراف المؤمن بأنّها المقدمّة الأولى لتحرير الثقافة العربيّة من سلبّيّتها وانسحاقها أمام سلطان التراث وسطوة القديم، ولصياغة موقف جديد من الإنسان والوجود ينهض على الاعتراف بأنّ العقل المنفصل من الحدود والقياسات الموضوعية وحده الذي يستطيع أن يشقّ الدروب ويستكشف الآفاق تنويراً وتحريراً وإبداعاً.

ورأينا أن ينقسم هذا العمل إلى مستويات يفضي بعضها إلى بعض: فقد وضعنا قسماً أوّلَ لجملة من المداخل موزّعة بين ما هو معرفيّ عامّ وما هو سياقيّ تاريخيّ وما هو ثقافيّ إشكاليّ. وقدّرنا أنّها مجتمعة تقدّم إطاراً ملائماً لمعقوليّة الصراع بين القديم والجديد. وعمدنا في مرحلة ثانية إلى انتقاء مثالٍ نجري عليه تصوّرنا لكيفيّة حضور هذه المسألة في خطاب التحديث العربيّ.

ولم نر أفضل من "مستقبل الثقافة في مصر" مثلاً على مقاصد التحديث ومناهجه. ثمّ خلصنا إلى البحث في ما يمكن تسميته بفلسفة إصلاح التعليم من خلال علاقات جوهرية بين التعليم والتربية من ناحية، والتربية والثقافة من ناحية ثانية، والثقافة والديمقراطية من ناحية ثالثة لنتهيّ من كلّ ما تقدّم إلى طائفة من التساؤلات حول إمكانات النجاح وحدوده في ظلّ ما يتقلّب فيه العالم بحكم الفضاءات المفتوحة من فرص لإغراء العقل والوجدان أو إغوائهما بعيداً عن فضاءات المدرسة المغلقة.

مدخل معرفي عام

لا خلاف حول تنزُّل مبحث الصراع بين القديم والجديد في سياق فكريّ وحضاريّ وإنسانيّ عامّ نظرا إلى أنّ الإنسان في بُعد من أبعاده كائن ثقافيّ. ولا خلاف بين المختصّين في العلوم الاجتماعية حول دور الثقافة في تحديد منزلة الإنسان في الوجود تمييزا له من غيره من الكائنات. فإذا كانت الثقافة هي ما به ينفصل الإنسان عن مركزيّة البيولوجيّ والطبيعيّ والغريزيّ وما به ينجذب إلى مركزيّة التمثّل والوعي والفهم عموما، فإنّها من زاوية أخرى، عامل حاسم في بروز التمايز بين الجماعات البشريّة بحسب سرعتها أو بطئها في إنجاز عمليّتيّ الانفصال والاندراج.

وهكذا ينتقل الإنسان من مدار الكينونة الثقافيّة بعدا تعريفيا في النوع إلى مدار الفاعليّة الثقافيّة بعدا تعريفيا في الدرجة والكفاءة. ودون الخوض في تفاصيل التعريفات والمدارس المنتجة لها⁽¹⁾، نكتفي بالإشارة إلى أنّ علاقة الإنسان بمحيطه وقدرته على تصنيع أدوات التحكم فيه وإنتاج المعاني لاشتقاق ما يساعده على تطوير مهاراته هي جزء من قصّته في التاريخ وكشّافٌ يُفصح عن حجم المساحات التي روضها والآفاق التي فتحها. ولا عجبَ حينئذ أن يكون التاريخ فضاء تدور فيه مغامرات الإنسان وتتجسّد فيه صنائعه، أي ثقافته. ولا ريبَ في أنّ اكتساب مساحات جديدة مادّيّة أو رمزيّة والسيطرة عليها لا يتمّ دون أنّ تكون المهارات المكتسبة متناسبة مع الجهد المبذول. وهذا من قوانين العمران. فالمجتمعات تترقى وتتطوّر بحسب درجة استعدادها لذلك.

والاستعداد لذلك مشروط بحصول الوعي بأهميّة اقتحام الممكنات البديلة للواقع باعتبارها توفّر وضعيات أفضل لتجويد نمط الحياة. وغالبا ما يكون ذلك مصحوبا باعتراضات وتحديات. فليس كلّ جديد قابلا للتحقق. وليس كلّ قديم قابلا للاستسلام. فالتنازع بينهما يظلّ قائما ما ظلّ كلّ واحد منهما حائزا على معقوليّة ما تبرّر وجوده. ولهذا التنازع بُعد إيجابيّ حين يُضحّي نوعا من

الجدل الناشئ بين المواقف والاتجاهات والمشاريع المتعارضة وذلك باستخدام آليتي النقد والنقض.⁽²⁾

وقد عرف التاريخ في أطواره الأساسية ومقاطعته الكبرى موجات تجديدية هائلة بفضل هذا الجدل. ولعلّ الدراسات المنشغلة بمفهوم القطيعة وتطبيقاته في التاريخ قادرة على بيان قيمة تلك الموجات التجديدية.

يمكن القول بناء على هذا، إنّ حركة التاريخ ليست سهمية الاتجاه بما للسهم من دلالة على الاستمرار المتدفق والسريع للحركة نحو الأمام وإنّ التاريخ لا يتطور بالمراكمة ذات الدلالة الكمية، وإنما ينبنى وجوبا على حركتين متواجهتين: دفع وجذب. وهو إنّ تحرك، فبفضل انتصار حركة الدفع على حركة الجذب. والشواهد في تاريخ الحضارات والثقافات العام التي تستطيع أن تدعّم هذا المعنى يمكن الظفر بها دون عناء⁽³⁾.

وقد برز في تاريخ الإسلام نشاط عقلي وفقهي تأسست بسبب منه المذاهب والفرق والنحل⁽⁴⁾، ولولا الاندفاع إلى تثبيت رأي وتضعيف حجية رأي آخر لما كان هذا الذي حصل. كما نتج عن المناظرات اللغوية والكلامية والفلسفية مساحات رحبة من المساءلة والتطوير والإضافة⁽⁵⁾. وقد يحدث أن يعود الإنسان إلى سيرته السابقة يبحث فيها عن مواطن الوهن ويرسم بها إمكانات التجاوز في ما يشبه الجدل الذاتي⁽⁶⁾.

والحاصل ممّا قدّمنا أنّ الحضارة محكومة في نظرنا بقانون عام تترقى به قيمها وتتطور أو تتكسب به وتنهار وهو قانون الجدل⁽⁷⁾. والثابت أنّ المجتمعات التي لا تحيا الجدل أو لا تبيحه، لا تستطيع أن تحتطّ لنفسها آفاقا في دروب الإبداع والاكتشاف والتحديث، لأنّ الجدل، كما نفهمه، ليس إلّا فعالية العقل وحرية الفكر والجرأة على اقتحام اللامفكر فيه أو الممنوع التفكير فيه.

ولا شكّ عندنا في أنّ الجهود التي بذها المنشغلون بقضايا التقدّم والعاكفون على استنباط أقوم المسالك لصياغة وضع حضاريّ ينتشل العرب

والمسلمين من سلبية حركة الجذب منذ القرن التاسع عشر⁽⁸⁾. لم تكن إلا بعد دهشة وانبهار وقلق وهم يقفون دون سابق معرفة على أوروبا الجديدة التي تحتل قلب العالم وتجتهد لفرض قيمها ونمط عيشها على من قعدت بهم السبل دون إدراك قوانين التمدن وشروطه. وهل الدهشة والانبهار والقلق إلا تعبيرات نفسية وهواجس أولى، ولكنها ضرورية، لانجاس السؤال. وسؤال العرب والمسلمين الذي عاش معهم منذ أن أفاقوا على الحدث البونابرتي المنزل إلى الآن هو "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم؟"⁽⁹⁾.

واتخذ التقليب فيه على ما نرى مسارات ثلاثة: مسارا يحاول أن يفهم سرّ عظمة أوروبا، ومسارا يبحث في كيفية الحدّ من سلطان الثقافة التقليديّة المهيمنة وتركيز أسس ثقافة عصريّة، ومسارا ثالثا يتصدّى للسلفية أولا والأصوليّة لاحقا وما تبثان من خطابات تدفع بالإسلام إلى ساحة المواجهة مع ما تُصوّرانه ثقافةً تغريبية.

مدخل تاريخي-سياقي

إنّ تحقيا لفكر النهضة العربيّة في العصر الحديث يجعلنا أمام اختلافات واضحة بين المهتمّين من المؤرّخين وغيرهم بهذا الشأن. فثمة من يعمد إلى تقسيم مَقطعيّ ينتهي الأوّل منه بانتهاء الحرب العالميّة الثانية، وثمة من يوسّعه فيتوقّف به مباشرة بعد 1967، وثمة من يضيّقه فيجعله بين الحربين العالميّتين. وهناك من يتحدّث عن نهضة أولى ونهضة ثانية... وهي تقسيمات الغرض الأساس منها في تقديرنا، الرغبة في تكوين تصوّر زمنيّ تنعكس عليه ملامح تطوّر هذا الفكر ومدى استيعابه للتحديات.

ولئن كنّا نميل إلى أنّ التحقيب لا يقدّم لنا سيرورة الفكر على نحو موضوعيّ وفعلّ دائما، فإننا نرى وجها للإفادة من توزيع نشاط الفكر العربيّ توزيعا تحقيبيا مخلوطا بنظرٍ في انتقال الفكر من إشكاليّة إلى أخرى. ونروم من هذا المزج بين الزمنيّ والإشكاليّ أن نحتكم إلى قانون حركة التاريخ التي ألمعنا إليها في

المقدّمة السابقة، ونقصد النقد والتجاوز باعتبارهما الدليل الأقوى على فاعليّة العقل.

قادنا هذا المزج ونحن ندقّق في ملامح فكر الإصلاح والتحديث إلى أنّ الفكر العربيّ عرف طوّرين أساسيين: طورَ الوعي بالتخلّف والبحث عن أسبابه ومحاولة الظفر بالخلاص من آفاته. وكان القرن التاسع عشر المدى الزمنيّ الذي تشكّل فيه هذا الوعي وتبلورت داخله أسئلته النهائية. والناظر في ما كتبه أعلام الإصلاح آنذاك يستطيع أن يقع، رغم ما به يختلف بعضهم عن بعض⁽¹⁰⁾. على ما يمكن أن نطلق عليه كليّة فكر القرن التاسع عشر. وطور الحسم الفكريّ مع التخلّف الذي عرفه الثلث الأوّل من القرن العشرين على نحو خاصّ (علي عبد الرازق، الطاهر الحدّاد، سلامة موسى، طه حسين...).

فأمّا الميزة الأبرز التي يتّسم بها الطور الأوّل، فميزة الاقتباس. والاقتباس اشتغال على مفردات التقدّم الغربيّ (العدل، الحرّيّة، البرلمان، القانون...) ينهض على التسويغ الشرعيّ. والتسويغ الشرعيّ بحث عن الأدلّة الشرعيّة التي تبيح جواز التعامل مع منتجات الفكر الغربيّ في الحدود التي لا تتناقض مع ثابت من ثوابت الإسلام.

فما كان مقبولاً من الناحية الشرعيّة جاز أخذه في إطار البحث عن المصلحة. وما لم يكن كذلك وجب تركه. وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ فكر الإصلاح في القرن التاسع عشر كان ينظر في قضاياها من داخل دائرة الثقافة الإسلاميّة المهيمنة. وليس ذلك بمستغرب موضوعياً. فالنخبة القائمة على الإصلاح هي سليلة المؤسسات التعليميّة الدينيّة التي لم يكن ثمة غيرها. والمجتمع مشدود بقوة إلى تقاليده ومعارفه وقيمه. وكلّ هزّ لها (إن كان هناك من هو هياً لفعل ذلك) يعود على المحاولة بعكس ما هو متّظرّ منها. والغرب مازال في الضمير الإسلاميّ الجماعيّ مسيحياً وعدوّاً، وأصداء علومه وثوراته التي انقطع بها عن مسيحيتّه لم تتردّد بعد في المجال الإسلاميّ⁽¹¹⁾.

إنّ ما حدث في القرن التاسع عشر مهمّ من ناحية التأسيس لمشروعيّة السؤال عن التمدّن كيف يكون، وعن الغرب كيف يمكن التعامل معه، وعن القيم المهيمنة كيف يمكن التخفيف من سلطانها على النفوس والسلوك. فصناعة السؤال إذن نشاط عقليّ ووعي، في إطار الممكن التاريخيّ، بالمتحوّلات الكبرى التي قلبت التوازن التقليديّ في العالم. وكانت الأجوبة المتيسّرة في حدود المتاح العقليّ والدينيّ أيضا. ولعلنا لو طالبنا من جيل الرواد بأكثر ممّا قدّموا لطلبنا الوهم لأننا نفترض ما لا تقتضيه شروط اللحظة التاريخية ومعقول التاريخ نفسه.

كان ينبغي إذن أن تنقضي لحظة الصدمة والذهول والخوف والتردد حتّى تتشكّل إمكانات أخرى للإجابة عن ذلك السؤال المركزيّ في تاريخ العرب الحديث والمعاصر⁽¹²⁾. إنّ انقضاء ملابس تلك الأجواء يعني مباشرة البحث في قضايا التقدّم والعلاقة مع الغرب بعيدا عن نزعات الشكّ والتردد وعقليّة التحسين والتقبّيح الشرعيّين.

وأما الطور الثاني الذي قدّرنا أنّه طور الحسم، فهو وإن أقام أصحابه أطروحاتهم على السؤال نفسه (لماذا تقدّم الغرب وتأخّر المسلمون؟)، فقد شهد اشتقاقا لافتا لأجوبة غير التي عرضها مفكّرو الطور الأوّل. لقد بدا الانتقال من فكر الاقتباس إلى فكر الحسم المعرفيّ والإيديولوجيّ ظاهرا في ما يروّجون.

وأما إنّ بحثنا عن الدوافع، عثرنا على دواع ثلاثة: الخروج من زمن الصدمة من جهة، والانطلاق من وعي بالاختلاف القائم بين أوروبا المسيحيّة والغرب التنويريّ من جهة ثانية، وصدور هذا الفكر عن طائفة من الناس وجدوا في أنفسهم وبحكم تكوين بعضهم تكويننا حديثا الجرأة العقليّة للعود إلى ثقافتهم وتاريخهم عود الدارس المنفصل عن موضوعه. وتصبح هذه الدواعي خصائص لصيقة بطور الحسم ومقدّماتٍ لنهج في الفكر لا تقوم فعاليّته على التسويغ. وسنراه يتحرّك في مسارين: مسار في اتجاه الذات (التراث)، ومسار في اتجاه الغرب (الحداثة). وسيعرف الفكر العربيّ والإسلاميّ الحديث بسبب هذين المسارين وما أفرزاه من أسئلة وعرضاه من حلول، لأوّل مرّة، ضروبا من

المناظرات والخصومات. وستكوّن الاتجاهات والنزعات السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة. وسنعرّث بالتالي على رؤيتين أساسيتين تستوعبان كلّ تلك التشقّقات: القديم والجديد/ التراث والمعاصرة/... (13).

مدخل ثقافي- إشكالي

ما نخلص إليه من المدخلين السابقين هو أنّ العرب والمسلمين عرفوا نزعة إصلاحية أولى في القرن التاسع عشر حاولت أن تتعرّف في حدود المتاح المعرفي والتاريخي إلى علل الشرق وأن تفتّح مسالك للإصلاح. لكنّ تلك النزعة لم تستطع، لأسباب موضوعيّة، أن تذهب بعيدا. وعرف العرب نزعة ثانية بعد ذلك أمكن لها أن تنخلع من كثير من الروابط النفسيّة- الثقافية التي كانت تُرهق النزعة الأولى. وقد تكون عبارة "اللحظة الليبراليّة" التوصيف الأكثر دقّة لملامح الطور الثاني ولطبيعة الأفكار التي ينادي بها المنتمون إليه. وكان طه حسين حلقة من حلقات المشروع الليبراليّ العربيّ الأولى. وكان كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" (1937) تنويجا لمجموعة من الأعمال الإبداعية والنقدية والتاريخية (14).

وإذا نظرنا في مجموع ما أنجز، وقفنا بيسر على الوجهة الفكرية والثقافية التي انطلق منها. إنّها وجهة تضع مشروع التحديث في إطار واضح ودقيق وهو الإطار الحضاريّ الغربيّ قديمه وحديثه (15).

وتقطع دون موارد مع الأطروحة الإصلاحية السلفية. وفي هذا السياق تحديدا ستعرف الثقافة العربية المعاصرة جدلا قويا- وإن لم يكن خلافا دوما- بين أهمّ نزعتين إيديولوجيتين، وسترفع كلّ واحدة منهما شعارات وتحشد الحجج دفاعا عنها ما أمكن لها التحشيد (16).

وإذ نخصّص الجزء الموالي من دراستنا للنظر في قيمة "مستقبل الثقافة في مصر"، فلائنا نميل إلى أنّه يتجاوز لحظته الزمانية ويفيض على الإشكاليات المباشرة ليكون لحظة تأسيسية ومفصلية في تاريخ الفكر العربيّ الحديث.

مستقبل الثقافة في مصر أنموذجا

1. ملاحظات أولية:

أ- ظهر الكتاب في أجواء الجدل والصراع التي كنا نستعرض بعض أصدائها، وفي سياق نشاطٍ في التأليف يكشف عن إصرار "الحدائثين" على الماضي قُدمًا في التبشير بأطروحاتهم التنويرية. وعلى هذا الأساس يُعتبر "مستقبل الثقافة في مصر" جزءًا من توجه عامّ وليس معزولا عن الحراك الحيوي الذي تشهده مصر خاصةً وبلاداً عربيةً وإسلاميةً أخرى عموماً.

ب- اختار طه حسين عنواناً ذا إيجازات كثيفة وغزيرة نتوقف عند أهمّها:

*- الكتاب أغلبه في التعليم وأقله في الثقافة. ورغم ذلك، أخذ الكتاب قوته التأثيرية والرمزية من الجزء الأصغر فيه. وهذا يسترعي الانتباه.

*- العلاقة بين التعليم والثقافة علاقة تَضُمَّن واحتواء. فالثقافة تتضمَّن التعليم وتحتويه. وهي في إحدى معانيها الأكثر شيوعاً ما تتميز به حياة الإنسان من سمات ومعان وقيم وعمران وصنائع وفنون وآداب ونحوها كما سبق أن بيّنا. وهكذا يكون طه حسين مُجتلباً مكوّناً من مكوّناتها وجاعلها يَحْتَزُّها حتّى لكأننا أمام تعريف الكلّ بالجزء. ومفاد هذا، القيمة الفائقة التي يوليها طه حسين للمسألة التعليمية.

*- أقام طه حسين العنوان على مفردة مركزية هي "مستقبل" التي يندرج بها الكتاب ضمن التأليف في الدراسات الاستراتيجية المستقبلية. فالكتابة في "المستقبل" كتابة في الاستشراف. والاستشراف علم ينهض على تصوّر تقديري، ولكنه علمي، يخضع لمقدمات ومبادئ وتوقّعات لما سيكون عليه حال مجتمع من المجتمعات في المستقبل.

*- التركيز على الدراسات المستقبلية يشدنا إلى أمر جوهريّ وهو أنّ تفكير طه حسين ومن يتحرك مثله داخل مدار التحديث متّصل بالمستقبل منقطع عن الماضي. وللمستقبل هنا دلالات ورموز منها المغامرة والاستكشاف والنهج على

غير منوال. إنَّ المستقبل على هذا النحو ممكن تاريخيَّ جديد وصناعة لوجود آخر. والحاضر مفترقُ طريقين: فإمّا اتّجاه نحو الماضي لتعزيز سلطانه على المستقبل، وإمّا اتّجاه نحو المستقبل لإثبات جدارته بصياغة الوجود دون تسويغ من الماضي. وهذا التنازع بين الاتّجاهين تنازعٌ بين مشروعين: مشروع إحيائيّ ينبجس من إعادة بعثٍ لزمان ثقافيّ قديم، ومشروع إبداعيّ يقوم على التجاوز والحسم والإضافة في سياق الوعي بأنّ الزمن الجديد الذي تدخله مصر لم يعد فيه القديم صالحاً للإتيان بما يستجيب لمطلّبات الحياة: "...كلّ هذا يصوّر حياتنا العقلية في هذا العصر، ويصوّرنا بعيدة كلّ البعد عن أن تكون ملائمة لحاجتنا أو قل لحاجتنا المختلفة التي نطلبها إلى التعليم"⁽¹⁷⁾.

2- المستقبل والمدرسة

استحضر طه حسين مجموعة من المطالب وقدر أنّه بتحققها تستطيع مصر أن تُضارع الأمم الراقية. ولكنّه رأى أنّ تلك المطالب هي أدخلٌ في باب التحدّيات منها في باب الممكنات. وأبرزها ما تعلن عنه الجمل التالية:

"نحن نريد أن نضارع الأمم الأوروبية في قوتها"⁽¹⁸⁾.

✓ "نحن في حاجة إلى استقلال اقتصاديّ."

✓ "نحن نريد الاستقلال العلميّ والفنيّ والأدبيّ."

✓ "نحن نريد الاستقلال العقليّ والنفسيّ الذي لا يكون إلاّ بالاستقلال العلميّ."

✓ "نحن نريد آخر الأمر أن نكون أحراراً... نريد الحرية الداخليّة والحرية الخارجيّة."

الواضح ممّا نقلنا أنّ هذه الاحتياجات المستقبلية احتياجات ثقافية- حضارية، إنّ أمكن تلبّيّها، فسوف تمتلك بواسطتها مصر القيمَ الضرورية التي بها تندفع نحو تبنيّ روح العالم المعاصر وتحقق وجودها الحيّ والمستقلّ. وواضح أيضاً

أنّ طه حسين أناط الأمر كله بالعقل والعلم. ونستطيع أن نرى يُسر أنه قد وقع تغيب المقيس عليه التقليديّ في هذه المطالب. وهذا أمر مهمّ، فقد كان جمهور المصلحين لا يطمئنّ إلى سلامة ما يطرحون إنّ لم يكن مشروع الإصلاح استعادةً للأجداد السالفة. وربّما أفادت عبارة الاستقلال العلميّ ذاك المعيّب قصّداً، وشدّت جميع المطالب إليها. فالاستقلال" يقطع جميع الصلات التي يرتهن إليها المجتمع والضوابط المتحكّمة فيه. وعلى هذا الأساس، لم تعد القبلة هي العصر الذهبيّ وزمن السلف الصالح. لقد تغيّر المرجع هنا، واستقام في العقل الحدائليّ العربيّ أنموذجٌ آخر هو أنموذج الأمم الأوروبيّة. فما هي آليّة تحقيق الغاية المرسومة؟ يجيب طه حسين في حزم ودون تردّد: "سبيل ذلك واحدة لا ثانية لها وهي بناء التعليم على أساس متين" (19).

هذا الربط العليّ بين الحضارة والتعليم كان إذن وراء تركيب عنوان الكتاب على النحو الذي جاء عليه. وربّما فضلنا أن يكون العنوان أكثر شمولاً وأبعداً إيغالاً في المستقبل وذلك باعتماد مصطلح الحضارة بدل الثقافة: "مستقبل الحضارة في مصر". وليس المجال ههنا يسمح بالوقوف على الفروق بين المصطلحين، فالدراسات في هذا الشأن عديدة وكذا المعاجم المختصة، غير أنّنا نكتفي بالإشارة الخاطفة إلى أنّ الحضارة تتضمّن الثقافة وجوبا مثلما الثقافة تتضمّن التعليم، رغم أنّ بعض المقاربات تذهب إلى أنّ الحضارة تحصيلٌ مادّيّ للثقافة. وأمّا الذي يعيننا من كلّ هذا، فبيان أنّ التيار التنويريّ الذي ينتسب إليه طه حسين جعل من صناعة العقل سبيلا إلى صناعة الحضارة. وناسبت بنية الكتاب هذه الصلة بين العقل والحضارة حيث جاءت في شقين يُعنى أحدهما بالغاية (القسم الأوّل) ويُعنى الثاني بالوسيلة إليها (القسم الثاني).

وتدور الغاية على محاور ثلاثة كبرى:

- معاني التمدّن ودلالاته.
- أنموذج التمدّن ومرجعِيّته.

• القطيعة مع رؤى التقليد ودوائر الانتماء الثقافيّ المهيمنة على القيم والسلوك.

وقد ساقها طه حسين باعتبارها أهدافا ينبغي أن تُستحصَلَ وتوجّهات ينبغي أن تُتَبَّنى. فأما التقدّم، فحركة سهميّة وجهتها المستقبل واندراج في الفضاء المعرفيّ والقيميّ المُستحدَث. وأما قبلته التي لا تُردّد في الانجذاب إليها، فأوروبًا الحديثة بما حققت من نقلات نوعيّة في مختلف مسالك الحياة العقليّة والماديّة والدينيّة. وأما القطيعة، فحسّم عقليّ وروحيّ مع الثقافة التقليديّة. والحسّم، في هذا السياق، موقف ثقافيّ إيديولوجيّ يُبنى بالتناقض الجوهريّ بين اتّجاهيّ التمدن في الثقافة العربيّة، ويكشف عن عنف اللحظة التاريخيّة التي ظهر فيها وحيويّتها في الوقت ذاته. والمتابعُ الكيفيّة التي صاغ بها طه حسين قسّم الغاية يتبته بسهولة إلى المنحى الجداليّ والحجاجيّ الذي طغى عليه.

فهو في مجمله قائم على المناظرة والسؤال والنقد والنقض ممّا يشير إلى أنّ الكاتب كان منشغلا حقًا بأطروحة "المحافظين" الذين يروّجون خطاب التخويف من الانحراط في مسالك العصر الحديث. فالمسألة لا تتعلّق فقط بعرض الأطروحة التي يعتقد صاحبها أنّها مفتاح الخلاص، بل أيضا بما تتلبّس به من طابع بيداغوجيّ ومنهجيّ.

وتكشف صياغة القسم المخصّص للغاية من خلال الأساليب المُستخدّمة عن اعتراف بالصعاب الجمّة التي تنتصب في وجه التحديث في كلّ مكان. فالقارئ حيث يتنقّل في أرجاء الكتاب يستمع، وإنّ من وراء حجاب، إلى لآات المجادل واعتراضاته وإنكاره على طه حسين السير في الطريق الخطأ. صحيح إنّ طه حسين لم يجادل أشخاصا معلومين ولم ينقل عنهم نقلا مباشرا وصریحا وأمینا ما يعارضون به. ولو فعل ذلك لكان أفضل.

وربّما كان الاكتفاء بالأصدقاء علامةً على انتشار ثقافة التقليد بين الناس انتشارا واسعا يعسر به تحديد جهة دون غيرها للردّ عليها. وقد يكون وراء هذا

الاكتفاء رغبةً من طه حسين في التقليل من شأنهم والتهوين من خطرهم. ولا شك في أنه كان مطمئناً، رغم كل ذلك، إلى أنّ المدرسة الحديثة سبيل ناجح لاختفاء ذاك الصدى.

وكان الاشتغال على القسم المُخصَّص للوسيلة مضمياً إلى حدود بعيدة ومتضخماً في حجمه وتفاصيله. ولكنّه التضخُّم الذي لا حشو فيه. فالمتابع له يرى إصراراً بادياً من الكاتب على إغراق الكتاب في التفاصيل الدالة على إلمام كبير بمشكلات التعليم في مصر وعلى امتلاك الحلّ لها جميعاً.

مدار الأمر كلّهُ، كما شخَّصه طه حسين، يكمن أصلاً وأساساً في نوع المدرسة التي يُبنى داخلها العقلُ المصريّ. فمستقبل الأمم تبدأ لحظة الأولى في المدرسة. وقد نظر طه حسين في هذه الوسيلة الخطيرة عبر مستويات متكاملة (التعليم الابتدائيّ، التعليم الإعدادي، التعليم الثانويّ، التعليم الجامعيّ، التعليم العموميّ، التعليم الخاصّ، التعليم الدينيّ، المعلّم، الأستاذ، دور الدولة في الإشراف على التعليم، الإنفاق على التعليم، مبدأ المجانيّة، موضوعات التعليم، طرائق التدريس والتطوير والبحث والابتكار...).

وما كان ممكناً تعميق النظر الحداثيّ في المسألة التعليميّة دون المرور بأسئلة كبرى تنزّل منزلة التحدّيات والرهانات في آن واحد منها: كيف يمكن تخليص العقل من سلطان الأزهر وما يتّصل به من مؤسّسات وهيآت وجهات داعمة؟ وكيف يمكن للمدرسة الحديثة أن تنهض بالمهمّات الثقّال فتفتح نحو العالم الجديد مسلّكاً لا التواء فيه ولا تعثر؟ هذه التحدّيات والرهانات تلخّص قضايا الصراع بين القديم والجديد. وهي في الكتاب لبّه ومداره.

إنّ الحجج التي لا يفتأ طه حسين يراكمها في كامل مساحات الكتاب تؤكّد أنّ مهمّة الانتقال من وضعيّة التخلف الحضاريّ المحكومة بتراث غزير ومخيف ومستبدّ إلى وضعيّة الإبداع والحياة، هي من أعسر التحدّيات وأشدّها تعقيداً. ومن هنا بدا الكتاب نزاعاً إلى استجلاب الدقائق والفروع والجزئيات تماماً كالحاحه على المبادئ والأصول والكلّيات. وكأنّ التحدّيتين تجتاحهم رغبةً في تطهير الحياة

الثقافية كلها وتنقيتها من آثار القديم ورواسبه حتى لا يبقى فيها إلا ما يساعد على صناعة العقل الجديد تمهيدا لدخول زمن جديد.

المدنية والحدثة السياسية

أ- من أجل بديل ديمقراطي:

انتبه المصلحون التحدِيثيون المسلمون في القرن التاسع عشر إلى أنّ سرّاً ما يقبع خلف المدنية الأوروبية. وساقتهم الرحلات إلى بلدان أوروبية كثيرة إلى تقصي ذلك السرّ. فخلصوا إلى أنّ المسألة السياسيّة كانت مفتاح تلك المدنية. وهكذا سيكون مشروع بناء دولة حديثة تنبذ الحكم المطلق وتقوم على العدل نقطة ارتكاز محوريّة في خطاب النهضة وهو يبحث عن المسالك الناجعة للتحديث. وألفينا في هذا القرن الطهطاوي على سبيل المثال منكباً على النصوص الدستورية الأوروبية والفلاسفة السياسيّين انكباباً الراغب فيها الحريص على إجراء كثير منها في الحياة المصريّة. وكذا فعل خير الدين التونسيّ. فالإصلاحات التي عُرفت باسمه أو في عهده تُعني عن كلّ تعليق⁽²⁰⁾.

وألفينا "للتنظيمات" التي جاءت في إطار السعي إلى إدخال ما يلزم من التحسينات القانونيّة للتقليل من عناء الناس وظلم السلطة أنصاراً في أكثر من إيالة من إيالات السلطنة العثمانيّة. وظهرت نصوص ومواثيق ومعاهدات لتسهيل الاندراج في العصر الحديث⁽²¹⁾.

ووجدنا في الثلث الأوّل من القرن العشرين علي عبد الرازق بـالإسلام وأصول الحكم" يخرق اختراقاً نادراً وبديعاً نظريّة الاستخلاف القائمة على ما يشبه التفويض الإلهي.

في هذا السياق يجد كتاب "مستقبل الثقافة" مستقراً له. وهو بذلك ينخرط في معركة كبرى هي معركة الديمقراطية. ويبدو أنّ طه حسين من المفكرين العرب القلائل الذين نظّروا للديمقراطية العربيّة واتخذوها عنواناً مركزيّاً في خطاباتهم التحدِيثيّة. ولذلك نعتبر ما ورد في كتابه على غاية من الأهميّة ليس فقط بسبب

جراً الطرح، ولكن أيضاً للمضامين النوعية التي يحتويها. فإن كان علي عبد الرازق هو من دشّن مسألة فصل الدين عن الدولة ولكن عبر اجتهاد تأصيلي، فإنّ طه حسين هو من دشّن مسألة الديمقراطية دون الحاجة إلى اجتهاد تأصيلي. وإذ نقول هذا، فلائنا إنّ فحصنا بتأنّ موضوعات الاختلاف بين تيارات الفكر العربي الحديث، فالراجع أن نعثر على قواسم مشتركة في هذا الميدان أو ذاك. فالدعوة على سبيل المثال إلى استخراج القطاعات المشرقة في التراث واعتمادها في حياتنا المعاصرة مثلما يرتفع بها صوت الإسلامي، يتبناها العلماني إلا قليلاً منهم (22).

ولذلك ملنا إلى أنّ الاختراق الكبير الذي اقتحم بفضل الحداثيون العرب سياجا سميكا من أسيرة الثقافة العربية التقليدية هو الديمقراطية. ونعتقد بأنّ طه حسين من أولئك الرواد الذين آمنوا بها وقد انصرفوا إليها دارسين منشأها وأعلامها ودورها في صياغة فلسفة إنسانية تنصّر للإنسان.

وهذا المقطع الذي ننتخبه من نصّ في "مستقبل الثقافة في مصر" يظهر بوضوح كلف طه حسين بالديمقراطية كلفاً حتى لكأنها صارت عنده ديناً: "لابدّ من أن يتعاون الشعب والدولة على أن تتجاوز الثقافة الوطنية حدود الوطن فتغذو أما أخرى قد تحتاج إلى هذا الغذاء المصري، وتتصل بأمر أخرى راقية قد لا تكون محتاجة إلى ثقافتنا المصرية، ولكننا نحن محتاجون إلى أن تعترف لنا هذه الأمم بأننا لسنا خاملين... ولا بدّ من أن يتعاون الشعب والدولة على تحقيق الصلة المنظمة الخصلة المنتجة بين مصر وبين الثقافات الأجنبية على اختلافها وتباين لغاتها ومناهجها... ومن المحقّق أنّنا قد نستطيع من الآن أن نشارك في ترقية الحضارة" (23).

نورّع هذا المقطع إلى وحدات صغرى تتلاءم مع مسارات تحديث الحياة المدنية: ننظر أولاً في نوع العلاقة التي أقامها الكاتب بين الدولة والشعب. ونهتمّ ثانياً بدلالة تقديم الشعب على الدولة. ونبحث ثالثاً في مطلب الإفادة قبل الاستفادة.

"الشعب" مصطلح حديثي بلا جدال نتج عن ظهور فلسفة سياسية كدح فلاسفة الأنوار من أجل أن تكون بديلا عن فلسفة الاستلاب التي تمارس بها الكنيسة والإقطاع سلطانيهما في الأرض⁽²⁴⁾. ولم يعرف المجال السياسي العربي والإسلامي هذا التطور الهائل طوال تاريخه. فقد كان مصطلح الرعية المسيحية بالنصوص والقراءات وحده الذي يصوغ معالم الوجود السياسي والديني ويفرض علاقة تبعية واستحواذ بين الحاكم والمحكوم. ونعتقد بأن طه حسين وهو يستخدم هذا المصطلح ينطلق من الوعي الدقيق بما يكتنزه من أبعاد لا يتوفر عليها مقابله الإسلامي. ولعل من أهمها المواطنة⁽²⁵⁾.

وهو بذلك يباشر عملية انقطاع ثقافي حاد عن المجال المعرفي للنظرية السياسية الإسلامية أولا، ولنظومة الوجود والأخلاق التي يتحرك داخلها الفرد والجماعة في الإسلام ثانيا. إن ما يستوقفنا في المركب العنفي "الشعب والدولة" ليس فقط الدعوة إلى تضافر الجهادين المؤسسي والمدني وما يعنيه ذلك من حرص على إنشاء ثقافة سياسية تقلص من صلاحيات الدولة وتمكن هذا المولود الجديد "الشعب" من صلاحيات لم تكن الرعية مدعوة إلى النهوض بها، وإنما يلفت نظرنا على نحو خاص الفكر المنتج لهذه الدعوة. إن هناك رؤية سياسية صاغت هذا الموقف الذي هدف إلى استبدال المفاهيم والمعاني. والخروج من مدار الرعية إلى مدار الشعب رسم، في تقديرنا الحدود الفاصلة بين من يجتهد داخل أطر الثقافة التقليدية ومن يجتهد خارجها.

إن الاتجاه نحو إنشاء مجال الشعب (أطروحة المواطنة) يتجلى كذلك من خلال إصرار طه حسين على تقديم الشعب على الدولة في أكثر من موضع في المركب العنفي الذي انطلقنا منه (الشعب والدولة). فهذا التقديم يشد الأنظار في محيط ثقافي وتاريخي لم يعتد على مجرد التجاور بين الرعية والراعي. إنه يحيل على مقدمات طه حسين الفلسفية ومرجعياته في الإصلاح وهو يعرض الواجبات وحدود عمل كل طرف في سياق تقاسم الأدوار. فلا يمكن إذن أن نفهم تقديم

الشعب على الدولة إلا في ظلّ النظام النيابي وثقافة الاختيار الحرّ. فإن يكون الشعب أولاً، فلأنّ الدولة صنيعته وأداته لحفظ حياته وصون حقوقه.

نحو الآفاق البعيدة جدًا إذن، نرى طه حسين يوجّه "معركة" المدرسة التي يخوضها. فالعمل على إحلال مصطلحات الحياة المدنية الأوروبية في أرض لم تعرف غير ما صنّع لها يقتضي عقلاً جديداً يبيّن بالتدرّج والصبر ثقافةً جديدة. ولكنّ حماسة المندفع إلى الإصلاح الراغب في الثمار أن تنضج حتى قبل الأوان هي التي أغرت طه حسين أن يرى المؤمنين بنهجه في التفكير ينبثون في رحاب الأرض المصرية يزبنون للناس حبّ الديمقراطية: "وسبيل ذلك أن تُعبأ طائفة من المثقفين الذين يحسنون العلم بالنظم السياسيّة... وأن تنبثّ هذه الطائفة في المدن والقرى... لتتحدّث إلى الشعب في مدنه وقراه عن هذه الديمقراطية⁽²⁶⁾.

ربّما وجدنا في هذه الدعوة ما يشبه القفزة البهلوانية في الوعي السياسيّ والرغبة في كسر الشروط الموضوعية لتحوّل الديمقراطية إلى ثقافة أفقيّة عموميّة. ومن هنا نتساءل عن واقعية هذا المطلب الذي يلوح مغرباً وجدّاباً ودالاً على صدق صاحبه في أن يكون في مصر ديمقراطية تصوغ سلوك الناس وأخلاقهم ومعاملاتهم. لكنّنا لا نرى في بثّ الدعاة إليها في المدن والأرياف إلا ضرباً من الحماسة وفورة الوجدان. إنّها أقرب إلى الخطاب الإيديولوجي الذي لا يأخذ في الاعتبار بحقائق الراهن الاجتماعي والثقافي والسياسي منها إلى التحليل التاريخي. فمحتملات الراهن الثقافي تتناقض مع محمول المصطلحات الحدائية. ولذلك، فيها من عناصر الإرباك والتمسك بمخرجات الثقافة التقليدية السائدة ما يدفع بعقيدة التيار الحدائوي إلى أطراف هذا الراهن.

فالوقائع تؤكّد أنّ العرب لم يُقبلوا على الديمقراطية بعد هذا النداء الحماسي. وربّما يتفاجأ الباحث في تاريخ الأفكار بارتخاء المشروع الذي صرف له أنواريو النصف الأوّل من القرن العشرين جهداً كبيراً. فما هو الجابري يكتب بعد نصف قرن كامل من "خطبة" طه حسين: إنّ الذين ينادون بالديمقراطية متّخذين منها

قضية ضرورية وملحة، مع الأسف، فئة صغيرة. هم أقلية قليلة من المواطنين العرب (27).

وكانّ عبارة "فئة قليلة" لم تنجح في تصغير العدد إلى حدّه الأدنى، فاستبدلها الجابري بأخرى فيها تصغير للمصعّر: "أقلية قليلة" في مسعى إلى تسليط الضوء على ضعف المسار الذي تحرك فيه التفكير الحدائّي العربيّ.

ب- التعليم والديمقراطية والمواطنة

يتنزّل مشروع المدرسة الحديثة في أطروحة طه حسين، كما تقدّم، منزلة المركز. وهذا عائد إلى الإيمان بأنّ التحوّلات النوعيّة في حياة الأمم لا تصنعها إلاّ العقول النيرة. وليس من سبيل لبناء العقل المنتج غير سبيل المدرسة الحديثة. إن طموح هذه الأطروحة ينبغي أن يوضع في سياقه الصحيح. فالمدرسة وإن كانت في منزلة مرموقة كهذه المنزلة، فهي، مع ذلك، ليست مطلبا في ذاتها. إنّها طريق إلى إعادة بناء الذهنيّة والوجدان الجماعيّين. والحاصل من ذلك تكوين شخصيّة جديدة ذات هويّة جديدة. ولذلك جاءت في أطروحة طه حسين فضاء مفتوحا على مجالها المجتمعيّ ومقدّمة لتنشئة أجيال تتطلّع نحو المستقبل وتتسلّح بالقيم المساعدة على ذلك.

تضمّنت مقدّمة الكتاب تصوّرا واضحا للعلاقة بين الديمقراطية والحياة العامّة: إنّ النظام الديمقراطيّ يجب أن يكفل لأبناء الشعب جميعا الحياة والحرية والسلم. وما أظنّ الديمقراطية تستطيع أن تكفل غرضاً من هذه الأغراض للشعب إذا قصّرت في تعميم التعليم الأوّليّ وأخذ الناس جميعا به طوعاً أو كرهاً⁽²⁸⁾.

ينخرط هذا التصوّر في إطار الاستعداد لإخراج مصر من ثقافة التقليد والمحافظّة ومن نظام سياسيّ عاجز عن أداء الأدوار التحديثيّة بحكم قصوره الموضوعيّ وبنيتّه التقليديّة إلى عالم تصوّغ أركانه نظرة جديدة إلى الإنسان والعلاقات والقيم. وإذا كان الهدف الأسمى من تلك الصياغة الجديدة هو توفير الحياة والحرية والسلم، فالعبر إلى كلّ ذلك لا يكون إلاّ الديمقراطية. ولكنّ هذه

الديمقراطية لن يتسنى لها ذلك ما لم تتجه العناية إلى المدرسة فتشعر الأبواب عليها ويُدعى إليها أبناء الشعب جميعا. ومن أبى تفرض عليه الدولة الأمر فرضا حتى يكون لهم جميعا من التعليم حظٌ.

والصيغة طوعا أو كرها ذات إيجابات ثقافية واجتماعية خاصة. فإذا كان الإقبال على التعليم طوعا آتيا من عائلات ميسورة ولها في ذلك سنة وتقليد بحكم احتكارها هذا الحق، فالإكراه هنا فضيلة يُنيلها طه حسين أولئك المترددين وأولئك الذين اعتادوا على أن ينال أبنائهم التعليم نزرا من الكتاتيب وأشباهها فلا يحصلون إلا أدنى درجات المعرفة ولا ينفذون إلى مناصب العمل والحياة إلا في حدود ضيقة.

فألية الإكراه تجعل العلم حقًا مشتركًا بين الناس جميعا وتتيح ضربا من المساواة تنعدم بها منازل ومراتب كانت من قبل سبيلا إلى القهر والاستعباد. وحاصل هذا إنَّ التعلّم لا يُطلب لذاته، وإنما هو أفق ضروريّ في اتّجاه حياة أكثر فلاحا. وأما الفصل بين التعليم بخصره في تلقّي العلوم والمهارات، وبين الثقافة الحديثة التي تنهض على الحرية والإبداع واختراق الممنوع، فلا ينتج ما يلبي طموح الحدائين⁽²⁹⁾.

والإصلاحات التي عرفتها نظم التعليم ومؤسساته في القرن التاسع عشر على يد رواد الإصلاح رغم قيمتها التاريخية لم تدرك أهدافا جلية بسبب ضيق أفق العملية الإصلاحية. فقد كانت تكتفي بالتحوير في بعض المناهج تحت باب التجديد أحيانا⁽³⁰⁾.

وكانت أحيانا أخرى تترك القديم وتُنشئ إلى جواره مدارس موازية حديثة⁽³¹⁾، والراجح أنّ غياب الأسس الفلسفية العامة المشرّعة للانقطاع عن القديم كانت المانع الأول لنجاح الإصلاح⁽³²⁾، بل ربّما لو تعلّقت الهمة بتجاوز فكرة الإصلاح نفسها لكانت إمكانات النجاح أكبر. فالإصلاح من داخل العقلية المهيمنة لا يمكن أن يفرز انتقالا جذريا إلى نمط آخر من التعليم. ورغم أنّ

الإصلاح لا يزيد عن كونه فعلا في تحسين أداء القديم وتجويده، فالاعتراض كان شديدا حيثما كان ثمة مسعى في هذا الاتجاه.

وفي هذا الإطار، نعتقد بأن رؤية محمد عبده رغم تماسكها وإمامها بمسألة التعليم إماما دقيقا، تبقى قاصرة عن إدراك الأهداف التي سيرسمها لاحقا الجيل "الحدائي". فبعض المقدمات النظرية التي بنى عليها رؤيته لا جدال حولها: إن ارتقاء الشعوب وتطورها يُقاس بما لدى الأمم من معارف وأفكار. فالأمة ذات البسطة في الأفكار والمهارة في المعارف هي الأقوى سلطانا وهي غالبية على ما سواها من الأمم⁽³³⁾.

وجرأته اللافته في الانتصار للمدرسة لا يمكن إلا تثنيتها: إنشاء المدارس خير من إنشاء المساجد، لأن صلاة الجاهل في مسجد لا خير فيها. ولكن فتح المدارس يقضي على الجهل⁽³⁴⁾. وكان محمد عبده واعيا بأن الجانب العملي والنفعي الذي يُناط بالعلوم يظل محدود الأثر إن لم يكن جزءا من تصور كامل لدور المعرفة في تطور المجتمعات.

فمحمد علي المعروف بأنه باني نهضة مصر الحديثة لم يكن ينظر إلى التعليم باعتباره شرطا من شروط النهضة. كان يتحمس له في حدود ما يقدمه من وظائف مباشرة وآنية: "حقا إنه أرسل جماعة من طلاب العلم إلى أوروبا ليتعلموا فيها، فهل أطلق لهم الحرية في أن يبتوا في البلاد ما استفادوا؟ كلا. ولكنه اتخذهم كآلات تصنع له ما يُريد... ظهر بعض الأطباء الممتازين وهم قليل، وظهر بعض المهندسين الماهرين وهم ليسوا بكثير. والسبب في ذلك أن محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا إلى بعض المصريين⁽³⁵⁾.

غير أن موانع تصريف هذه الرؤية في سياق تجديدي حالت دون إدراجها خارج الإطار الثقافي العام الذي يتحرك فيها مشروع محمد عبده الإصلاحية⁽³⁶⁾. ويمكن أن نقيس على هذا، ما اقترحه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه "أليس الصبح بقريب". فقد كان مستشعرا مركزية المسألة التعليمية في حياة الأمم وواقفا على خطورة تقاعس الدارسين عن التفكير فيها. ومن هنا كان كتابه

بمثابة برنامج في الإصلاح التعليمي والتربوي: "ها أنا ذا متقدّم إلى خوض بحر أرى هول أمواجه قد حاد بعقول كثير من ذوي الألباب، فولّوا عنه مدبرين: وتكلّموا في إصلاحات نافعة من مصالح المسلمين، لكنّها كلّها كانت متوقّفة على هذا المقصد الجديد المغفول عنه، مبدأ إصلاح التعليم"⁽³⁷⁾.

ولا شكّ في أنّ مسعاه إلى إصلاح الجامعة الزيتونيّة كان صادقا. فالجهد الذي بذله كبير. والعناية بجميع قضايا التعليم: معلّمين ومتعلّمين وبيداغوجيا وموادّ وامتحانات... دالّة على ذلك. لكنّ التأمّل في نوع الإصلاح الذي اقترحه والآفاق التي يمكن أن يفتحها يؤدّي إلى نتيجة مفادها أنّ الجوانب الفنيّة/التقنيّة على مشروع الإصلاح كانت طاغية على ما سواها⁽³⁸⁾.

بل ليس من المبالغة الذهاب إلى هذا المشروع لم يتّسع مدهاه وكذا فلسفته ليكون حاضنا لمقومات نقلة نوعيّة في المستقبل. لذلك سرعان ما انطفأ بريقه خاصّة أنّه جاء وقد صارت المدرسة الصادقيّة عنوانا للتحديث في تونس. خارج هذا الإطار الذي بدت فيه الإصلاحات التي عرفتها بعض مؤسّسات التعليم عاجزة عن الوصول إلى الأهداف الكبرى والانقطاع عن الثوابت/المعيقات التي تأسّست في أحضانها، تنزّل أطروحة طه حسين الداعية إلى إحداث فلسفة تعليميّة تتجاوز الفعل التعليمي باعتباره صناعة فنيّة ترمي إلى إكساب المتعلّم جملة من المهارات والقدرات داخل الموقف الثقافي العام المهيمن.

إنّ المطلب البعيد الذي لا تنهض بأعبائه إلاّ مدرسة أخرى غير المدرسة التي بنت الحياة العقلية المصرية هو بناء وطن ومواطن في أفق ثقافة المواطنة التي لم يكن بمستطاع المدرسة التقليدية أن تنخرط فيه لأسباب تاريخيّة وثقافية معقدة. فالعلاقة بين التعليم والحياة العقلية كما تصوّرها طه حسين ينبغي إذن أن تؤدّي إلى نشوء مدار ثقافي ومعرفي يستجيب لمقتضيات الحياة المدنيّة الحديثة التي تقوم بإيجاز على فكرة الوطن بدلالاته الحدائيّة. ونستطيع أن نجعل فلسفة شعار "مصر للمصريين" الذي عرفته الساحة الثقافيّة المصريّة آنذاك الفضاء الثقافيّ

والإيديولوجي الملائم لمشروع المدرسة الحديثة. فقد ولع به طه حسين ولعا شديدا
(39)

وأجراه بكيفية تخدم إدراج مصر في منظومة القيم المتصلة بمفردات الحداثة
السياسية والفكرية والاجتماعية: "ما أظنّ أنّ الأفراد والجماعات إذا خُلّيَ بينهم
وبين التعليم يستطيعون في الظروف الحاضرة التي تحيط بمصر أن يحققوا هذا
البرنامج الخطير، الذي يقوم على تنشئ الوطنية الحديثة في قلوب الأجيال
المقبلة من شباب المصريين⁽⁴⁰⁾ .

صراع العقلانيات

نعتبر مشروع طه حسين إذن انتفاضة جريئة على نمط من الثقافة والتعليم
كان يطبع الحياة المصرية. وإذا تأملنا بعض الملاحظات التي دونها بعض أولئك
الذين عاشوا محنة الانتقال من القديم إلى الجديد وقفنا على القلق الذي يسكن
المجتمع وهو ممزق بين الاتجاهات والمشاريع والإيديولوجيات. فاستمع مثلا إلى
صوتيّ التناقض في الحيرة التي سكنت والد أحمد أمين وهو لا يعرف في أيّ مدرسة
يضع ابنه: "يسأل من يعرفه من موظفي الحكومة فيوصونه أن أبقى في المدرسة.
ويسأل من يعرفه من مشايخ الأزهر فيوصونه بإدخالي الأزهر. ويتردّد ويتردّد. ثمّ
يستخير الله ويُخرجني من المدرسة إلى الكتاب"⁽⁴¹⁾ .

ولكنّ الاستخارة لم تكن لثرضيه الرضى التام. فشيء من الكتاب وثقافته
مازال يجذبه إليها، وبريق المدرسة هو أيضا يجذبه. ولما أعياه السؤال قرّر أن يصرف
ابنه إلى الكتاب نصفًا من الوقت وإلى المدرسة الحديثة نصفًا آخر. وعبر أحمد أمين
صاحب هذه المعاناة عن محتته فقال: "وهو برنامج غريب متناقض الاتجاه سببه أنّ
أبي كان حائرا في مستقبلي، أيوجهني إلى الجهة الدينية فيعدني للأزهر، أو
يوجهني الوجهة المدنية فيعلمني في المدرسة الابتدائية والثانوية. وكنت أدرك
حيرته من كثرة استشارته لمن يتوسّم فيه حسن الرأي. وهم لا يتقدون من
حيرته: فمنهم من يشير بهذا، ومنهم من يشير بذلك، فأمسك العصا من

وسطها. فكان يُعدني للأزهر بحفظ القرآن والمتون، ويعدني للمدارس المدنية بدراستي في المدرسة. وهذا أسوأ حل⁽⁴²⁾.

وما كانت هذه سيرة أحمد أمين الذاتية فقط. كانت سيرة جيل. والاضطراب الحاصل فيها إنما كان بسبب المعركة بين المدرسة مشروعا تحديثيا والكتاب ثقافة تقليدية. واستمرّ التضييق على التعليم الحديث وإن افتك لصالحه بعض المساحات المهمة. فأحمد أمين الذي دخل الجامعة وانقطعت صلته أو كادت بالأزهر تقع عيناه على حضور باهت للمرأة: "شاهدت مرّة ثلاث بنات من قسم الفرنسية، علمتُ أنّهنّ نصف مصريات... فساءلتُ نفسي: هل أعيش حتى أرى طالبات مصريات صميمات في الكلية؟"⁽⁴³⁾.

كان كَمَنُ يحلم. وكان ذلك سنة 1926. وما أشرفت سنة 1933 الجامعية على الانتهاء حتى كان طه حسين يرمى احتفالا بهيجا ويكرم فيه المرأة المصرية الجامعية الجديدة. ولم تكن السيدة سوزان طه حسين مبالغة وهي ترى في التكرام انتصارا للخطة التحديثي في مصر وهزيمة للمحافظين والتقليديين: كان ذلك انتصارا للطفلي (تعني لطفلي السيد) وطه حسين اللذين كانا قد فتحا أبواب الجامعة أمام المرأة المصرية. كان طه حسين يقدم الأربعة من حَمَلَة الإجازة... وكنت أرى... وجوها لم تكن تكظم غيظها"⁽⁴⁴⁾.

وربما صار فسح المجال أمام المصريين جميعا للتعلم مجانا مناسبة للتندر وكأنّ الناس لا يصدّقون الخبر. فقد نُقِلَ عن تاجر بسيط كان يقاوم نفسه وزوجته حتى لا يُنجنا قوله وقد بلغه الخبر: "فُلنات بأولاد يا امرأة، فالآن يسعنا أن نعلّمهم"⁽⁴⁵⁾.

يمكن القول إذن إنّ الاتجاه التنويري في الفكر العربي المعاصر وكما تجلّت بعض أركانه في "مستقبل الثقافة في مصر"، مثل بديلا نوعيا لثقافة استلابية عاجزة عن توفير مستلزمات النهوض وقاصرة عن استيعاب التحوّلات التي انتقلت بها الحضارات الفاعلة إلى التموّج في قلب العالم. فالمدخل إلى بناء ثقافة حديثة لن يكون إلا المدرسة والديمقراطية معا. فهما على النحو الذي تقدّم المؤهلتان حقًا لإحداث اختراق فعلي في سياج القديم وتوابعه. لكننا نتساءل وقد

مرّ على الانخراط في هذا المسار بعضُ وقت: هل يمكن الاطمئنان إلى أنّ التعليم في البلاد العربيّة⁽⁴⁶⁾.

مكوّنٌ أصيل من مكوّنات الثقافة؟ وهل ثمة انتقال حقيقيّ من تصوّر يفصل بين العلم والقيم إلى تصوّر يجعل الإيمان بالعلم جزءاً من الإيمان بالقيم⁽⁴⁷⁾؟.

خاتمة

لاشكّ في أنّ طه حسين من أولئك الذين انبهروا بالأنموذج الأوروبيّ. ولكننا لم نجد هذا الانبهار ذاهبا بصاحبه إلى حدّ إغوائه ومنعه من التفكير في ما تقتضيه الحالة المصريّة من شروط للتحديث. فقد كان يقلّب تقليبا حسنا تاريخ أوروبا الثقافيّ، ويتتبّع عن بصيرة وقادة آليات إنتاجه وتكوّنه، ويستوعب استيعابا حكيما وجريئا مجمل الحركات الاجتماعيّة والسياسيّة والفكريّة التي صنعت أوروبا الحديثة. ثمّ راح بعد ذلك يقدم آراءه صريحة لا التواء فيها ولا لبس من خلال ما رسخ عنده يقينا أنّه سرّ التقدّم.

أهمه خصومه بكونه يمثّل أنموذج المثقّف المنخلع من ثقافته وتاريخه وهويّته. ولكنّ الموضوعيّة تقتضي القول إنّ طه حسين أبان في نصوص كثيرة عن وعي دقيق بالفرق بين التبنّي العقلانيّ الرشيد لمنتجات العقل الغربيّ والتبنّي الاستلابيّ لها. كما كشف في أغلب ما كتب أنّه يفكر داخل مدار آخر غير المدار الذي ينتقده منه خصومه.

ولا يمكن تحرير القول في مشروع طه حسين المستقبليّ على نحو علميّ ما لم يقع استيعاب معقوليّة المدار الحداثيّ الذي ينتسب إليه. ورغم أنّه لم يكن يلتمس سبيل التحديث بعقل تسويغيّ/ مصلحيّ، فقد كان قادرا على أن يناور خصومه الإيديولوجيين فيقدّم إليهم مشروع المستقبليّ وكأنّه محاكاة من حيث المنهج لآلية استنبات المعرفة في الحضارة العربيّة قديما: "نحن بين اثنين: إمّا أن ننكر ماضينا كلّه ونجحد أسلافنا جميعا ونرفض مجد المسلمين الذين أسسوا الحضارة الإسلاميّة، وما أظننا مستعدّين لشيء من هذا، وإمّا أن ننهج نهجهم ونذهب مذهبهم ونأخذ

بأسباب الحضارة الأوروبية في قوّة كما أخذوا هم في قوّة بأسباب حضارة الفرس والروم" (48).

❖ هوامش البحث

(1) نُظر على سبيل المثال:

- Denys Cuche, La notion de culture dans les sciences sociales, éd. La Découverte, Paris, 2010.
- René Girard, Les origines de la culture, éd. Fayard, Paris, 2011.

(2) اهتمّ عبد المجيد البدوي بهذه المسألة في مواطن من أطروحته "مواقف المفكرين العرب من قضايا النهضة في العالم العربيّ من مطلع القرن إلى موقى الستينات"، منشورات كليّة الآداب، متّوبة، تونس، 1996، انظر الباب الثاني: النقض والنقد.

(3) من الأمثلة على هذا الجدل/ الصراع، العلاقة بين العلمانيّة حلما في أوروبا والواقع الصداميّ الذي تنزّلت فيه. راجع على سبيل المثال:

Henri Pena-Ruiz, Histoire de la laïcité: Genèse d'un idéal, éd. Gallimard, Paris, 2005.

(4) يمكن العودة لمزيد التوسّع إلى كتاب هنري لاوست:

Les schismes dans l'islam, éd. Payot, Paris, 1977

(5) نشير مثلا إلى الغزالي وابن رشد، ومحمّد عبده وهانوتو، وعلي عبد الرازق والأزهر.

(6) نقصد ما يُعرف بالنقد الذاتي. وقد ظهرت كتابات في هذا المنحى أكثرها شهرة كتاب علاّل الفاسي "النقد الذاتي" وكتاب صادق جلال العظم "النقد الذاتي بعد الهزيمة".

(7) عبّر المهتمّون بقضايا الفكر العربيّ عن الجدل بصياغات متنوّعة منها على سبيل المثال "نحن والتراث"، "الإسلام والحداثة"، "الدولة والدين"، "الإسلام والعلم"...

(8) لم نعتبر العمل الذي قامت به حركات الإصلاح السلفي قبل هذا التاريخ مدشنة زمنًا ثقافيًا جديدًا لأنّ الجهود المبذولة لم تتجه إلى استحداث آفاق نوعيّة تخترق نظام القيم والفكر السائدَيْن. لقد كانت إمعانًا في الاتّصال بها تحت باب تصحيح الإسلام وتهذيب السلوك من المُحدّثات والبدع. والوهابيّة المثال الأبرز في هذا المجال. والجدل الذي أثارته لم يكن دافعًا لإنتاج موقف ثقافيّ مغاير. للتوسّع في هذا الجدل، نحيل على دراسة عبد الرزّاق الحَمّامي التي اهتمّ فيها برود التونسيّين على الوهابيّة: "من قضايا الفكر الدينيّ بتونس في القرن التاسع عشر" المنشورة ضمن كتاب له يحمل العنوان نفسه، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1992.

(9) وهي الصياغة التي استقامت عنوانًا لكتاب شكيب أرسلان.

(10) كأن يُجعل من الطهطاوي مثلاً رائداً للبراليّة ومن محمّد عبده سلفيًّا متنوّراً.

(11) تنبغي الإشارة ههنا إلى أنّ الغرب الحديث قدّم نفسه إلى الإسلام من خلال حملته الشهيرة على مصر غازياً وعالمًا في ذات الوقت. ولا شكّ في أنّ المسلمين وجدوا أنفسهم في أجواء الصدمة بين خوف من جبروته ورغبة في الحصول على ما عنده من منافع. وهذا ما عقّد كثيراً على العقل العربيّ والإسلاميّ الحديث عمليّات التواصل معه. ولو عرف المسلمون الغرب الحديث بعيداً عن هذه الأجواء لكانت المسالك إلى التمدّن أكثر انفتاحاً.

(12) أنتجت تلك الأجواء ضرباً من الفوضى المعقولة في الإجابة تجلّت في البناء التركيبيّ المصطنع غالباً لفكر النهضة. لقد وجدنا باستمرار إقبالاً على الغرب والإسلام معاً انطلاقاً من اجتهاد لا يتخطّى كثيراً مبدأ التحسين والتقييح. وكلّ ذلك في إطار البحث عن المسوغات. وقد عرض المفكّر الباكستانيّ فضل الرحمان عرضاً مركزاً خلاصة هذا الطور فقال: "إنّ الضغوطات التي مارستها قوى التغيير الاجتماعيّ... أدّت إلى خلق وضعيّة جرى فيها تبنيّ بعض الأفكار الغربيّة الأساسيّة الحديثيّة إضافة إلى العديد من المؤسسات والدفاع عنها من قِبَل بعض المسلمين والثور في أغلب الأحيان على تبرير قرآنيّ لها، ولكنّ الرفض القاطع والكلّيّ للحدّات ظلّ هو دين الجميع ممّا جعل إنتاج الأدب التبريريّ للإصلاح والذي حلّ محلّ تمجيد الذات لا ينضب، الإسلام وضرورة التحديث: نحو إحداث تغيير في التقاليد الثقافيّة، ترجمة إبراهيم العريس، دار

الساقي، لندن، 1993، ص ص 12-13. وراجع في السياق نفسه الملاحظات التي ساقها هشام جعيط في كتابه أزمة الثقافة الإسلامية، دار الطليعة، بيروت، 2000، ص ص 136-139.

(13) من الأمثلة الدالة بوضوح على الخصومة الفكرية بين القديم والجديد في إطار النقد والنقض، معركة الكتابة بين طه حسين والخضر حسين. فقد كتب الأول في الشعر الجاهلي وردّ الثاني بـ "نقض كتاب في الشعر الجاهلي". ولك أن تقع على أجواء المعركة نفسها بين علي عبد الرازق والخضر حسين. فقد كتب الأول: "الإسلام وأصول الحكم" وردّ الثاني بـ "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم"، راجع عرضاً دقيقاً لهذا التنازع وأبعاده في أطروحة البدوي، مرجع سابق. ولا شك في المناظرة الشهيرة بين محمد عبده وفرح أنطون تنتزل في هذا السياق أيضاً.

(14) نكتفي بالإشارة إلى أنّ من الأعمال الأولى التي انخرط فيها طه حسين بعد عودته من الدراسة في باريس:

- تدريس التاريخ اليوناني والرومانيّ.
- تأليف كتاب آلهة اليونان سنة 1919.
- ترجمة كتاب أرسطو: نظام الأثينيين.
- الشروع في نشر فصول من كتابه قادة الفكر. واللافت أن الحيز الأكبر من هذا الكتاب مخصّص لليونانيين.

(15) نشير إلى إيمان طه حسين بأنّ الغرب الحديث لم يمرّ بالتراث العربيّ الإسلاميّ مروراً حقيقياً كما هو شائع. وليست إلاّ العودة إلى أصوله القديمة التي هيأت له أسباب التقدّم. بل إنّ تلك الأصول كما يراها طه حسين هي التي صاغت العقل الإنسانيّ ومهدت لتطوّره ورفيّه، انظر موقفه هذا في مقدّمة كتابه: "قادة الفكر".

(16) الأمر اللافت حقاً هو أنّ إعلان إسقاط النظام الخليفيّ لم يلق من يتصدّى له من علماء الدين وجمهور المسلمين تصدياً يمنع الحادثة من التحول إلى حدث تاريخيّ كبير في تاريخ المسلمين المعاصر. ولا شكّ عندنا في أنّ أمر الإسقاط الذي أصدره مصطفى كمال أتاتورك لم يكن يحتاج إلى جهد كبير لإقناع الضمير الإسلاميّ بالأمر، إذ يبدو أنّ انهياراً ذاتياً كان متحققاً في الواقع

اليوميّ وكان يكفي التعبير عنه بمرسوم سياسيّ. لكنّ السؤال الأساس هنا هو: هل كان أمر الإسقاط والحدوث دون احتجاج في مستوى الحدث علامة على انتصار حقيقيّ للاتّجاه العلمانيّ والتحديثيّ في البلاد الإسلاميّة؟ فإن كان ذلك كذلك، فلم لم تشهد البلاد العربيّة والإسلاميّة لاحقاً ثمار هذا الحدث، خاصّة وأنّ المعركة بين القديم والجديد هي في جوهرها معركة بين العقل الدينيّ والعقل المدنيّ؟ وهل يمكن تفسير الإسقاط دون الاحتجاج المتوقّع قيامه بتعبير الوجدان الإسلاميّ عن نوع من الشماتة إزاء السلاطين العثمانيين وليس إزاء ثقافة الاستخلاف نفسها؟ وألا يبدو أنّ أولئك العلماء الذين كآتهم كظموا الغيظ وهم يرون ما فعل أتاتورك سيستقمون منه من خلال عدوانهم الشرس على واحد من بني جلدتهم وهو علي عبد الرازق. ومن هنا، نستطيع أن نقول إنّ الحدث كان حدثاً تاريخياً كبيراً فعلاً غير أنّه لم يكن حدثاً مفصليّاً في التاريخ المعاصر لأنّ العرب لم يعيشوا انتقالاً جوهرياً ونهائياً إلى الحياة المدنيّة بكلّ محمولها السياسيّ والثقافيّ والاجتماعيّ. ولعلّ البلد الوحيد الذي جنى شيئاً من ذلك هو تركيا البلد الذي انقلب على مجاله الإمبراطوريّ والدينيّ وألغى الخلافة. لقد عاش العرب والمسلمون إذن مظهراً علمانياً زائفاً ولم يكن صمت المحافظين ضعفاً ولا هزيمة.

(17) مستقبل الثقافة في مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973، ص 86.

(18) وفي هذا الإطار يُفهم طموحه الذي أثار على وجه التجنيّ احتجاجات حادّة: "...أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرّها، حلوها ومرّها، وما يُحبّ منها وما يُكره وما يُحمد منها وما يُعاب، نفسه، ص 54. وتأمّل كيف هذا بعد ذلك زكيّ نجيب محمود حذو طه حسين وربّما استخدم مفرداته وذهب بها بعيداً في التعلّق بأوروبّا الحديثة: "إنّه لا أمل في حياة فكريّة معاصرة إلّا إذا برتنا التراث بتراً، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علماً وحضارة ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم... بل إنّي تمثّيت عندئذ أن نأكل كما يأكلون، ونجدّ كما يجدّون ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون على ظنّ منّي أنتذ أنّ الحضارة وحدة لا تتجزأ، فإمّا أن نقبلها من أصحابها... وإمّا أن نرفضها، تجديد الفكر العربيّ، دار الشروق، القاهرة، 1980، ص ص 9-11.

(19) نفسه، ص 60.

(20) من ذلك إنشأؤه المدرسة الصادقية سنة 1875.

(21) راجع في هذا الصدد دراستنا: الإصلاح السياسي والتشريعي في القرن التاسع عشر.. دراسة في السياق والأفاق، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، 9/ 2013.

(22) فهذا سمير أمين العلماني الماركسي يقول: أرجو الأخذ بما يكون في تراثنا ذا طابع تقدّمي مثل ابن رشد وابن خلدون. وأرجو تطويره للملاءمة ظروف العصر. وأرفض ما أعتقد أنه ذو طابع رجعي مثل الغزالي، من مقاله إشكالية الديمقراطية في الوطن العربي، منشور ضمن كتاب أزمة المجتمع العربي، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985، ص 150. وذاك محمد عمارة السلفي الغارق في التراث تستمع إليه فتخال نفسك لا تستمع إليه وهو يدعو إلى أن يتم إحياء الصفحات التي انتصرت للمنهج العلمي في التفكير ويطلب أن نيسر للجوانب المتقدمة والعقلانية والثورية من هذا التراث سبل الوصول إلى جمهور أوسع من المثقفين والقراء لأنها تحتوي على الطاقات الخلاقة والحركة التي نريد لها أن تعمل في دفع الأمة على طريق التقدم إلى الأمام، نظرة جديدة إلى التراث، دار قتيبة، دمشق، 1988، ص 44 و ص 23.

(23) نفسه، ص 452.

(24) لم يكن ظهور الشعب بدلالاته الحديثة خارج دائرة فلسفة الانتصار للفرد باعتباره موجودا في ذاته ولذاته وانطلاقا من مبادئ أساسية أبرزها الحرية. يمكن لمزيد التوسع العودة إلى جورج بوردو (Georges Burdeau) في كتابه « Le libéralisme » طبعه Seuil سنة 1979، راجع خاصة ما جاء تحت عنوان L'individualisme ص ص 88-117. ونحيل كذلك على كتاب لويس ديمون (Louis Dumont) انظر الفصل الأول من الباب الأول على نحو خاص المعنون ب: Genèse في كتابه:

Essais sur l'individualisme : une perspective anthropologique sur l'idéologie moderne, éd. Seuil, 1983.

(25) للتوسع في تاريخية المواطنة ودلالاتها وموقعها في الثقافة المدنية الحديثة نحيل على:

Paul Magnette, La citoyenneté : une histoire de l'idée de participation civique, éd. Bruylant, Paris, 2001.

(26) طه حسين، كلمات، دار العلم للملايين، القاهرة، 1985، ص 21.

(27) الجابري، وجهة نظر، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، 1992، ص 120.

(28) راجع عن كيفة تعاطي المسلمين مع المسألة التعليمية الملاحظات الجيدة التي ساقها حمادي الرديسي تحت عنوان: Un milieu éducatif défailant في كتابه المذكور سابقا، ص ص 162-178. كما يمكن العودة إلى عرض مفيد لتصور المسلمين للتربية والتعليم قدمه فضل الرحمان تحت عنوان "التربية خلال عصر الإسلام الوسيط"، من الفصل الأول من كتابه الإسلام وضرورة التحديث، مرجع سابق. ويمكن العودة كذلك إلى رضوان السيد في كتابه الإسلام المعاصر: نظرات في الحاضر والمستقبل" دار البراق، تونس، 1990، فصل نظم التربية والتعليم، كما يمكن العودة إلى الفصل السادس الذي عقده ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان "في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه"، المجلد الثاني، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس/الجزائر، 1984.

(29) نسوق في هذا الصدد مثلا ضربه رضوان السيد لبيان الفرق بين التعليم باعتباره مهارة واستعدادا لتلقي العلوم العصرية، و التعليم باعتباره ثقافة داخل رؤية شمولية: "أذكر أن الأول بكلية الطب بألمانيا الغربية في الجامعة التي كنت أدرس فيها كان شابا سعوديا، ولكنه حرص في حفل تخرجه وبحضور رئيس الجامعة وعمدائها، على القول إنه يؤمن بالتكنولوجيا الحديثة، ولكنه يؤمن أكثر بالإسلام. ولأنه ليس في الإسلام تصريح بكروية الأرض، فليس هناك ما يدعو للإيمان أو الاقتناع بذلك، الإسلام المعاصر: نظرات في الحاضر والمستقبل، ص 78.

(30) انظر في هذا الصدد على سبيل المثال الفصل الثالث من كتاب كمال عمران الثقافة الإسلامية: مظاهر من التجريب والتجريد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1992، راجع خاصة ما اتصل بإصلاحات محمد عبده وعبد الحميد بن باديس، ص 145 وما بعدها. ويقدم لنا مقال محمد سويسي في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة، بالفرنسية) فلسفة التعليم بالمدرسة الصادقية ويظهر طموحها إلى إنشاء حالة علمية - اجتماعية حديثة غير أن عقبات عثرت مسيرة هذه المدرسة وحرمتها من إدراك بعض أهدافها.

(31) المثال على ذلك المدرسة الصادقية بتونس التي تأسست سنة 1875 برغبة قوية من خيرالدين التونسي.

(32) فحيل هنا إلى الملاحظات التي أبداها علي المحجوبي حول إخفاق العملية التعليمية في البلاد العربية في القرن التاسع عشر، انظر كتابه النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر: لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان، سراس للنشر، تونس، 1999، ص 23 وما بعدها وص 86 وما بعدها.

(33) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، الجزء الثاني، مطبعة المنار، القاهرة، 1344هـ، ص: 144.

(34) نفسه، الجزء الأول، ص: 223.

(35) محمد عبده، الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، تحقيق وتقديم محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972، ص: 43.

(36) عن علاقة العلم/ المعرفة بالإسلام في أطروحات إصلاحية القرن التاسع خاصة ومن يحملون فكرهم من بعدهم أنظر مثلا:

Abd-al-Haqq Guiderdoni, Islam : problèmes actuels en science et religion, in : revue Etudes orientales, 23/24 (2005).

(37) محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار سحنون، تونس، ودار السلام، القاهرة، 2006، ص: 7.

(38) راجع كل ما جاء تحت عنوان: "وجوه الإصلاح" انطلاقا من ص: 148.

(39) تواترت على سبيل المثال في الصفحتين 86 و87 من الكتاب عبارات مصر والمصري والمصريين 10 مرّات.

(40) مستقبل الثقافة، نفسه، ص: 87.

(41) أحمد أمين، حياتي، ص: 47.

(42) نفسه، ص: 45.

(43) نفسه، ص 200.

(44) سوزان طه حسين، معك، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص ص 111-112.

(45) نفسه، ص 167.

(46) نحن ندرك بطبيعة الحال أنّ العبارة التوحيدية البلاد العربية تنطوي على كثير من المغالطة في ظلّ السياق التاريخي الذي دشّنه ميلاد الدولة الوطنية/القطرية. فالتجارب تختلف وتتعدّد، والنجاح هنا قد يقابله تعثر أو إفلاس هناك. إنّنا نواصل هذا الاستخدام من ناحية وجدانية شعورية أكثر منه من ناحية موضوعية.

(47) إذا كان تقدير محمد الشرفي سليما، فلنا دليل قاطع على نجاح الاتجاه الحدائيّ باعتماده التعليم قاعدة تحوّل ثقافيّ واجتماعيّ في تونس مثلا. لقد قوّم محمد الشرفي قرار خير الدين بإنشاء المعهد الصادقيّ على هذا النحو: كان هذا القرار حاسما بنتائجه الجبارة التي ستظهر في السنين اللاحقة والتي ستكيّف مستقبل البلاد التونسية، فالمعهد الصادقيّ هو الذي سترعرع في أحضان النخبة التونسية التي أسّس أفرادها حركة النضال لأجل الاستقلال وقادوها، ثمّ سيكونون بناء الدولة العصرية، الإسلام والحرية: الالتباس التاريخي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2002، ص 209.

(48) مستقبل الثقافة، ص 67.

الخطوات الأساسية في البحوث الاجتماعية

الدكتورة: سامية حميدي، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحث: عبد المليك حميدي، جامعة المسيلة

الملخص

لا يخفى على أي ناشط في ميدان البحث العلمي أن دراسته لأي ظاهرة تتطلب منه تتبع خطوات أساسية حتى تصح الدراسة التي قرر إنجازها، ولذلك فإن معرفته بهذه الخطوات وتحكمه الجيد فيها أثناء عملية التطبيق يعد من أهم أساسيات نجاح البحث العلمي، خاصة أن الباحث يسعى من خلال بحثه للوصول إلى نتائج علمية دقيقة. سيكون هذا العرض موجزا لأن هذه الورقة العلمية لا تتسع إلى التفصيل بشكل موسع في هذه الخطوات، لذلك سنحاول من خلال هذا المقال العلمي تحديد بعض الخطوات الأساسية المتضمنة في المرحلتين الأولى والثانية من مراحل البحث العلمي في العلوم الاجتماعية.

Summary

There is no doubt that the scientific research to any phenomenon requires of the researcher to follow the basic steps for the accuracy of the study. Knowing these steps and enables the researcher them well during the application process is one of the most important basics success of scientific research, especially that the researcher seeks access to accurate scientific results. This article will introduce those steps briefly away from the detail, by identifying some of the basic steps in the first and second phases of the stages of scientific research in the social sciences.

اكتسى البحث العلمي في الآونة الأخيرة أهمية بالغة بسبب تطور المجتمعات عامة والعلوم بشكل خاص، مما دفع العديد من الهيئات الحكومية والخاصة على حد سواء إلى إعطاء أهمية وقيمة كبيرتين للبحوث العلمية المتخصصة رغبة منها في المساهمة في الدفع بعجلة التقدم، وذلك بعد أن وصلت إلى يقين مفاده أن تطور المجتمعات وتقدمها لا يمكنه أن يتحقق إلا بالاهتمام بالطاقات الفكرية والعلمية لنخبها وذلك في سعيها الدائم لتحقيق رفاهية الشعوب.

لقد أصبحنا في الوقت الراهن في حاجة ماسة إلى الدراسات والبحوث العلمية كون الجميع يضع نصب عينيه الوصول إلى المعرفة الحقيقية بهدف فهم سيرورة المجتمعات، وهذا المسعى لن يتحقق ما لم نعلم منهجية علمية سليمة نتبعها من خلال خطوات أساسية لا يمكن لأي باحث علمي الاستغناء عنها فهي الحجر الأساس لأي دراسة علمية يربو صاحبها الجدية والدقة، وهذا ما سنتناوله في العناصر المكونة لهذا المقال العلمي.

أولا/ الإشكالية

حسب قاموس **le petit robert** فإن الإشكالية هي فن علم طرح المشكلات، ويتمثل دورها في أنها تعطي الفرصة للباحث ليحدد المسائل الجوهرية في بحثه من تلك التي يعتبرها ثانوية⁽¹⁾، كما تحدد لك بكل وضوح الأسئلة التي تود أن تجد لها أجوبة، وضرورة عرضها كتابيا وبشكل منسجم يقودك إلى تحديد أفكارك بشكل دقيق وهي الفرصة التي تعرف فيها حقيقة ما تريد البحث عنه.

أما موريس أنجرس فيرى أن إشكالية البحث هي كل ما من شأنه أن يثير تساؤلا أي كل ما يبدو عليه أنه يتطلب الدراسة. وتعني صياغة الإشكالية تعريف المشكلة وتحديد معالمها ووضعها في مجراها الفكري، أي أن صياغة الإشكالية تؤدي إلى طرح تساؤل حول واقع نريد معرفته في إطار يسمح ببحثه

إمبريقيا ومن ثمة فإن المفاهيم والمصطلحات المستعملة يجب أن تحدد بشكل يمكن من تحقيقها عمليا، أي إلى الحد الذي يستطيع فيه الباحث ترجمتها إلى أفعال يمكن ملاحظتها في الواقع.

يضع بعض الباحثين تفرقة بين المشكلة والإشكالية فحصرها فيما يلي:

(أ) قد يبدو مصطلح المشكلة فضفاضا ومتسعا ولا يمكن التحكم فيه بصورة دقيقة لذلك يلجأ الباحثون إلى التدقيق أكثر، فيرون أن المشكلة تتحول إلى إشكالية عندما يصبح متعذرا الإمام بكل جوانب المشكلة على المستوى التصوري والعلمي، حيث يبدو التحكم في المشكلة وتعريفها وتحديد معالمها وضبطها أمرا صعبا، بل ومتعذرا، لذلك تصبح الإشكالية هي المصطلح الدقيق الذي يلجأ إليه الباحثون.⁽²⁾

(ب) الإشكالية هي المدخل النظري الذي يقرر الباحث تبنيه لمعالجة المشكلة التي طرحت في سؤال البداية، فهي أكثر تحديدا وأكثر دقة وإيجازا وأدق معنى من مشكلة البحث التي تبدو أنها فضفاضة وغير دقيقة.

(ت) يلجأ فريق آخر من الباحثين إلى التفرقة بين الإشكالية والمشكلة، حيث يرون أن موضوع البحث عادة لا يشرح الإشكالية المراد اختبارها، أي أن الموضوع يظل فضفاضا عاما، يقبل تفسيرات متعددة وتأويلات كثيرة لذلك تأتي الإشكالية لتحسم الارتباك، وتحدد الموقف، وتضيق الموضوع حتى يكون حجم المشكلة في حدود الوقت والإمكانات المادية والبشرية المتاحة والإطلاع على العوائق والصعوبات التي تقف حائلا دون إنجاز البحث. فالإشكالية بهذا المعنى إيجاز لمشكلة البحث بصورة أكثر دقة وضبطا وتحديدا.⁽³⁾

وتنشأ المشكلات من تفاعل الإنسان مع بيئته، وهذا التفاعل راجع لعوامل تتعلق بالإنسان نفسه وعوامل أيضا تتعلق بالبيئة، والنشاطات التي يمارسها الإنسان في بيئته والخبرات التي يمر بها تعتبر مصادر هامة لتزويده بالمشكلات التي تستحق الدراسة.

(أ) الخبرة العلمية: يواجه الإنسان في حياته اليومية عدة مواقف وصعوبات تتطلب حلولاً ولكن بعض الناس لا يهتمون بهذه المواقف وسرعان ما يتكيفون معها، فتختفي هذه الصعوبات والمواقف، إن هؤلاء الناس لا يهتمون بتحليل المواقف والصعوبات التي يواجهونها. أما إذا وقف الإنسان من هذه المواقف وقفة نقد وفحص وتساؤل عن أسبابها ودوافعها وشعر بالقلق تجاهها فإنه يجد فيها مشكلات تستحق الدراسة.

(ب) القراءات والدراسات: كثيراً ما نجد في قراءتنا ودراساتنا مواقف مثيرة لا نستطيع فهمها أو تفسيرها، وكثيراً ما نجد بعض القضايا تقدم إلينا كمسلمات صحيحة دون أن يقدم الكاتب عليها أي دليل، فقد نقرأ كتاباً نجد فيه رأياً غامضاً، أو نشك في حقيقة مطروحة فيه، أو نتساءل عن طرحه رواية ما، إن هذا الكتاب أثار أماننا عدداً من المواقف أو المشكلات قد نهتم ببعضها فنحاول الوصول إلى حقيقة هذه المواقف فنحاول إثبات خطأ فكرة ما أو إثبات صحتها.

(ت) الدراسات السابقة: يلجأ الباحثون في مختلف المجالات إلى الأبحاث والدراسات السابقة، حيث يطلعون عليها ويناقشونها ويبحثون في نتائجها وذلك من خلال التوصل إلى مشكلة ما تثير اهتمامهم، هذه الدراسات تعتبر مصدر هام لتزويد الباحثين بمشكلات تستحق الدراسة (4)

– مراحل بناء الإشكالية

(أ) المرحلة الأولى: مرحلة ضبط وجهات النظر المختلفة حول الموضوع: في هذه المرحلة على الباحث القيام بتحديد المداخل المتنوعة للإشكالية، وهذا يعني القيام بمجرد وإحصاء وجهات النظر المختلفة التي تم اعتمادها، وتعيين نقاط الاختلاف والاتفاق بينها وتوضيح الإطار النظري الذي يستند إليه كل رأي سواء علنا أو بشكل ضمني (5).

ب) المرحلة الثانية: تبني إشكالية: في هذه المرحلة لابد من تبني إشكالية سواء بتصور إشكالية جديدة، بمعنى صياغة نظرية جديدة خاصة بالباحث، أو بوضع عمله ضمن إطار نظري تم اكتشافه من خلال القراءات السابقة.

ت) المرحلة الثالثة: تدقيق الإشكالية: وتعني توضيح طريقة الباحث الشخصية في كيفية عرضه للمشكلة والإجابة عنها، حتى ولو كان قد تبني مدخلا نظريا تم انتقاؤه مسبقا وبشكل واضح. وتتم هذه المرحلة عمليا بعرض المصطلحات الأساسية والبناء المفاهيمي الذي تقوم عليه الاقتراحات التي تم وضعها للإجابة على سؤال الانطلاق والتي تأخذ شكلها من خلال البناء.

يمكن تلخيص الخطوات المنهجية المتبعة في صياغة الإشكالية فيما يلي:

أ) التصريح بالأبعاد التي ستتناولها الدراسة مقابل التي ستستبعدها، مما قد لا يظهر بوضوح في العنوان الرئيسي للبحث، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار مسألة التدرج في الطرح أي الانتقال من العام إلى الخاص، للوصول إلى اختيار تساؤل رئيسي ومركزي (دقيق، واضح ومركز) بالنسبة للموضوع المختار، يعرض من خلال بضعة أسطر الفكرة الأساسية في البحث والتي تسمح مبدئيا بتعميق العنوان وتحديد بدقه أكثر.

ب) توضيح الأسباب والدوافع التي قادت الباحث للقيام بها.

ت) توضيح الجوانب النظرية والتطبيقية المقصودة بالدراسة.

ث) تبيان الفائدة النظرية و/ أو العملية للبحث وأهميته في تطوير جانب معين من جوانب المجتمع أو في حل مشكلة مجتمعية ما.

ج) تحديد الإطار النظري للبحث أي الخلفية النظرية (نظريات، مدارس فكرية) التي يعتمد عليها الباحث مع التبرير.

ثانيا/ الفرضيات

تعتبر الفرضية رأيا أو فكرة تقبل على أنها صحيحة في ضوء ما هو معروف، ومتوفر من حقائق أو معلومات عن ظاهرة معينة. إن مصطلح الفرضية يعني شيئا أقل تأكيدا من الحقيقة العلمية، وكلمة أقل تأكيدا في حد ذاتها تفيد بأن أي افتراض لا يتطرق إلى ذهن الباحث من فراغ أو بطريقة عشوائية، بل يأتي نتيجة بيانات ومعلومات مؤكدة سابقة استنبط الباحث افتراضا منها، فالفرضية العلمية ليس مجرد تخمين لأن التخمين لا يتعدى مجرد أفكار مبدئية تتولد في عقل الفرد عن طريق الملاحظة العابرة، بينما تبنى الفرضية على المعرفة العلمية والدراسة البحثية.

يمكن القول عن الفرضية أنها الحل المحتمل الذي يعتقد به الباحث فقط حتى يتم تجميع براهينه ويتخذ قرارا بصحته أو عدم صحته، وهي قابلة للبرهان، كما تساعد الفرضية في ترتيب وتنظيم المعلومات المحيطة بموضوع البحث⁽⁶⁾.

كما تعرف الفرضية على أنها عبارة عن جملة تعبر عن تخمين أو استنتاج ذكي يتوصل إليه الباحث بعد أن ينتهي من مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بمشكلة البحث ويتمسك به بشكل مؤقت حتى نهاية البحث، أي إلى أن يقوم بالتحقق من صحته لقبوله أو رفضه. كما تعرف بأكثر من شكل منها:

- أ- حل محتمل لمشكلة البحث.
- ب- تخمين ذكي لسبب أو أسباب المشكلة.
- ت- رأي مبدئي لحل المشكلة.
- ث- إجابة محتملة عن السؤال الذي تمثله المشكلة.

ويستطيع الباحث اشتقاق وصياغة فرضياته من مصادر عديدة أهمها: (7)

- أ- المعرفة الشخصية الواسعة للباحث ومدى قدرته على التخيل وتجميع وربط الأفكار مع بعضها البعض في أنماط تفسيرية معقولة.

- ب- الملاحظة والتجربة والخبرة العملية خصوصا فيما يتعلق بالمشكلة أو الظاهرة المدروسة.
- ت- الدراسات السابقة حول المشكلة أو الظاهرة قيد الدراسة.
- أنواع الفرضيات

أ- الفرضية البحثية: وهي التي يضعها الباحث بعد الانتهاء من الدراسة السابقة ليعبر فيها عن النتائج التي يتوقعها لمشكلة البحث بصورة عامة وتصاغ بما يحتمل الصواب أو الخطأ.

مثال: تزداد فاعلية المعلم في التدريس بارتفاع مستوى تأهيله التربوي. هذه فرضية إشكاليته: أثر التأهيل التربوي للمعلم على فاعليته في التدريس.

ب- الفرضية الإحصائية: وهي التي تصاغ على شكل جملة خبرية رقمية حول معلومة مجهولة أو أكثر من معالم مجتمع الدراسة تحتمل الصواب أو الخطأ وهي نوعان:

✓ الفرضية الصفيرية: تكون بصياغة الصفر، وهي التي تنص على عدم وجود أثر للمعالجة التجريبية (المتغير المستقل) على المتغير التابع.

✓ الفرضية البديلة: وهي التي يمكن أن تقبل كبديل للفرضية الصفيرية عندما يتم رفض الفرضية الصفيرية.

وهناك العديد من المعايير التي يجب اتباعها عند صياغة الفرضية نذكر منها: (8)

- أ- أن تصاغ بشكل يعبر عن العلاقة بين متغيرين أو أكثر.
- ب- أن تصاغ بصيغة قابلة للاختبار ومتغيراتها معرفة بشكل إجرائي.
- ت- أن تصاغ في شكل عبارة تصريحية باستخدام صيغة المضارع وليس الماضي أو المستقبل.

ث- أن تقوم على مبررات كافية مستندة إلى معالجات نظرية أو دراسات سابقة.

-أهميتها

- أ- تدعم الإطار النظري والتصوري والفكري للباحث.
- ب- تساهم في تصميم الهيكل العام للتقرير النهائي للبحث.
- ت- تساعد على حل مشكلة البحث بطريقة علمية سليمة.
- ث- الكشف عن الحقائق العلمية.

ثالثا/ التحليل المفهومي (المفاهيم الأساسية في البحث العلمي)

تناول موريس ألجوس في كتابه "منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية"، عملية التحليل المفهومي بشكل جيد، لذلك سنوجز ما قدمه في هذا الصدد.⁽⁹⁾

إن التحليل المفهومي هو سيرورة تدرجية لتجسيد ما نريد ملاحظته في الواقع يبدأ هذا التحليل أثناء شروع الباحث في استخراج المفاهيم من فرضيته أو من هدف بحثه. يستمر هذا التحليل أثناء تفكيك كل مفهوم لاستخراج الأبعاد أو الجوانب التي ستأخذ بعين الاعتبار. ثم يتم تشريح كل بعد وتحويله إلى مؤشرات أو ظواهر قابلة للملاحظة يمكن بعد ذلك أن يصل الباحث إلى تجميع بعض المؤشرات لإيجاد قياس تركيبى وهو ما يسمى بالدليل.

إن بعض الحدود المستعملة لحد الآن في طرح السؤال أو الفرضية أو هدف البحث تأخذ صبغة المفاهيم. هذه الأخيرة ما هي في الواقع إلا تصورات ذهنية لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها. ويمكننا أخذ الفرضية الآتية كمثال توضيحي: موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية، فالمفاهيم الرئيسية لهذه الفرضية هي مفردات موارد الزوجين والسلطة العائلية. فالسلطة العائلية هي مفهوم لأنها عبارة عن مختصر مجرد لظواهر عديدة قابلة للملاحظة والتي يمكن أن تمس أخذ القرارات والمقررين المعروفين أو التعود على المهام المنزلية في العائلة، يتعلق الأمر إذن "بتصور ذهني" نكونه حول واقع ما. إن كلمة فقير مثلا هي تجريد

يلخص لنا في الواقع عددا من الأشخاص أو الأشياء لهم ما يكفي من السمات المشتركة ويختلفون بالتالي عن الفئات الأخرى من الأشخاص أو الأشياء مما يسهل عملية تجميعهم تحت نفس التسمية. يجمع المفهوم إذن عددا معينا من العناصر في نفس الكلمة أو اللفظ.

وكلما ارتفعت درجة تجريد المفهوم كلما تطلب ذلك القيام بعدد أكبر من عمليات التجسيد للوصول إلى مستوى من الواقع الملحوظ. فمن مفهوم البكر يمكننا أن نتقل وبسرعة إلى التعيين بالرتبة في العائلة. إن الانتقال من المجرد إلى الملموس في هذه الحالة يكون بسيطا نفس الشيء بالنسبة إلى مفهوم الدخّل يمكن تعيينه بسرعة بواسطة المعيار النقدي. قد لا يتم الأمر بنفس السرعة مع مفهوم الرضا في العمل مثلا والذي قد يشير إلى كل من المهام المطلوب تنفيذها، العلاقات بالزملاء، بالإدارة المسيرة، بمحيط العمل، وأوقات العمل وما إلى ذلك، بالتالي فإن عددا من الوقائع الملموسة تكون مجتمعة تحت لواء هذا المفهوم. إن هذا المجموع المعقد يعطي معنى للمفهوم أثناء تجسيده في الواقع.

بمجرد ما يتم تحديدنا للمفاهيم التي نريد استعمالها نقوم بإعطاء تعريف لكل منها. إن هذه العملية الأولى من التعريف المؤقت للمفاهيم تسمح بتبديد الغموض والشكوك وضبط موضوع البحث مما يسهل العمليات المولية. يمكننا مثلا في البداية أن نعرف مفهوم السلطة العائلية أنه فعل أخذ القرارات الهامة داخل العائلة، إلا أن العمليات التقريبية غير كافية لهذا وبمجرد الانتهاء من التحليل المفهومي ينبغي علينا إعادة النظر لإتمام كل تعريف. لا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس من الضروري أن يتفق الزملاء حول تعاريف هذه المفاهيم التي يجب أن تكون سهلة الفهم بالنسبة إلى الآخرين ولا تترك لديهم أي غموض.

إن ملاحظة الواقع وكذا عناصر النظرية يمكن أن تساعد في تحديد الواقع الذي تتضمنه المفاهيم وتدقيقه. تسمى المفاهيم المستمدة من النظريات العلمية الموجودة "بالمفاهيم النسقية" والتي يتم الحصول عليها بواسطة المنهج الاستنباطي، أما تلك التي تسمى "بالمفاهيم العملية المنعزلة" فهي خاصة بتلك المفاهيم الناشئة عن

ملاحظة الواقع والتي نتحصل عليها بواسطة المنهج الاستقرائي. إن المفاهيم العملية المنعزلة يصعب فصلها عن الأفكار والأحكام المسبقة إلا أنها تبقى مع ذلك تحتفظ بقيمة علمية مؤكدة نظرا إلى مساهمتها هي الأخرى في تقدم المعرفة العلمية. هذا هو المسار العادي الذي يسلكه البحث الكيفي.

انطلاقا من أن المفهوم هو تصور تجريدي فإن الشروع في تجسيده يتطلب تفكيكه إلى أبعاده المختلفة، وعليه يتعلق الأمر هنا بفحص معانيه العميقة وتقبل فكرة أنه يشير إلى جوانب من الواقع يمكن أن تكون متنوعة إلى أقصى حد. إن هذه الأوجه المختلفة من الواقع هي التي تشكل الأبعاد أو ما يسمى بمكونات المفهوم.

يقدم التعريف المؤقت مساعدة قيمة أثناء استخراج أبعاد مفهوم ما. لو بقينا مع فرضيتنا القائلة: "إن موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية" فإننا بذلك نقيم علاقة بين مفهومين رئيسيين هما: الموارد والسلطة العائلية. في هذه الحالة يكون في إمكاننا استخراج عدد من الأبعاد لمفهوم موارد الزوجين وذلك انطلاقا من تحديدنا له كمجموع من الإمكانيات سواء كانت ذات صبغة مالية أو فكرية، فيزيقية أو اجتماعية يتمتع بها كل زوج والتي تميزه في الوقت نفسه عن الآخر.

إن هذه الصفات الأربع من الإمكانيات تصبح أبعادا للمفهوم. من جهة أخرى فإن مفهوم السلطة العائلية والمعرف بأنه فعل ظاهري لعملية أخذ القرارات الهامة في العائلة يتفكك إلى أبعاد مختلفة وذلك حسب ميدان النشاطات العائلية: اقتصادية، منزلية، إجتماعية، رعاية الاطفال وتربيتهم. إن التعريف الاولي للمفهوم هو الذي يقود الى هذه الأبعاد فلو تم تحديد مفهوم السلطة خلافا لذلك فإن الأبعاد تكون هي الأخرى مغايرة تماما، لو عرفنا مثلا مفهوم السلطة العائلية بأنه يمثل القدرة الشرعية للتصرف داخل العائلة فتكون الأبعاد انعكاسا للميادين المعترف بها من طرف القانون الذي يسمح بممارسة السلطة على اعضاء العائلة.

كل ما هو غير ملاحظ ولا يقبل القياس مباشرة سيبقى من صنف الأبعاد التي تمثل مستوى وسطي بين التصور التجريدي والعام من جهة، أي المفهوم، والواقع الملاحظ من جهة أخرى. يمكن استثنائيا تجزئة هذا المستوى الى أبعاد فرعية تقربنا من الواقع الذي نريد ملاحظته لأنها تقلص اكثر مجال هذا الواقع الذي يشير اليه البعد. إن مفهوم التبادلات مثلا في دراسة حول علاقة الجوار يمكن تفكيكه الى أبعاد حسب نوع التبادلات سواء تمت في شكل منافع أو خدمات أو معلومات. يمكن أن يكون لهذا البعد الأخير أبعادا فرعية إذا ما انصب اهتمامنا على طبيعة المعلومات المتبادلة، إقتصادية، منزلية أو اجتماعية.

رابعا/ المناهج:

يعرف المنهج لغة على أنه كلمة منهج مأخوذة من اللاتينية من أصل يوناني "meta" وهي أمن الطريق بمعنى كيفية التصرف للوصول إلى الهدف.

أما اصطلاحا فهو "الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة". وهو أيضا "الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب والعقبات ويعني في الفكر العلمي المعاصر الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة". والمنهج عبارة عن "طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العمل"، ويمكننا القول بأن المنهج "هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة"⁽¹⁰⁾.

أهمية المنهج العلمي

إن مجموع المساعي التي يعتمدها الباحث أو الباحثة تكشف وبمعنى واسع عن تصوره للبحث أو لمنهجيته، كما أن اختيار المنهج لا يتحدد بكيفية غامضة ولكنه يكون قائما على اقتراحات تم التفكير فيها ومراجعتها جيدا بحيث تسمح له بتنفيذ خطوات عمله بصفة صارمة بمساعدة الأدوات والوسائل التي تضمن له النجاح، وفي نفس الوقت مدى صحة المسعى أي الطريقة. إن هذين الجانبين أي المنهج

والصحة مترابطان، فإذا لم يكن المسعى منهجيا فان النجاح سيكون سطحيا أو ظاهريا فقط وهنا تكمن أهمية المنهج العلمي⁽¹¹⁾.

(2) أنواع المناهج

أ- المنهج المقارن: تعني المقارنة لغة مقابلة الأحداث بعضها ببعض لكشف ما بينها من وجوه شبه أو علاقة، أما اصطلاحا فالمنهج المقارن هو مفهوم مركب من مصطلحين هما: المنهج والمقارنة. فالمنهج هو مجموعة الأطر، والإجراءات، والخطوات التي يضعها الباحث عند دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، أما المقارنة فتعني تلك العملية التي يتم من خلالها إبراز أو تحديد أوجه الاختلاف، وأوجه الائتلاف بين شيئين متماثلين أو أكثر.

والمنهج المقارن بصفة عامة هو القيام بعملية التناظر أو التقابل بين الأشياء والنظائر بتعبير ابن خلدون، والمقارنة بين خاصيتها، وله مستويات، المستوى التشكيلي أو الخارجي كالأحجام، والألوان، والمسافات، والأعداد، وهناك المستوى الداخلي أو الجوهرى وهو المتعلق بمقارنة خواص الظواهر والعناصر الجوهرية فيها، بمعنى أن المقارنة تتناول البنيات الأساسية المكونة للظاهرة، والتعمق وسبر جوهر الظواهر والتمعن فيها⁽¹²⁾.

كما يعرف على أنه طريق لمعالجة الموضوعات ذات الطابع المقارن، أي بيان أوجه الاختلاف وأوجه التشابه بين جزئي الموضوع المبحوث⁽¹³⁾.

ب- المنهج التجريبي: هو المنهج الذي تتضح فيه معالم الطريقة العلمية في التفكير بصورة علمية لأنه يتضمن تنظيما يجمع البراهين بطريقة تسمح باختيار الفرضيات والأحكام في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضع الدراسة والوصول إلى العلاقات بين الأسباب والنتائج وتمتاز التجربة العلمية بإمكانية إعادة إجرائها بواسطة أشخاص آخرين مع الوصول إلى النتائج نفسها إذا توحدت الظروف.

ويتميز المنهج التجريبي عن غيره من المناهج بدور متعاظم للباحث لا يقتصر على وصف الوضع الراهن للحدث أو الظاهرة بل يتعداه للتدخل الواضح والمقصود بهدف إعادة تشكيل واقع الظاهرة من خلال استخدام إجراءات أو إحداث تغيرات ومن ثم ملاحظة النتائج بدقة وتحليلها وتفسيرها، وبالتالي فهو محاولة لضبط كل العوامل الأساسية المؤثرة في المتغير أو المتغيرات التابعة في التجربة ما عدا عاملا واحدا يتحكم فيه الباحث ويغيره على نحو معين بقصد تحديد وقياس تأثيره على المتغير أو المتغيرات التابعة. فالمنهج التجريبي إذن يعتمد على التجربة العلمية التي تكشف عن العلاقات السببية بين المتغيرات المختلفة وهذه التجربة تخضع لشروط مضبوطة، ومحددة، مع ملاحظة التغيرات الواقعة في ذات التجربة وتفسيرها⁽¹⁴⁾.

ج- المنهج التاريخي: هو الطريق الذي يتبعه الباحث في جمع معلوماته عن الحقائق والأحداث والحقائق الماضية، وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها وفي عرضها وترتيبها وتفسيرها واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها والتي لا تقف فائدتها عند فهم أحداث الماضي فحسب بل تتعداه إلى المساعدة في تفسير الأحداث والمشاكل الجارية وفي نوعية التخطيط بالنسبة للمستقبل⁽¹⁵⁾.

ويقوم المنهج التاريخي على أساس من الفحص الدقيق والنقد الموضوعي للمصادر المختلفة للحقائق التاريخية، ويستعمل في جمع المعلومات ونقدها وترتيبها وتنظيمها وتفسيرها، واستخلاص النتائج العامة منها كثيرا من وسائل البحث العلمي وأدواته التي تستخدمها مناهج البحث الأخرى.

ومنهج البحث التاريخي هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية ويقدمها إلى المختصين بخاصة والقراء بعامة، وتلخص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له، ثم اختيار موضوع البحث، وجمع الوثائق والمصادر واثبات صحتها، وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه وتحري نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها، ونقدها نقدا إيجابيا

وسلبيا واثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وترتيبها والاجتهاد فيها وتعليلها، وإنشاء الصيغة التاريخية، ثم عرضها عرضا تاريخيا معقولا. (16)

د- المنهج الوصفي: هو طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية، ويرى آخرون أن المنهج الوصفي يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كليا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة (17).

ولا يقتصر المنهج الوصفي المستعمل في المجالات العلمية على الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة فحسب بل يتطلب الأمر، بالإضافة إلى وصف الظاهرة، وجمع البيانات عنها ووصف الظروف والممارسات المختلفة لتحليل هذه البيانات واستخراج الاستنتاجات، ومقارنة المعطيات وبالتالي التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها في إطار معين، وبناء عليه فإن المنهج الوصفي يعني أسلوب أو طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية معينة اجتماعية أو مشكلة، أو سكان معينين (18).

هـ- منهج دراسة الحالة: وهو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فردا أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة.

ويتفق الكثير من الباحثين سواء كانوا أوروبيين أو أمريكيين على أن دراسة الحالة تعني دراسة وحدة مثل الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مفصلة، مستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة والوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المشابهة. ومن ثم يحاول الباحث أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هذه الحالة، وبخاصة تلك المعلومات التي تتصل بتاريخ

حياة الحالة، وتطورها، وما إن يفرغ الباحث من جمع هذه المعلومات الشاملة يحاول أن يحدد معالم الصورة الكلية بخبرات الباحثين، وتجاربهم وأفكارهم خلال الزمن، وتفسير هذا الموقف الكلي" (19).

خامسا/ العينات

تعرف العينة على أنها جزء من الكل على أن يكون هذا الجزء ممثلاً للكل بمعنى أنه يجب أن تكون العينة ممثلة للمجتمع المسحوبة منه تمثيلاً صادقاً حتى يتسنى للباحث استخدام بيانات ونتائج العينة في تقدير معالم المجتمع بشكل جيد، وهي أداة الدراسة ويتم اختيارها بطرق مختلفة وتسمى عملية اختيار العينة بالمعاينة.

للعينة أنواع مختلفة منها العينات العشوائية وتسمى بالعينة الاحتمالية وتقوم على إعطاء الباحث فرصاً متساوية لكل الوحدات في تمثيل المجتمع الأصلي وعلى أساس ذلك ووفق طريقة احتمالية يختار الباحث عينة من الوحدات بشكل عشوائي وهو يعتقد أن الوحدات الأخرى لها الدرجة نفسها في تمثيل المجتمع الأصلي، نذكر منها: العينة العشوائية البسيطة، العينة العشوائية المنتظمة، العينة الطبقية، العينة العنقودية.

كما توجد العينات غير العشوائية وتسمى بالعينة المقيدة وهي عكس العينات العشوائية لا يعطي فيها الباحث فرصاً متساوية لوحدات المجتمع الأصلي وهي ثلاث أنواع: العينة العرضية، العينة القصدية، العينة الحصصية. وللعينة إطار هي القائمة التي تدور فيها المفردات مثلاً: قوائم الطلبة التي نجدها في المديرية البيداغوجية. وهي جزء من المجتمع يسحبه الباحث من المجتمع الذي يود أن يعمم عليه نتائج البحث، ويلجأ الباحث إلى العينة لعمليتها وفعاليتها وقلة تكلفتها، وتتكون العينة من مجموعة من الحالات وحتى يتم تعميم نتائجها على المجتمع ينبغي أن تكون ممثلة وتقتضي شرطين:

✓ أن تتوفر على خصائص المجتمع الذي سحبت منه.

✓ أن تعطي الفرصة بالتساوي لجميع المفردات للظهور في العينة.

ويوجد خلاف في حجم العينة المناسب، البعض يكتفي بـ 5 بالمائة لكن حجمها يتحدد بـ كبر المجتمع أو صغره، فإذا كان المجتمع كبيراً كبرت العينة ولكن إلى حد ما والعكس. انسجام المجتمع أو عدمه فإذا كان المجتمع منسجماً كانت النتائج دقيقة والعكس.

سادسا/ أدوات جمع البيانات

(1) الاستمارة

تعرف الاستمارة بأنها "نموذج يضم مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكلة أو موقف، ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية أو أن ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد".⁽²⁰⁾

كما تعرف بأنها مجموعة أسئلة بعضها مفتوح مثل: ما هو مستواك التعليمي؟

وبعضها مغلق مثل: هل تابعت أي نوع من التعليم؟ نعم لا

وبعضها أسئلة تصنيفية مفتوحة مثل:

ما هو مستواك التعليمي؟ لا شيء أساسي ثانوي

جامعي تكوين مهني أخرى.....

وتستخدم الاستمارة لجمع المعلومات والبيانات الميدانية التي تعسر جمعها عن طريق أدوات جمع البيانات الأخرى، ويجب أن تغطي الاستمارة جميع محاور البحث إذا كانت قد استخدمت كأداة بحث وحدها، وقد تخصص لبعض محاور البحث وبعض المحاور الأخرى تدرج في أدوات بحث أخرى كالمقابلة والملاحظة والوثائق والسجلات الإدارية.

هناك أنواع عديدة للاستمارة منها: الاستمارة بالمقابلة، الاستمارة البريدية، الاستمارة عبر الهاتف، الاستمارة عن طريق شبكة الإعلام الآلي (الإنترنت).

على الباحث أن يحدد ويضبط استثماره ببحثه، هل الاستثمارة تشمل جميع محاور موضوع الدراسة؟ وحينئذ تكون المقابلة والملاحظة والوثائق والسجلات الإدارية عبارة عن أدوات بحث تكميلية للاستثمارة وينحصر دورها في تفسير أو تحليل أو تحليل بيانات الاستثمارة. أم هل تشمل الاستثمارة فقط بعض محاور موضوع الدراسة؟ وبالتالي فإن بقية المحاور الأخرى تغطيها أدوات البحث الأخرى من مقابلة ووثائق وسجلات إدارية، كما يمكن تبويب الاستثمارة حسب محاور البحث أو حسب فرضيات الدراسة، كأن يقسم الباحث محاور بحثه حسب طبيعة البيانات المراد جمعها، فقد يكون للباحث أربع فرضيات مثلا وتكون طبيعة البيانات المراد جمعها الخاصة بالفرضية الثانية ثلاثها المقابلة كأداة لجمع البيانات، وطبيعة البيانات المراد جمعها الخاصة بالفرضية الثالثة ثلاثها الملاحظة كأداة لجمع البيانات، وطبيعة البيانات المراد جمعها الخاصة بالفرضية الرابعة ثلاثها الوثائق والسجلات الإدارية كأداة لجمع البيانات⁽²¹⁾.

ويفضل أن يختبر الباحث استثماره ببحثه ليرى مدى ملاءمة الاستثمارة لمحاور البحث من جهة، ومدى قدرتها على جمع البيانات وملاءمتها لأعضاء عينة البحث وظروفهم من جهة أخرى، وقد يؤدي هذا الاختبار إلى زيادة بعض الأسئلة أو حذف البعض الآخر أو إعادة صياغة البعض.

ويجب أن يحرص الباحث أثناء صياغته لأسئلة الاستثمارة مما يلي:

- ✓ الأسئلة عن مواضيع حساسة لأنه قد لا يجيب المبحوث بصراحة.
- ✓ الأسئلة عن مواضيع تسوق المبحوث للإجابة نسبيا عن الأسئلة.
- ✓ الأسئلة التي تتطلب الإجابات التي تمس مبادئ ومواقف أو تصرفات المبحوث.
- ✓ الأسئلة التي تسوق إلى أجوبة مضللة كأن يجيب المبحوث عن سؤال بإجابة تتوافق مع ما يريده الباحث بهدف مداراته ومجاملته.

2) المقابلة

تعرف المقابلة على أنها: تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستسبر معلومات أو آراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض المعلومات الموضوعية.⁽²²⁾

وتجري المقابلة في شكل حوار (حديث) مع المبحوث في موضوع البحث. ويشترط أن يكون الحوار مبوبا ومنظما ومسيرا من طرف الباحث كما يفضل أن يقوم الباحث بتسجيل ملاحظات المبحوث وآرائه حول موضوع البحث.

- أنواع المقابلة

المقابلة المقتنة: وفيها يضع الباحث أسئلة كل محور في المقابلة.

المقابلة غير المقتنة: وفيها لا يضع الباحث أسئلة المحاور، إذ لا يقيد الحديث ولكن فقط يحدد محاور الحديث عن الموضوع.

وينحصر اختيار المقابلة المقتنة أو غير المقتنة إلى طبيعة الموضوع. فهناك الموضوع المحدد وغير المتشعب الذي يستطيع الباحث فهم جميع أبعاده وبالتالي حصرها في أسئلة وعليه فهو بحاجة إلى المقابلة المقتنة، ولكن هناك الموضوع الذي لا يستطيع الباحث حصر أبعاده ولذلك يترك الحديث مفتوحا وبالتالي فهو بحاجة إلى المقابلة غير المقتنة.

- طرق المقابلة

المقابلة المباشرة: وفيها يلتقي الباحث مع المبحوث مباشرة ويتم الحوار بشكل مباشر.

المقابلة غير المباشرة: وفيها يجري الباحث الحوار مع المبحوث عن طريق الهاتف أو الاتصال الآلي (الإنترنت).

د- مميزات المقابلة: عموما تكون المقابلة مع عدد قليل من الأفراد، كما تتميز بإعطاء حرية الحديث للمبحوث والوقت الكافي، وحرية الحديث لا تعني أن يتكلم

المبحوث كما يشاء وما يشاء، ولكن يجب أن تكون المقابلة مضبوطة ومحددة بدقة وخاصة بالمحاور المخصصة لهم بالمقابلة، وعلى الباحث مراقبة وتوجيه حديث المبحوث لمحاور المقابلة، كما يجب عليه أيضا مراقبة وتوجيه الوقت النافع الذي يخدم محاور المقابلة وهدف البحث.

(3) الملاحظة

تعتبر إحدى أدوات جمع البيانات وتستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية، كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة أو الوثائق والسجلات الإدارية أو الإحصاءات الرسمية والتقارير أو التجريب ويمكن للباحث تبويب الملاحظة وتسجيل ما يلاحظه الباحث من المبحوث سواء كان كلاما أو سلوكا.

وهناك أنواع للملاحظة منها الملاحظة البسيطة ويقصد بها ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا في ظروفها العادية دون إخضاعها للضبط العلمي، وبدون استخدام أدوات دقيقة للقياس بغية الدقة في الملاحظة والتحلي بالموضوعية، الملاحظة المنظمة وتختلف عن الأولى في الضبط العلمي والفحص الموضوعي والتحديد الدقيق للظواهر والمعالج التي تخصص الملاحظة لها.

تتم الملاحظة بطرق مختلفة منها الملاحظة بدون مشاركة وفيها يلاحظ الباحث عينة بحثه بطريقة غير مباشرة وبدون أن يشارك أعضاء عينة البحث في عملهم. فالباحث عضو خارج عينة البحث يلاحظ من بعيد وفي وقت قصير، فالملاحظة بهذه الطريقة لا تدوم شهورا أو سنينا. والملاحظة بالمشاركة وفيها يندمج الباحث مع عينة بحثه ويصبح مصاحبا لأفرادها في معظم الأوقات، أي أنه يلاحظ سلوكهم في موضوع بحثه وهو يشاركهم أيضا بقية أعمالهم وأوقاتهم، وقد تدوم الملاحظة بالمشاركة أشهر أو سنوات كأن يعمل الباحث أو يدرس مع عينة بحثه. (23)

سابعاً/ الوثائق والسجلات الإدارية: تعتبر إحدى أدوات جمع البيانات، وفيها يرجع الباحث إلى جمع البيانات حول الموضوع ككل أو فقط بعض المحاور من الوثائق والسجلات الإدارية، ويشترط عدم التكرار في جمع البيانات فإما أن تكون البيانات المجمعة من الوثائق والسجلات الإدارية بيانات تكميلية للاستمارة والمقابلة والملاحظة أو لبعضها فقط، ووظيفتها تكميلية في التحليل والتفسير والتعليل، وإما أن تكون البيانات المجمعة تتعلق ببعض محاور البحث التي لا تمسهم أدوات جمع البيانات الأخرى.

ثامناً/ الإحصاءات الرسمية والتقارير

خلاصة

نخلص في الأخير إلى القول أن البحث في العلوم الاجتماعية يحتاج إلى منهجية علمية دقيقة ترتكز هي بدورها على أسس صحيحة حتى نصل بالبحث العلمي في هذا المجال إلى الدقة العلمية التي يريجوها أي باحث في ميدان البحث العلمي، ولهذا فإن التركيز على فهم واستيعاب الخطوات العلمية الأساسية للقيام بأي بحث والقدرة على تطبيقها بشكل دقيق يعد ضرورة حتمية لنجاح الباحث في دراسته العلمية وتقديمها في صورة سليمة ومميزة.

❖ هوامش البحث

- (1) فضيل دليو وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، 1999، ص ص 69، 73.
- (2) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: منهجية العلوم الاجتماعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2012، ص 95.
- (3) المرجع نفسه، ص 96.
- (4) عبد الرحمان عدس وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ص 62، 63.
- (5) فضيل دليو وآخرون: مرجع سابق، ص 74.
- (6) رؤوف إبراهيم عبد الخالق: التصاميم التجريبية في الدراسات النفسية والتربوية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001، ص 134.
- (7) رجي مصطفى عليان وآخرون: مناهج وأساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق، دار صفاء للنشر، عمان، الأردن، 2000، ص 70.
- (8) سالم عيسى بدر: دليل الباحث في اختبار الفرضيات، دار الفكر، عمان، الأردن، 2009، ص ص 9، 15.
- (9) موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخران، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2004، ص ص 157، 161.
- (10) عمار بوحوش ومحمد محمود الذنبيات: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص ص 99، 102.
- (11) موريس أنجرس، مرجع سابق، ص 37.
- (12) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2012، ص 61.
- (13) عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص ص 13، 92.

- (14) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 42.
- (15) صلاح الدين شروح: منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص ص 112، 85.
- (16) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 28.
- (17) حسين عبد الحميد رشوان: العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1995، ص 33.
- (18) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 93.
- (19) المرجع نفسه، ص 107.
- (20) محمد علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1983، ص 339.

(21) DICTIONNAIRE DE SOCIOLOGIE. P436 LE ROBERT SEUIL.

(22)

- إبراهيم لطفي: أساليب وأدوات البحث الاجتماعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1994، ص ص 85، 86.
- (23) غريب محمد سيد أحمد: تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989، ص 268.

دور منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة

الدكتورة: صباح غربي، الأستاذة: وهيبة غربي

جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم خلفية نظرية حول أساسيات المجتمع المدني من حيث دوره وأهميته في المساهمة في تطوير الخدمات العامة من خلال شراكته مع الإدارة المحلية والقطاع الخاص، وذلك من مختلف الجوانب منها الاجتماعية والاقتصادية المتنوعة.

فضلا عن التطرق إلى القضايا التي تعترض المجتمع المدني والسعي إلى تقديم بعض المقترحات من شأنها أن تسهم في إثراء مساهمته لأداء أدواره بشكل أفضل، على غرار التجارب الناجمة في المجتمعات المدنية في بلدان أخرى.

Résumé:

Cette étude vise à fournir un cadre théorique sur les bases de la société civile en termes de son rôle et de l'importance de sa contribution dans le développement des services publics grâce à son partenariat avec l'administration locale et le secteur privé sur les différents plans tels que les plans sociaux et économiques.

Nous essayerons aussi d'évoquer les problèmes que rencontre la société civile en suggérant certaines propositions qui pourraient l'aider à mieux exercer son rôle en s'inspirant des expériences menées par les sociétés civiles dans d'autres pays.

يعد العمل الاجتماعي والتنموي والتطوعي من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في تطوير الخدمات العامة، ويكتسب العمل الاجتماعي أهمية متزايدة يوما بعد يوم، ولاسيما مع اتساع الهوة بين موارد الحكومة وازدياد احتياجات الشعوب، حيث برز دور العمل التطوعي لسد تلك الفجوة ولم تعد الحكومات قادرة وحدها على توفير احتياجات أفرادها سواء في البلدان المتقدمة أو النامية. ولذلك كان لا بد من وجود جهة أخرى تساند الجهات الحكومية وتكمل دورها في تقديم الخدمات العامة، ويطلق على هذه الجهة بمنظمات المجتمع المدني. حيث يتفق المهتمون بأمور التنمية على أن الشراكة بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني هو شرط ضروري لتطوير الخدمات العامة وإحداث التنمية الحقيقية.

وفي كثير من الأحيان يعتبر دور هذه المنظمات دورا سباقا وليس تكميليا في معالجة العديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها. وأصبح يضع برامج تنموية تحتذي بها الحكومات.

ومع التغيرات العديدة التي شهدتها عمل منظمات المجتمع المدني وكذا التطورات في مفهومه ووسائله ومركزاته بفعل التغيرات التي تحدث في الاحتياجات الاجتماعية، جعل اهتمامنا يتوجه نحو التطورات التي حدثت في غايات وأهداف منظمات المجتمع المدني، فبعد أن كان الهدف الأساسي هو تقديم الرعاية والإعانة للمجتمع، أصبح الهدف الآن هو تطوير الخدمات العامة وإحداث التنمية في المجتمع، وبطبيعة الحال أصبح نجاح تحقيق هذا الهدف يتوقف على صدق وجدية منظمات المجتمع المدني وعلى رغبة المجتمع في إحداث التغيير وتحقيق التنمية.

أهمية الدراسة:

شاع مصطلح (منظمات المجتمع المدني) في تسعينيات القرن العشرين خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق كي تكون سلطة خامسة خارج الحكم في الدول الحديثة، وهي عبارة عن منظمات غير حكومية تتشكل من أفراد المجتمع المدني لتحقيق أهداف ترسم مسبقاً لتنمية المجتمع وتطوير الخدمات العامة، ومن أهم الأدوات لتحقيق ذلك ما يعرف بالشراكة. وبالرغم من حداثة الفكرة على منظمات المجتمع المدني وانتشارها ببطء إلا أنه يمثل نقطة ضوء في تمكين هذه المنظمات من تادية دورها في تفعيل المشاركة الشعبية في صنع القرارات التنموية وتطوير الخدمات كما تمثل فرصة لبناء القدرات المؤسسية لتلك المنظمات وتمكينها من فنون إدارة العمل المدني كما أنه يوفر مناخ التنسيق بين جهود الدعوة وزيادة وعي المجتمع ومشاركته في حل مختلف القضايا العامة والتنموية.

ولذلك جاءت هذه الدراسة بهدف إلقاء الضوء على الدور الذي تلعبه منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة من خلال عملية الشراكة.

أولاً- ماهية منظمات المجتمع المدني:

1- مفهوم منظمات المجتمع المدني:

نشأ مفهوم منظمات المجتمع المدني لأول مرة في الفكر اليوناني الإغريقي حيث أشار إليه أرسطو باعتباره "مجموعة سياسية تخضع للقوانين" أي أنه لم يكن يميز بين الدولة والمجتمع المدني، فالدولة في التفكير السياسي الأوروبي القديم يقصد بها مجتمع مدني يمثل تجمعا سياسيا أعضاؤه هم المواطنون الذين يعترفون بقوانين الدولة ويتصرفون وفقا لها.

تطور المفهوم بعد ذلك في القرن الثامن عشر مع تبلور علاقات الإنتاج الرأسمالية حيث بدأ التمييز بين الدولة ومنظمات المجتمع المدني. فطرح قضية تمركز السلطة السياسية وأن حركة الجمعيات هي النسق الأحق للدفاع ضد مخاطر الاستبداد السياسي.

وفى نهاية القرن الثامن عشر تأكد في الفكر السياسي الغربي ضرورة تقليص هيمنة الدولة لصالح منظمات المجتمع المدني الذي يجب أن يدير بنفسه أموره الذاتية وأن لا يترك للحكومة إلا القليل.

أما التحول الثاني لمفهوم منظمات المجتمع المدني حدث في القرن التاسع عشر حيث اعتبر كارل ماركس أن منظمات المجتمع المدني هو ساحة الصراع الطبقي.

في حين طرح غرامشي Gramsci مسألة منظمات المجتمع المدني في إطار مفهوم جديد في القرن العشرين، فكرته المركزية أن منظمات المجتمع المدني ليست ساحة للتنافس الاقتصادي بل ساحة للتنافس الإيديولوجي منطلقاً من التمييز بين السيطرة السياسية والهيمنة الإيديولوجية.

فمع نضج العلاقات الرأسمالية في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر وانقسام المجتمع إلى طبقات ذات مصالح متفاوتة أو متعارضة واحتدام الصراع الطبقي، كان لابد للرأسمالية (أي الطبقة السائدة) من بلورة آليات فعالة لإدارة هذا الصراع واحتوائه بما يضمن تحقيق مصالحها واستقرار المجتمع. ونجحت الرأسمالية الأوروبية بالفعل في أن تحقق هذا الهدف من خلال آليتين، الأولى هي آلية السيطرة المباشرة بواسطة جهاز الدولة، والثانية آلية الهيمنة الأيديولوجية والثقافية من خلال منظمات اجتماعية غير حكومية يمارس فيها الأفراد نشاطاً تطوعياً لحل مشاكلهم الفئوية والاجتماعية وتحسين أوضاعهم الثقافية والاقتصادية والمعيشية⁽¹⁾.

ويعرف البنك الدولي منظمات المجتمع المدني بأنه " تلك المجموعة الكبيرة من المنظمات غير الحكومية والمنظمات التي لا تهدف إلى الربح، وتمارس نشاطها في الحياة العامة، وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها أو الآخرين. ويشير مفهوم منظمات المجتمع المدني، حسب هذا الأخير إلى مجموعة كبيرة من المنظمات تضم: جمعيات المجتمعات المحلية، المنظمات غير الحكومية، النقابات العمالية، الجمعيات الخيرية، والمؤسسات⁽²⁾ .

وعرف عالم الاجتماع سعد الدين إبراهيم منظمات المجتمع المدني بـ: "الأفراد المنظمة من المجتمع العام لإدارة شؤونه، بالمشاركة من خلال مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والإدارة السليمة للتنوع والخلاف"⁽³⁾.

أما مفهوم غرامشي لمنظمات المجتمع المدني فيصفه بأنه " وجود خاص خارج نطاق الدولة، بالرغم من كونه على علاقة جوهرية بها، فهو يشكل مع الدولة ما يعرف (بالمنظومة السياسية في المجتمع بأحزابه ونقاباته وتياراته السياسية)⁽⁴⁾.

وعليه فمنظمات المجتمع المدني هي الأفراد والهيئات غير الرسمية بصفقتها عناصر فاعلة في معظم المجالات التربوية والاقتصادية والعائلية والصحية والثقافية والخيرية وغيرها. وتتكون هته الأخيرة من الهيئات التي تسمى في علم الاجتماع بالمؤسسات الثانوية مثل الجمعيات الأهلية والنقابات العمالية والمهنية وشركات الأعمال والغرف التجارية والصناعية وما شابهها من المؤسسات التطوعية.

ويمكن صياغة تعريف علمي محدد لها على أنها "مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، أي بين مؤسسات القرباة ومؤسسات الدولة التي لا مجال للاختيار في عضويتها، هذه التنظيمات التطوعية الحرة تنشأ لتحقيق مصالح أفرادها أو لتقديم خدمات للمواطنين أو لممارسة أنشطة إنسانية متنوعة، وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والمشاركة والإدارة السلمية للتنوع والاختلاف"⁽⁵⁾.

2. خصائص منظمات المجتمع المدني⁽⁶⁾

أ. منظمات المجتمع المدني هو مجتمع مستقل إلى حد كبير عن إشراف الدولة المباشر، فهي تتميز بالاستقلالية والتنظيم التلقائي وروح المبادرة الفردية

والجماعية، والعمل التطوعي، والحماسة من أجل خدمة المصلحة العامة، والدفاع عن حقوق الفئات الضعيفة.

ب. رغم أنها تعلي من شأن الفرد إلا أنها ليست مجتمع الفردية بل على العكس مجتمع التضامن عبر شبكة واسعة من المؤسسات.

ج. تتجسد في مؤسسات طوعية اجتماعية واقتصادية وثقافية وحقوقية متعددة تشكل في مجموعها القاعدة الأساسية التي تركز عليها مشروعية الدولة من جهة، ووسيلة محاسبتها إذا استدعى الأمر ذلك من جهة أخرى.

د. بالرغم من أن منظمات المجتمع المدني هي نتاج للتطور الرأسمالي إلا أنها ليست شأنًا رأسمالياً بحتاً بل يمكن أن تحقق من خلالها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية مصالحها مثل النقابات العمالية واتحادات صغار المنتجين والمستهلكين.

3. منظمات المجتمع المدني والتنمية:

تضمنت وثيقة الأهداف الإنمائية للألفية، والتي وقعت عليها دول العالم، تحديات أساسية على العالم مواجعتها حتى عام 2015، ويأتي في مقدمتها مكافحة الفقر، وتطوير التعليم وسد الفجوة النوعية، وتمكين المرأة وتعزيز المساواة بين الجنسين، وتطوير الخدمات الصحية والصحة الإنجابية... وغيرها من غايات أساسية، ومؤشرات لقياس مدى التقدم المحرز.

وتمثل هذه الأهداف وضرورة تحقيقها أساساً قوياً لأهمية مشاركة المجتمع المدني في التنمية الوطنية والمحلية، ومن المهم هنا الإشارة إلى أفكار ثلاثة أساسية عن المجتمع المدني تضمنتها هته الوثيقة:

الفكرة الأولى: التأكيد على مفهوم المجتمع المدني القوي، بمعنى الفعالية والكفاءة في تحقيق الأهداف والوصول إلى الفئات المستهدفة، وليس مجرد توافر بنية أساسية يكفل لنا القول بأن هناك مجتمعا مدنيا، ولا الاعتماد على الأرقام كأن نشير مثلا إلى زيادة عدد الجمعيات في بلد من البلدان أو محافظة من المحافظات، فهذا وحده لا ينطوي على مؤشرات لقوة المجتمع المدني⁽⁷⁾.

الفكرة الثانية: التأكيد على قيمة الشراكة Partnership، وهي فكرة برزت في التسعينات من القرن العشرين، ونصت عليها المواثيق العالمية بدءاً من مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية عام 1994. ويشير مفهوم الشراكة إلى: "علاقة بين طرفين أو أكثر، تتوجه لتحقيق النفع العام أو الصالح العام، وتستند على اعتبارات المساواة والاحترام والعطاء المتبادل، الذي يستند على التكامل، حيث يقدم كل طرف إمكانيات بشرية ومادية وفنية (أو جانب منها) لتعظيم المردود وتحقيق الأهداف، إن الشراكة بهذا المعنى ليست علاقة غير متكافئة يهيمن فيها طرف على الآخر.

وإنما هي علاقة تكامل وتقدير متبادل، يقدم فيه كل طرف بعض موارده لتعظيم النتائج. كذلك فإن الشراكة ليست إسناد مشروعات، بمعنى أن إسناد الحكومة لمشروعات تنفذها الجمعيات الأهلية ليس علاقة شراكة⁽⁸⁾.

الفكرة الثالثة: المشاركة الشعبية القاعدية، بمعنى تحريك همم وطاقات المواطنين في المجتمع المحلي للإسهام في مواجهة تحديات التنمية البشرية، وهو ما يشير إلى أهمية الدور الذي يلعبه المجتمع المدني لحفز الطاقات وتعبئة العمل التطوعي. وتشير هذه الفكرة إلى مفهوم الثقافة السياسية وطبيعتها (إذا كانت تشجع على المبادرات والمشاركة من عدمها)، كما تشير إلى فكرة ثقافة العمل التطوعي (بمعنى توافر قيم واتجاهات إيجابية تشجع على المبادرة الشخصية)⁽⁹⁾.

وتكشف هذه الأفكار الثلاثة التي تواضعت عليها الجهات الدولية ووكالات الأمم المتحدة أهمية تضمين المجتمع المدني في خطط التنمية المحلية وأهمية إقامة شراكة حقيقية وفاعلة بين هذه المنظمات من جهة والجهات التنفيذية والسلطات المحلية من جهة ثانية، والتنظيمات الشعبية المحلية المنتخبة من جهة ثالثة.

ثانياً: دور منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة:

1. مفهوم الشراكة:

من أهم المفاهيم التي أكدت على الشراكة بين الإدارة المحلية ومنظمات المجتمع المدني مفهوم Partnership ومفهوم الـ Gouvernance فلقد شهد العقد الماضي انتشارا واسعا لاستخدام مفهوم الشراكة، ويعني هذا المفهوم وفقا للبنك الدولي: نوع العلاقة بين الحكومة والمواطنين وليس مجرد التركيز على فعالية المؤسسات المتعلقة بإدارة شئون الدولة والمجتمع، ولذلك يركز المفهوم على المساءلة والشفافية والقدرة على التنبؤ، والمشاركة الواسعة في جميع قطاعات المجتمع⁽¹⁰⁾.

إن مفهوم الشراكة Partnership يختلط بعدة مفاهيم أخرى لها علاقة به، إلا أن دلالة كل مفهوم تختلف عن الآخر ومن ذلك مفهوم المشاركة Participation، أو التعاون، أو التنسيق. ومفهوم الشراكة يتضمن علاقة تكامل بين قدرات وإمكانات طرفين أو أكثر تتجه لتحقيق أهداف محددة، وفي إطار من المساواة بين الأطراف لتعظيم المزايا النسبية التي يتمتع بها كل طرف، وأيضا في إطار احترام كل طرف للآخر، وتوزيع الأدوار وتحمل المسؤوليات بقدر كبير من الشفافية.

واللافت أن الخطاب السياسي الرسمي في معظم الدول العربية يتحدث عن الشراكة ويعلن التزامه بها وتشجيعه لها، واعتبارها الحل الأمثل لمواجهة إخفاقات التنمية والأكثر من ذلك الاتجاه إلى التخلص من أعباء أساسية على الحكومة القيام بها ودفعها نحو دائرة شراكة المجتمع المدني. إن طرح الخطاب السياسي الرسمي العربي للشراكة لم يكن بمبادرة قومية وإنما أتى للتجاوب مع الخطاب العالمي من جانب وضغوط الإصلاح السياسي والاقتصادي الشامل من جانب أخرى، وعلى مستوى المبادرات العربية الإصلاحية، خاصة مؤتمر الإصلاح العربي في الإسكندرية، فإنه أيضا قد أكد على قيمة الشراكات الفاعلة⁽¹¹⁾.

ومن هنا نجد أن هناك فكرتان تساعدان على إبراز القضايا المرتبطة بالشراكة بين منظمات المجتمع المدني والإدارة المحلية هما: الشمول والتمكين لمنظمات المجتمع المدني.

فيتضمن الشمول تدريجيا كلا من العمليتين السياسيتين الديمقراطية التشاركية، والأهداف السياسية (تحسين ظروف المعيشة لجميع الفئات مع التركيز على المجموعات المهمشة وجماعات الأقلية). وفي كلتا الحالتين يكون الهدف الرئيسي هو تشييد هياكل تُمكن كل فرد بغض النظر عن الثروة والجنس والسن والسلالة والدين، من المشاركة بصورة منتجة وإيجابية في الفرص التي تتيحها الوحدات المحلية، أما التمكين فينطوي على إنشاء مؤسسات جديدة وتعزيز طرق عمل جديدة داخل نطاق المنظمات الحالية، وكذلك تقديم قواعد جديدة للعلاقات التي تربط بين المنظمات. ويؤدي هذا الأخير إلى تغيير القيم والمعايير المتعلقة بالاحترام بين المجموعات الاجتماعية بحيث لا يُهمش أحدها أو يفقد حق التعبير أو الاستماع إليه بسبب التمييز⁽¹²⁾.

ويمكن للمواطنين المشاركة من خلال عملية انتخابات المجالس المحلية، وعبر الإجراءات الإدارية والسياسية في تحديد أولويات البرامج التنموية وتنفيذها، وينبغي أن يسمع صوتهم في توزيع الخدمات وتركيزها : كالمدارس والمستشفيات ومختلف مؤسسات الخدمة الاجتماعية.

2. أهمية شراكة منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة:

لقد أصبح هناك قناعة واسعة لدى جهات التمويل والتنمية الدولية بوجود كثير من التحديات الصعبة التي تواجه العالم اليوم لا يمكن أن تحلها الحكومات وحدها، وإنما يستلزم الأمر مشاركة أصحاب المصلحة في ذلك لأن لديهم معلومات ضرورية وخبرات واتصالات بالدوائر الرئيسية.

حيث تتسم منظمات المجتمع المدني بالقدرة على تقديم الخدمات لجماعات مختلفة، وبمراعاة البعد الاجتماعي والإنساني، وتستطيع مؤسسات المجتمع المدني أن تؤدي دورها في التأثير على السياسة العامة من خلال تعبئة جهود قطاعات من المواطنين وحملها على المشاركة في تأدية الخدمات العامة، وتحقيق رضا المواطنين بتقديم سلع وخدمات لذوي الدخل المنخفضة بأسعار مناسبة⁽¹³⁾.

فهناك دلائل كثيرة توحي بأن رأس المال الاجتماعي - وهذا اختصار لمنافع التنظيم الاجتماعي كشبكات المشاركة المدنية ومعايير الثقة التي تيسر التنسيق والتعاون من أجل المنفعة المشتركة - له تأثير مهم على أداء الحكومات، وفي الحالات التي يشارك المواطنون ومنظماتهم المدنية المحلية في الشؤون العامة تزداد الديمقراطية وتصبح التنمية الاقتصادية فعالة.

والنتيجة الرئيسية لعدم إشراك المجتمع المحلي في الإدارة المحلية كجريمة حضرية في غالب الأحيان، هو انتشار الأحياء الفقيرة والعشوائيات وعدم المساواة النوعية. وتعمل هذه العوامل غالباً كمثبطات للاستثمار وللمنافسة. وفي الحقيقة أن هذه تكلفة تزيد عن أي تكلفة قد تكلفها العملية السياسية الشاملة، وفيما يتعلق بانتشار العشوائيات في الأحياء الفقيرة مثلاً، فإن إحدى وكالات الأمم المتحدة قد لاحظت في التقرير العالمي بشأن المستوطنات البشرية لعام 2003 بأن الفقراء يلعبون دوراً مهماً للغاية في تحسين ظروف معيشتهم الخاصة، وأن مشاركتهم في عملية صنع القرارات ليست فقط حقاً من حقوقهم بل ينبغي أن يكون هدفاً في حد ذاته لأنه سيساعد كذلك على تحقيق التنفيذ الفعال للسياسات العامة. ونتيجة لذلك فإن الاستثمار في تنمية الإسكان ينطوي على احتمالات زيادة فعالية سياسات القضاء على الأحياء الفقيرة⁽¹⁴⁾.

فقد بدأ تزايد دور منظمات المجتمع المدني في مجالات كانت تقتصر في الماضي على القطاع الحكومي فقط، وهو ما ترافق معه ارتفاع مساهمة ودور القطاع الخاص كطرف ثالث في عملية التنمية بالمشاركة، لما له من قدرات وخصوصية تمويلية تساعد على الإسراع في تنفيذ الأهداف التنموية للدولة. وقد كان لتنامي منظمات المجتمع المدني على المستويين الكمي والكمي أثره الواضح في توافر إمكانات الرهان على دورها المستقبلي في دعم آلية الديمقراطية بالمشاركة وتعبئة المواطنين، وإمكانية إنجاز تنمية حقيقية تلبي احتياجات المواطنين. وهو تطور يتوأكب ويتزايد دور هذه المنظمات عالمياً بعد أن أصبحت أحد فواعل النظام العالمي.

وأخيرا يبقى أن نذكر أن القيمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمنظمات المجتمع المدني تتحدد بمدى قدرتها على تبني وتحقيق أهداف محددة، يأتي في مقدمتها: القيام بأنشطة تساهم في إشباع الحاجات المادية، وغير المادية لفئات المجتمع المختلفة. والمتمثلة في الخدمات التعليمية والصحية وغيرها من الخدمات التي تحول إمكانات الدولة دون تقديمها على نطاق واسع أو التي يقدمها القطاع الخاص بتكلفة عالية تفوق القدرة المادية لتلك الفئات الاجتماعية. وكذلك بمدى قدرتها على دفع المواطنين وتشجيعهم على المشاركة الديمقراطية في صنع السياسات العامة وتنفيذها⁽¹⁵⁾.

3. أساليب شراكة منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة:

تستطيع مؤسسات المجتمع المدني وفي مختلف المجتمعات، أن تؤدي دور الحسم في الكثير من القضايا المحورية والمفصلية في المجتمع الذي تعيش فيه، وهي بذلك إما أن تكون أداة تدعم وتؤدي دور السلطة في تلك الدولة من أجل تعزيز مفاهيم الديمقراطية والحقوق المدنية والحكم الرشيد أو أن تلعب الدور العكسي، ذلك أن هذه المؤسسات يمكن أن تدعم السلطة (من خلال الشراكة) في تطوير الخدمات العامة من خلال الأطر الآتية⁽¹⁶⁾:

- تنفيذ حملات توعية مستمرة لتعزيز أطر التعاون والتفاعل ما بين مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع وأفراده، وذلك من خلال توفير المعلومات بالاتجاهين، ومع ذوي العلاقة، بخاصة في القضايا المحورية والحاسمة وذات المساس المباشر بحقوق الإنسان وحياته.
- المشاركة مع السلطات التنفيذية والتشريعية في مناقشة القضايا الهامة، خصوصا في صياغة القوانين وتعديلها، وكذلك في اتخاذ القرارات الإستراتيجية المتعلقة بمجودة الخدمات العامة.
- إعداد الدراسات والأبحاث حول القضايا والمشاكل المجتمعية كالفقر والبطالة، وقضايا المرأة والطفل، واقتراح الحلول ومناقشتها مع السلطات التنفيذية والتشريعية.

- الاستثمار في المشاريع ذات العلاقة في البند السابق بهدف تخفيف المشاكل المجتمعية، أو الحد منها ما أمكن.
- تقديم ومناقشة التقارير المتعلقة بالرقابة على أداء السلطات المختلفة، بهدف سد الثغرات والفجوات في الأداء، وتعزيز الأداء الإيجابي.
- العمل مع السلطات على تعزيز دور الفرد والجماعات من خلال ضمان الحقوق والحريات والحد من الانتهاكات، ومعاينة القائمين عليها.
- المساهمة الفاعلة مع السلطات ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة من أجل تعزيز سيادة القانون وممارسته بحرية وشفافية، وخضوع القائمين عليه للمساءلة.
- تنفيذ دراسات وأبحاث في مجال تطوير الخدمات العامة، وذلك بهدف تحقيق التوازن في التخطيط والتنفيذ، ونقل التنمية إلى مختلف المناطق بناء على الدراسات، بهدف سد الفجوات الحاصلة بين المناطق المختلفة.
- المساهمة مع السلطات في حل المشاكل والصعوبات الداخلية، بهدف تحقيق الاستقرار وتوفير الأمن، وذلك من خلال حملات توعية مستمرة.
- توفير المعلومات المتاحة لدى هذه المؤسسات لمتخذي القرار والمشرعين في السلطة، ذلك أن ما يمكن أن تصل له هذه المؤسسات من معلومات أكبر بكثير مما يمكن أن تصل له المؤسسة الرسمية.

4. فوائد الشراكة:

تتمثل فوائد الشراكة بين الإدارة المحلية ومنظمات المجتمع المدني في⁽¹⁷⁾:

أ. فوائد الشراكة للهيئات المحلية:

- ✓ تركيز الجهود في المشروع قيد البحث.
- ✓ الاستثمار الأمثل للموارد المتوفرة والاستفادة من ذوي الخبرة والكفاءة والاختصاص.
- ✓ تخفيف الأعباء عن الأجهزة الرسمية والحكومية في التنفيذ والمتابعة.

✓ الانتقال من النظام المركزي إلى النظام اللامركزي في تقديم الخدمات.

ب. فوائد الشراكة للمؤسسات المجتمع المدني الفاعلة:

✓ تثبيت مبادئ وقيم الديمقراطية.

✓ اشاعة قيم الحوار والتشاور والتكافل والتعاون.

✓ استثمار المؤسسات والأفراد في العمل البلدي.

✓ ضمان شفافية وعدالة توزيع الخدمات.

✓ تفعيل و تنشيط العمل الجماعي.

✓ تطوير آليات التعاون والشراكة.

ج. فوائد الشراكة بالنسبة لأفراد المجتمع المحلي:

✓ تلبية الاحتياجات الفردية، الخاصة منها والعامه.

✓ اشراك المواطنين في عمليات البناء والرقابة.

✓ الاستثمار الأمثل للاختصاصات والمؤهلات والخبرات.

✓ تشجيع فرص الابداع الفردي والعمل بروح الفريق.

ثالثا : تجارب حول دور منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة:

1- منظمة بيل غيتس Bill Gates الخيرية:

التي أسسها بيل غيتس Bill Gates صاحب شركة مايكرو سوفت

عملاق البرمجيات عام 2000، وذلك بعد دمج صندوقين خيريين في إطار العائلة،

حيث دجت مؤسسة غيتس التعليمية ومؤسسة ويليام اتش الصحية، قدرت أملاك

المؤسسة بـ 37.6 مليار دولار أمريكي وفقا لتقرير 11 يوليو 2007 .

الأهداف الرئيسية للمؤسسة على الصعيد العالمي هي:

أ. تعزيز الرعاية الصحية.

ب. الحد من الفقر المدقع.

ج. تعزيز المساواة بين الأوضاع الصحية والتعليمية في العالم.

د. وفي الولايات المتحدة، توسيع فرص التعليم والوصول إلى تكنولوجيا

المعلومات.

أما أهم المجالات التي يتمحور حولها عمل المنظمة فهي برامج الصحة العالمية، حيث تعتبر أكبر الممولين للأبحاث الطبية، فقد تبرعت في عام 2001 بمبلغ 168 مليون دولار لتمويل أبحاث في مجال مكافحة الملاريا، ووفرت 60 مليون دولار لتمويل بحوث مكافحة الايدز، إضافة إلى 38 مليون للمساعدة في أبحاث مكافحة السل⁽¹⁸⁾.

2. هيئة الأعمال الخيرية الإماراتية:

تأسست الهيئة في عام 1984م بمرسوم أميري من ديوان صاحب السمو الشيخ حمد بن راشد النعيمي وذلك حين اشتدت المجاعة في السودان في تلك السنة، ومن حينها والهيئة تمد يد العون لكل إنسان يحتاج للمساعدة في مشارق الأرض ومغاربها. وبما أن الهيئة منظمة خيرية إنسانية عالمية غير حكومية فإنها تسعى إلى تأدية رسالتها من خلال المساهمة في تحسين ظروف المحتاجين، ضمن تنمية مستدامة شاملة وبيئة صحية، منطلقة من مبادئها وثقة شركائها ومواكبة التطورات التقنية، متطلعة نحو الريادة والتميز.

والهيئة في مجمل أعمالها وأنشطتها تهدف إلى :

أ. تطوير وتنمية المجتمعات الإنسانية المحتاجة بالعمل على تحسين أوضاعها التعليمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية.

ب. الإسهام في إغاثة المجتمعات المتضررة من جراء الكوارث الطبيعية والنكبات الاجتماعية.

ج. سد حاجات الأيتام وتحسين أحوالهم الصحية والنفسية والاجتماعية.

د. تقوية الصلات والروابط بين الهيئة ومثيلاتها للوقوف على أحدث

النظم التي تأخذ بها الأمم في هذا المجال.

وقد سجلت هيئة الأعمال الخيرية حضورا مشرفا في مجال العمل الخيري والإنساني محليا وإقليميا وعالميا فالهيئة حائزة على الصفة الاستشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة وعلى العضوية الدائمة في المجلس الإسلامي للدعوة والإغاثة في القاهرة وعلى صفة مراقب في مجلس الصندوق

الدولي للتنمية الزراعية (ايفاد) وعضوية المجلس العالمي للمنظمات التطوعية (ICVA)⁽¹⁹⁾.

كما وقعت العديد من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم مع منظمات أممية مثل: اليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

ميدانيا فإن هيئة الأعمال الخيرية تنتشر في أكثر من 12 دولة تقدم من خلالها العون اللازم لتنمية المجتمعات الفقيرة تنمية مستدامة عبر أربعة برامج رئيسية: هي برنامج التنمية الاجتماعية، برنامج التنمية التعليمية، برنامج التنمية الصحية وبرنامج الإغاثة العاجلة.

فضمن برنامج التنمية الاجتماعية نفذت الهيئة مشاريع توفير المياه مثل توفير برادات المياه، حفر الآبار السطحية والآبار الارتوازية وذلك في المناطق التي يصعب على سكانها الوصول إلى مياه الشرب. كما يشمل البرنامج الاجتماعي مشاريع تنمية الأسر الفقيرة عبر تملكهم أدوات حرفية مثل ماكينات خياطة، عربات نقل، أو تملكهم ثروات حيوانية وأراضي زراعية تكون سبيل عيش لهم. وقد ساهمت هذه المشاريع في تحقيق الاكتفاء الذاتي للأسر المستفيدة. ومن أميز مشاريع الهيئة في البرنامج الاجتماعي مشروع رعاية الأيتام والطفولة حيث استطاعت الهيئة خلال مسيرتها كفالة أكثر من 50000 يتيم في مختلف البلدان التي تعمل فيها، حيث تقدم لهم الرعاية الاجتماعية والتعليمية والصحية.

أما في إطار البرنامج التعليمي فقد قامت الهيئة بتنفيذ مشاريع عديدة مثل بناء وصيانة المساجد، بناء المدارس والمراكز التعليمية وتأثيثها وتسييرها، توزيع الحقائب المدرسية مع كافة مستلزماتها. كما أولت اهتماما خاصا بمشاريع بناء مراكز تأهيل الأيتام حيث يتم تدريبهم وتأهيلهم مهنيا ليكونوا أفرادا نافعين في مجتمعاتهم ويرسخ فيهم مبدأ الاعتماد على الذات.

في حين اشتمل البرنامج الصحي على مشاريع متنوعة مثل بناء وتجهيز المستشفيات والمراكز الصحية، تسيير عيادات متنقلة وقوافل صحية لمكافحة

الأمراض الفتاكة في المناطق النائية والتي يفتقر سكانها إلى الخدمات الصحية، كما قامت الهيئة بتنفيذ العديد من حملات مكافحة العمى وقد تمكنت بفضل الله من إعادة نعمة البصر لآلاف المكفوفين. كما حظي ذوو الاحتياجات الخاصة باهتمام خاص من قبل الهيئة حيث قامت بتوزيع آلاف الكراسي المتحركة للمقعدين وأجهزة السمع. كما أنشأت مصنعا للأطراف الصناعية في فلسطين.

وأخيرا برنامج الإغاثة، فقد كانت انطلاقة هيئة الأعمال الخيرية عام 1984 سببها الجفاف الذي ضرب منطقة القرن الإفريقي فكان مشروع إغاثة المتضررين من الجفاف في القرن الإفريقي بداية انطلاق مشاريعها. ومع تنامي الكوارث والحروب تعاضمت مسؤولية الهيئة تجاه المتضررين، ولبت إغاثة المتضررين خلال الحروب والنزاعات كما حدث في البلقان البوسنة والهرسك عام 1993 وكوسوفا في 1998 والعراق وفلسطين ودارفور بالسودان. وعلى مدى العقدين الماضيين سيرت الهيئة حملات إغاثة ضخمة للمتضررين من الكوارث الطبيعية أحدثها إغاثة المتضررين من الجفاف في النيجر والصومال وكينيا ومنكوبي زلزال تسونامي في سريلانكا، ومنكوبي زلزال باكستان وإيران. ولا تزال الهيئة تسير حملات لمراكز التغذية للأطفال المصابين بسوء التغذية في النيجر⁽²⁰⁾.

رابعا: مقترحات لتفعيل دور منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة:

لتفعيل دور منظمات المجتمع المدني في تطوير الخدمات العامة من خلال الشراكة مع الإدارة المحلية لا بد من⁽²¹⁾:

1. مقترحات متعلقة بمنظمات المجتمع المدني

✓ خلق أبنية مؤسساتية فعالة تقوم بتقوية منظمات المجتمع المدني وتحويلها إلى مؤسسات تتوافر لها المقومات الأساسية التي لا يمكن بدونها أن تمارس نشاطها كمؤسسة، مثل توفر البيئة الحقوقية التي تحدد وضعها القانوني في المجتمع.

- ✓ تطوير وسائل الدعم وتمويل العمل التطوعي بموارد ذاتية، كإنشاء صندوق لدعم عمل منظمات المجتمع المدني.
- ✓ إنشاء شبكات من المنظمات والجمعيات التي تلتقي حول الأهداف نفسها، أو شبكات أوسع لتعزيز التضامن بين قوى المجتمع المدني وتجميع إمكانياتها.
- ✓ ضرورة تفعيل الإصلاح الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، واعتماد مبدأ الديمقراطية.

2. مقترحات متعلقة بالإدارة المحلية

- تعديل القوانين ذات العلاقة بالشراكة بين الإدارة المحلية والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني.
- إنشاء هيئات وطنية شبه حكومية وبقانون خاص مهمتها رعاية ودعم الشراكة بين الإدارة المحلية والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني.
- تفعيل دور وسائل الإعلام كافة في نشر المعلومات وخلق حالة من الاستقطاب والدعم لمفهوم الشراكة.
- توفي الدعم الفني لهيئات الإدارة المحلية التي تنقصها الخبرة في مجال الشراكة مع القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني حتى تصبح قادرة على فعل ذلك بنفسها.

خاتمة:

تعتبر مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته المختلفة ركيزة هامة من ركائز التنمية المتوازنة والمستدامة، ومن أهم المؤسسات الفاعلة في صنع السياسات العامة للدولة وتشكيلها إلى جوار دور الدولة والقطاع الخاص، أحد البنود الأساسية في إنشاء عقد اجتماعي جديد يفتح الطريق لمشاركة أوسع من جانب المواطنين وانخراطهم بدرجة أكبر في الواجبات والحقوق المدنية، كل ذلك يتيح تحقيق تنمية متكاملة تهدف إلى تحسين جودة الخدمات العامة.

إن قطاع المجتمع المدني بمنظماته المختلفة يتمتع بإمكانات وموارد ضخمة من شأنها تعويض قصور موارد الحكومة التي أصبحت عاجزة عن تقديم أي حلول ناجحة للمواطن في الكثير من مناحي الحياة. كما أن دور هذه المنظمات يمكن أن يتسع ليشمل برامج عديدة لتنمية وتطوير المرأة ولتعليم البنات ومحو الأمية وإنشاء رياض الأطفال ونوادي الشباب وجمعيات مناهضة الاحتكار وحماية المستهلك والبيئة وأندية تكنولوجيا المعلومات، علاوة على أن هذه الجمعيات تشكل الجسر الصحيح لإعادة الثقة في علاقة الدولة بالمواطن، والإدارة المثلى لتحقيق توازن المصالح في المجتمعات المحلية، والوسيط النزاهة لفض النزاعات الأهلية والطائفية، لأنها لا تتحرك بنوازع الوصول إلى السلطة ولا تستهدف من وراء نشاطها تحقيق الربح. وفي هذا الجانب يجب على القائمين على أمر منظمات المجتمع المدني العمل بكل الجهد للاستفادة من الموارد والإمكانات البشرية والمادية التي تتمتع وتزخر بها هذه المنظمات.

❖ هوامش البحث

- (1) أحمد إبراهيم ملاوي، أهمية منظمات المجتمع المدني في التنمية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 24، العدد الثاني، 2008، ص: 258.
- (2) نيفين زكريا أبو الذهب، دور المنظمات غير الحكومية في المجتمع الخليجي، مجلة دراسات، العدد 37، 2003، ص: 28.
- (3) وفاء كاظم الشمري، المجتمع المدني، الدار الأكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر، طرابلس، 2008، ص: 17.
- (4) المرجع السابق، ص: 19.
- (5) [محمد الفاتح عبد الوهاب العتيبي](http://www.ahewar.org/debat/show.cat.asp?cid=165)، منظمات المجتمع المدني النشأة الآليات وأدوات العمل وتحقيق الأهداف، الحوار المتمدن - العدد: 2724 - 2009 / 7 / 31 ، www.ahewar.org/debat/show.cat.asp?cid=165 ،
- (6) أيمن عقيل وآخرون، المجالس الشعبية المحلية، الواقع-المشكلة والحل، مجلة ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية، مصر، 2009، ص: 90.
- (7) وفاء كاظم الشمري، مرجع سابق، ص: 179.
- (8) حمد محمود الطعمانة، سمير محمد عبد الوهاب، الحكم المحلي في الوطن العربي واتجاهات التطوير، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2005، ص: 372.
- (9) أيمن عقيل وآخرون، مرجع سابق، 91
- (10) حمد محمود الطعمانة، سمير محمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص: 372.
- (11) [محمد الفاتح عبد الوهاب العتيبي](http://www.ahewar.org/debat/show.cat.asp?cid=165)، منظمات المجتمع المدني النشأة الآليات وأدوات العمل وتحقيق الأهداف، مرجع سابق.
- (12) أيمن عقيل وآخرون، مرجع سابق، ص: 92.
- (13) حمد محمود الطعمانة، سمير محمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص: 375.
- (14) أيمن عقيل وآخرون، مرجع سابق، ص: 92.

- (15) منصورى كمال، الدور المرتقب للقطاع الثالث فى ظل تداعيات الأزمة المالية، اليوم الدراسى حول الأزمة المالية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة بسكرة، 19 جانفى 2009، ص:5
- (16) سامر عبده عقروق، دور مؤسسات المجتمع المدني (الأهلى) فى تعزيز مفاهيم الحكم الرشيد، www.najah.edu/ar/33954
- (17) المشاركة والمشورة المجتمعية، دليل عملى تدريب، صندوق تطوير واقراض البلديات، أيار 2009، ص11.
<http://www.mdlf.org.ps/pdfs/public%20participation%20manual.pdf>
- (18) كمال منصورى، مرجع سابق، ص:18
- (19) أحمد إبراهيم ملاوى، مرجع سابق، ص:269.
- (20) نظر موقع هيئة الأعمال الخيرية الامارتية على الانترنت
<https://www.hai.ae/ar/about-hai/historical-overview.aspx>
- (21) وفاء كاظم الشمري، مرجع سابق، ص:235.

الانتماء النقابي والإضرابات في الجزائر

دراسة ميدانية للنقابات المستقلة في قطاع التربية

الدكتور: منير صوالحية

جامعة تبسة، الجزائر

الملخص:

جاءت هذه الدراسة لتبين طبيعة العلاقة النقابية لأساتذة الثانويات، وموقفهم من المشاركة في الإضرابات التي تدعو إليها النقابات المستقلة في قطاع التربية، استخدمت الاستمارة بعد تحكيمها، وتوزيعها على عينة الدراسة المقدرة بـ (531) أستاذًا من (26) ثانوية في الجزائر، وكان من أهم نتائج الدراسة ما يلي: في الجزائر نجد الكثير من الامتدادات بين السياسي والاجتماعي، ومعظم الأساتذة هم منخرطون لا يضطلعون بأنشطة نقابية. نوعية المطالب هي العامل الرئيسي في تجنيد الأساتذة، ووجود مطلب الأجور على قائمة اللائحة المطالبية كافيًا في رفع نسبة الانخراط في حين أن غيابه يقلل منها.

Abstract:

This study indicated the nature of the relationship of association for teachers of secondary schools, and their position on the participation in the strikes called by independent Syndicates in the education sector. The researcher used a form prepared for this purpose, to be distributed to a sample study estimated (531) teachers from (26) secondary schools in Algeria. The most important results of the study include: A lot of extensions between the political and the social fields in Algeria, Most teachers engaged in Syndicate activities do not fulfill their duties, quality demands that are the main factor in the engagements, and the demand for wages on the list of their demands enough to raise the proportion of engagement while the absence reduces them.

مقدمة:

لقد استطاعت النقابات المستقلة في الجزائر، خلال بداية هذا القرن، في دفع الحكومة وأرباب العمل إلى طاولة المفاوضات والحوار وفي تحقيق العديد من المكاسب للعمال، قد مثل في منظور أغلب التحليل أهم مؤشر دال على ما بلغته هذه النقابات من نديّة في التعامل مع أرباب العمل ومن استقلالية في القرار اتجاء الحكومة.

وأمام هذا الوضع تبقى السلطات الجزائرية لا تعترف بتمثيلها رغم ما أحدثته من حشد في صفوفها ونجاح الإضرابات التي نظمتها، وترى دائما الاتحاد العام للعمال الجزائريين الشريك الاجتماعي الوحيد الممثل للعمال. لقد لجأت النقابات المستقلة إلى الإضرابات فكان الهدف الأساسي منها توحيد العمال والحصول على أجر أفضل، فتحرّكت تحركا استراتيجيا للضغط، ترتب عليه قدرة متنامية على تشجيع أكثر من قطاع لشن إضرابات مطلبية، وعلى تعبئة ما تحتاجه هذه الإضرابات من إضرابات تضامنية. أما الغاية من تلك الإضرابات وذاك التضامن فهي التأكيد الاستعراضي على وجود قوة اجتماعية موحدة يمكن الاستناد إليها للتأثير على القرار السياسي للحكومة.

مشكلة الدراسة:

بعد الفترة الموالية لعشرية التسعينيات المتوترة، تم إبرام العقد الاقتصادي الاجتماعي سنة 2006م⁽¹⁾، الذي أخضع المركزية النقابية لتوجهات الحكومة في إدارة الحياة السياسية والاجتماعية، وتحرم الطرف النقابي من الإضراب الذي صار من الصعب اعتماده بفعل التزام القيادة النقابية المركزية بمبدأ السلم الاجتماعي وحرصها على الخروج في نهاية الأمر بزيادة في الأجور، وحتى وإن كانت لا تغطي التدهور الحاصل في القدرة الشرائية. وتحتفظ قيادة المركزية النقابية بجد أدنى من النفوذ، يتيح المشاركة في المفاوضات الدورية، بحكم أنها نقابة مركزية متواجدة

في جميع القطاعات وعلى مستوى جميع التراب الوطني. وفي المقابل نجد النقابات المستقلة في علاقتها مع الحكومة يصير الخطاب النقابي تجاهها نقديا والعلاقة معها أقرب إلى الاستقلالية، كما أنها ليست بديلا شاملا للاتحاد العام للعمال الجزائريين (المركزية النقابية)، فهي تنشط أساسا في الوظيفة العمومية ولا وجود لها خارجها⁽²⁾ والحكومة الجزائرية لا تفاوض النقابات المستقلة إلا على مطالب محدودة وترفض اعتبارها شريكا اجتماعيا في المفاوضات ذات الصبغة الشاملة.

إن النقابات تشكل منفعة إيجابية للنظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي من خلال ما يمكن أن تسهم به في تحقيق الانسجام في العلاقات بين الإدارة والعمال، كما يمكن للنقابات دعم الاستقرار عن طريق إنجاز صيغ للعقود تلزم جميع الأعضاء. وبإمكان العقود الخاصة بالأجور أن تنهي الإضرابات غير المشروعة التي لا تجيزها الحكومة.

في الجزائر هل أسهمت النقابات المستقلة في ارتفاع الأجور؟ وما هي أهم المطالب التي ترفعها؟ وما هي النتائج التي توصلت إليها من خلال الإضرابات التي قامت بها وشهدتها قطاع التربية في الفترة الأخيرة؟

أهمية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة في ظل الحراك الاجتماعي الذي تعرفه الجزائر ودول الجوار، وخاصة في ظل الحركات الاحتجاجية التي مست مختلف القطاعات ومنها قطاع التربية في الجزائر، الذي عرف الكثير من الإضرابات التي شنتها الأسرة التربوية بجميع فئاتها وأسلاكها، هذه الدراسة تسلط الضوء على أساليب العمل المعتمدة من طرف النقابات المستقلة التي تتبنى المطالب المهنية لأساتذة الثانويات. وعلى إثر هذه الحركات الاحتجاجية تحركت الحكومة الجزائرية وشرعت في مراجعة القوانين الأساسية والأنظمة التعويضية لمختلف القطاعات بما فيها قطاع

التربية، في خضم ذلك حاولت هذه الدراسة تتبع مراحل الحوار الاجتماعي الذي أدارته وزارة التربية الجزائرية قصد شراء السلم الاجتماعي في الجزائر.

أهداف الدراسة:

- التعرف على واقع العمل النقابي بالمؤسسة التعليمية ومساهمة النقابات المستقلة في تحقيق مطالب أساتذة الثانويات بالجزائر.
- معرفة أساليب العمل النقابي في قطاع التربية بالجزائر.
- محاولة التعرف على موقف أساتذة الثانويات من الانخراط في النقابة، والإضرابات في قطاع التربية.
- الكشف عن الانتماء النقابي وعلاقته بالمطالب المهنية لأساتذة الثانويات في الجزائر.

فرضيات الدراسة:

- الفرضية الأولى: تنحصر العلاقة النقابية في الانخراط الشكلي وتتأثر بالانتماء السياسي لأساتذة الثانويات في الجزائر.
- الفرضية الثانية: اللجوء إلى الإضرابات عند وجود مطلب الأجور يعزز الانتماء النقابي لأساتذة الثانويات في الجزائر.
- مفهوم النقابة: النقابة هي تجسيد للعمل الجماعي المنظم للعمال، كما يعتبر وجود النقابات والاعتراف بحق التمثيل النقابي مظهر من مظاهر الديمقراطية كرسه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وكذلك الدستور الجزائري لسنتي 1989م، 1996م. حيث تنص المادة الثانية من قانون 90-14 المؤرخ في 02 جوان 1990: "يحق للعمال الأجراء من جهة والمستخدمين من جهة أخرى الذين يتمون إلى المهنة الواحدة أو الفرع الواحد أو قطاع النشاط أن يكونوا منظمات نقابية للدفاع عن مصالحهم طبقا لقانونها الأساسي إذا ضمت ثلاثين منخرط على الأقل في أي مؤسسة.⁽³⁾ فالنقابة هي منظمة دائمة للعمال هدفها الدفاع عن مصالحهم المشتركة

وتحسين أحوال معيشتهم⁽⁴⁾. وهي تجمع بين مجموعة من الأفراد المشتركين في مهنة واحدة، تجمع بينهم في رباط أشبه ما يكون بالرباط العائلي، لكنه لا يقوم على رابطة الدم، بل على رباط المهنة⁽⁵⁾.

والمفهوم المعاصر للنقابة يورد شرطين أساسيين للنقابة هما: أولاً أن يكون لدى أعضاء المهنة معرفة دقيقة و متميزة، وذات طابع تخصصي، ومفيدة للآخرين، ومن غير الميسور للإنسان العادي أن يتقنها، لأنها تتطلب تعليماً وتدريباً طويلاً الأجل. وثانياً: أن يقوم أعضاء النقابة بسن مجموعة من المبادئ والقيم والقواعد التي تحدد طبيعة الممارسة المهنية والأخلاقيات التي تحكمها، ويشترط أن تختلف عمّا سواها من المبادئ والقيم والقواعد التي تحكم أي مواطن عادي أو تحكم العمال غير المتخصصين، وتكون بمثابة معايير مهنية ملزمة⁽⁶⁾ في النقابة هناك قواعد للسلوك تفوق تلك المطلوبة من فئات المجتمع الأخرى، إذ يجب على النقابي الالتزام بمستوى من الانضباط أكبر من المستوى الذي يخضع له الآخرون من غير المنتمين إلى النقابة، وهو المستوى الذي يستلزمه الميثاق الأخلاقي للسلوك الذي تضعه النقابة التي تجمع أعضاء المهنة في جماعة مهنية واحدة ذاتية التنظيم⁽⁷⁾.

للنقابة دور في المساومة الجماعية بشأن شروط الاستخدام، ولرعاية مصالح أعضائها الاقتصادية والاجتماعية، عن طريق الضغط على الحكومات والهيئات التشريعية، والالتجاء إلى العمل السياسي في بعض حالات معينة⁽⁸⁾. والنقابة إحدى الوسائل المحورية التي تنقذ المجتمع المدني من التشتت والتفكك، وتجعل لأفراده نظاماً ونسقاً، فهي التي تحافظ على الفرد في مكانه في النظام الإجمالي للتجمع المدني، وتمنعه من الابتعاد عنه، وتدخله في شكل من التضامن الجماعي مع أعضائها⁽⁹⁾. وتمثل الرابطة النقابية معلماً حيويًا من معالم التطور الحتمي الذي ينقل المجتمع من مرحلة الروابط العرقية والقبلية إلى مرحلة الروابط المدنية⁽¹⁰⁾.

ومن حيث أساليب العمل النقابي فإننا أمام ثلاث أنماط من النقابية العمالية: النقابية الثورية تميز عادة النقابات الحديثة الظهور حيث يلتزم أصحابها بالمواقف نوعا ما راديكالية في مواجهة أرباب العمل، وذات مرجعيات أساسية مناهضة للسلطة ولذلك أهم ما يميز نشاطاتها هو الاحتجاج والإضرابات المتكررة والعنيفة نوعا ما، ونقابية الأعمال والتي هي بدورها لا تنكر الإضراب إلا أن الوصول إلى هذا الحل عادة ما يكون بعد استنفاد الحلول ولعل أهمها الحوار الجماعي، وهناك الشكل الأخير وهو النقابية الواجهة وهي نقابات تدور في فلك الحكومة وأرباب العمل ولا تملك أيديولوجيا بارزة بل أكثر من ذلك فكل نشاطاتها من إملاء الحكومة وأرباب العمل. أما في الجزائر ظهرت منذ سنة 1989م نقابات وتأسست في قطاعات مختلفة بنسبة تمثيلية ضئيلة، وسميت بالمستقلة إشارة إلى استقلالها عن الاتحاد العام للعمال الجزائريين.

مفهوم الانتماء النقابي:

إن الانتماء النقابي ليس هو الهوية النقابية أو الحضور الشكلي والهامشي داخل مقرات النقابات، وإنما هو الممارسات الفعلية التي يؤديها العامل النقابي داخل نقابته والتي من خلالها نستطيع تحقيق منجزات اقتصادية واجتماعية وسياسية له ولطبقة العمالية.⁽¹¹⁾ هناك ثلاثة أشكال أو درجات للانتماء النقابي، هذه الدرجات أضعفها سلوك العزوف واللامبالاة وأبعدها أثرا درجة الاحترافية المميزة للأقلية المسيّرة لهماكل التنظيم والقرار والنواة الصلبة من العمال القريبة منها جهويا ومركزيا، وبينهما درجة وسطى هي منزلة السلوك الانتقائي الذي يوازن بين مستوى الاستثمار النقابي والمكاسب الفردية.

بحسب آلان توران الحركة العمالية تتكون من فئتين مختلفتين من العمال: العامل الأكثر مهنية والأكثر كفاءة والأكثر فتوية من جهة، والعامل الأكثر بروليتارية، وأكثر تخصص والأكثر وعي بانتمائهم الطبقي وإن انصهارهم في حركة عمالية موحدة صار أكثر صعوبة، وكتيجة لذلك فإن الحركة العمالية

تميل نحو التفكك.⁽¹²⁾ الأمر الذي قد يدفع بالنقابية الالتحاق بالسياسي، حيث تلجأ الحركة النقابية كتنظيم بالتقرب إلى مراكز السلطة السياسية من دون دعم قوي لحركة عمالية موحدة، أين يظهر خطر الفتويين الجدد، وهي طريقة تتبعها النقابية من خلال تحالفها مع الحركات الاجتماعية الجديدة، ومن ثم هناك خطر خسارة دعم القاعدة العمالية لها.⁽¹³⁾ بهذا الدور تفقد النقابة الشرعية المبنية على أساس الدفاع على حقوق العمال المهضومة لصالح التضامن مع السياسي لأغراض لا يمكن أن تفهم في هذا السياق إلا بالمصلحة الفئوية لقادة النقابية.

النقابات المستقلة في قطاع التربية:

إن تعدد النقابات يؤدي إلى تقوية وتدعيم القوة النقابية للمطالبة بحقوقهم وإشراكهم في إعداد عقود العمل أو اتفاقية العمل الجماعية، وبحكم تعدد قطاعات النشاطات يمكن أن تتجمع النقابات في اتحاد أو اتحادات مهنية ليكون هذا التجمع أشد تنظيمًا، كما يمكن أن يكون هذا التجمع على أساس إقليمي أو مهني.⁽¹⁴⁾

يمكن أن تؤدي التعددية النقابية إلى المنافسة بين النقابات المختلفة على خدمة العمال ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والمهني من خلال تقديم الخدمات والتعليم والتدريب. كما يمكن أن تكفل التعددية ممارسة ديمقراطية أفضل داخل النقابة وتسمح للتقييم المستمر للأداء النقابي. فوجود نقابات سيدفع العمال للاختيار ويحطم الاحتكار ويحمل النقابة على أن تعمل في مناخ المنافسة.

إذ يعد قطاع التربية من بين أهم القطاعات التي شهدت التعددية النقابية، ونذكر من أبرز التنظيمات النقابية المستقلة في هذا القطاع ما يلي: المجلس الوطني المستقل لأساتذة التعليم الثانوي والتقني CNAPEST، نقابة وطنية مفتوحة لكل أساتذة التعليم الثانوي والتقني، تأسست في 17/04/2003م، مستقلة عن وصاية حزبية وعن مؤسسات الدولة، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية. والاتحاد الوطني لعمال التربية والتكوين UNPEF، منظمة نقابية حرة معتمدة

بتاريخ 1990/10/28، وهو عضو في الأمانة للتربية والاتحاد الإسلامي الدولي للعمل والنقابة الوطنية لعمال التربية SNTE، منظمة نقابية مستقلة ديمقراطية غير حكومية معتمدة بتاريخ 2000/04/15. ومجلس ثانويات الجزائر CLA، تنظيماً ديمقراطياً موحد مفتوحاً لجميع الأساتذة العاملين في طور التعليم الثانوي. والنقابة الوطنية المستقلة لأساتذة التعليم الثانوي والتقني SNAPEST. والنقابة المستقلة لعمال التربية والتكوين SATEF. والاتحادية الوطنية للتربية UNE تابعة للنقابة الوطنية المستقلة لمستخدمي الإدارة العمومية.⁽¹⁵⁾

النقابات المستقلة والإضرابات في قطاع التربية:

تبتت الجزائر منذ عام 1990م مبدأ الحوار الاجتماعي وقد حقق الاتحاد العام للعمال الجزائريين عدة إنجازات،⁽¹⁶⁾ والآن دخل الاتحاد في مرحلة تجديد العقد الاقتصادي الاجتماعي. من خلال عقد القمة الثلاثية يومي 29 - 30 سبتمبر 2011م ضمت ممثلي الحكومة وممثلي المركزية النقابية وممثلي منظمات أرباب العمل.⁽¹⁷⁾ وبخصوص موقف النقابات المستقلة من عقد الثلاثية، فقد نظمت نقابات التربية إضراب يوم 29 سبتمبر 2011م تنديداً بإقصائها من لقاء الثلاثية، وقد تم الاتفاق على تنظيم التجمع الاحتجاجي وذلك في إطار "ما بين النقابات" بالتوازي مع انعقاد الثلاثية للتعبير عن التنديد القوي بإقصاء النقابات المستقلة في الوظيف العمومي من لقاء الثلاثية، وبغرض المطالبة بمراجعة قيمة النقطة الاستدلالية، وإلغاء المادة 87 مكرر ورفع الحد الأدنى للأجور إلى 35 ألف دينار جزائري مع استحداث منحة خاصة ترتفع كلما ارتفع مؤشر المعيشة مثلما معمول به في باقي الدول.

وصنفت النقابات المستقلة في مختلف القطاعات لقاء الثلاثية وما أسفر عنه من نتائج باللاحق ولم يلبى أي من المطالب الاجتماعية لمستخدمي الوظيف العمومي، واعتبرت أن هذا اللقاء أبقى الأمور في نقطة الصفر على اعتبار أن الحكومة تحاور نفسها طالما أن المتفاوض باسم العمال - حسبهم - هو متحدث باسم الحكومة ومطالب بالمصادقة على قراراتها.

إن غلق الحوار مع العمال يدفع إلى نوع من التضامن فيما بينهم واللجوء في نهاية الأمر إلى الإضراب للتعبير عن مطالبهم كأسلوب لثني أرباب العمل ومحاولة جبرهم على الاعتراف بالنقابة والمطالب التي ترفعها، ومن ثم الحوار معها كممثل شرعي للعمال. فالقاعدة في هذه النزعة النقابية أن الإضرابات لا تشن بصفة لا نهائية بحيث تؤثر سلبا على قدرة المضربين الشرائية، لذلك يحرص منفذوها على أن يكون مآل النزاع تفاوضا تتحقق عبره كل الأهداف أو بعضها، وفي أسوء الأحوال على أن لا يفوت حد المجازفة عتبة ما كان مؤملا من مكاسب.⁽¹⁸⁾ وتجدر الإشارة أن القانون الجزائري رقم 90-02 المؤرخ في 06 فيفري 1990م قد وضع شروط وقيود في ممارسة حق الإضراب يتمثل في إلزام المضربين بتقديم الحد الأدنى من الخدمة الدائمة الضرورية خاصة في بعض القطاعات، ويحدد بمقتضى الاتفاقات الجماعية أو من طرف السلطة العامة بعد استشارة ممثلي العمال⁽¹⁹⁾.

وبخصوص الإضرابات في قطاع التربية فكانت بسبب ثلاث ملفات أساسية هي: - مراجعة النظام التعويضي لموظفي التربية بما يضمن العدالة والانسجام مع باقي القطاعات - إعادة النظر في القانون الأساسي لعمال التربية لتدارك الاختلالات الناجمة في التصنيف والترقية والإدماج لبعض الأسلاك - تسيير أموال الخدمات الاجتماعية بكيفية تراعي مبدئين أساسيين هما: الانتخاب والتضامن⁽²⁰⁾.

ومن أهم الإضرابات التي قامت بها النقابات المستقلة في قطاع التربية (مجتمعة أو منفردة) نذكر منها: إضراب وطني شامل بدءا من 08 نوفمبر 2009م وقد استمر هذا الإضراب حوالي 24 يوما - إضراب وطني شامل بدءا من 24 فيفري 2010م والذي كانت مدته أسبوع وتم تجديده لأسبوع آخر، لكن الوزارة قامت بتوجيه تهديد صريح للنقابات بوقف الإضراب بعد أن قضت المحكمة بعدم

مشروعيتها و أمهلت المضربين حتى 08 مارس 2010م للعودة للعمل وإلا تسلط عليهم عقوبة العزل من الوظيفة العمومية وقد سارعت النقابات لوقف الإضراب دون تحقيق أي مطلب من المطالب المرفوعة⁽²¹⁾.

كما التزمت الوزارة بعدم خصم أيام الإضراب مع إلغاء كل المتابعات القضائية والتبعات الإدارية ضد جميع المضربين على أن يتم استدراك ما فات من الدروس حسب ظروف المؤسسات التربوية لكل ولاية - بعد عام من الإضراب السابق عادت الحركة الاحتجاجية مع إضراب آخر كان مزعم القيام به بتاريخ 25- 26- 27 أبريل 2011م من طرف نقابتي CNAPEST, UNPEF لكن تم تعليقه بالنظر إلى الاتفاق الموقع مع وزارة التربية لتحقيق كل المطالب المرفوعة في محضر جلسة مؤرخ في 21 أبريل 2011م.

ومع الدخول المدرسي 2011/ 2012 هددت النقابات المستقلة مرة أخرى بالإضراب وبنفس المطالب المرفوعة سنة 2009م مع ازدياد عدد المطالب في كل مرة وقد بادرت الوزارة إلى دعوة نقابات التربية لعقد لقاء في 09 سبتمبر 2011م مع الأمين العام للوزارة و بحضور ممثلين عن وزارة المالية والمديرية العامة للوظيفة العمومية، وقد تمخض عن هذا اللقاء جملة من القرارات دونت في محضر اجتماع وقامت النقابات بتسويقها إعلاميا كانتصار حقيقته لعمال التربية، رغم أن الأمر كان مجرد وعود مؤجلة وقرارات يتأمل صدورها قبل نهاية سنة 2011م⁽²²⁾.

وبالعودة إلى ما صدر من قرارات وبيانات ومحاضر اجتماعات يمكن تلخيص النتائج المتوصل إليها إلى غاية سنة 2012م في ما يلي: بخصوص ملف التعويضات، تم تطبيق النظام الجديد للتعويضات بجميع المنح والعلاوات القديمة والجديدة بما فيها منحت الخبرة البيداغوجية ومنحة تحسين الأداء التربوي بأثر رجعي وعلى أساس الأجر القاعدي الجديد اعتبارا من تاريخ 01 جانفي 2008

م، كما تمت الموافقة على منحة التأهيل ويتم احتسابها على أساس الأجر الرئيسي (الراتب الأساسي أو القاعدي + الخبرة المهنية) بدل من الأجر الأساسي، كما هو معمول به في باقي القطاعات، وبأثر رجعي ابتداء من 01 جانفي 2008 م،²³ وفيما يتعلق بملف الخدمات الاجتماعية، تم تعيين لجنة مشتركة من وزارة التربية الوطنية ونقابات قطاع التربية لدراسة الملف وفي هذا الصدد ألغي القرار الوزاري رقم 158/94 المؤرخ بتاريخ 1994/08/22 المتضمن كفاءات تسيير الخدمات الاجتماعية في قطاع التربية الوطنية، وعض بقرار آخر صدر عن اللجنة المشتركة⁽²³⁾.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من الأساتذة العاملين في 26 ثانوية تتواجد بولاية تبسة، وقد بلغ إجمالي عدد أفراد المجتمع: 1014 أستاذ دائم، وقد تم أخذ عينة عشوائية بحجم 531 أستاذ من مختلف الثانويات. ونظرا لوحدة التحليل هي الأستاذ فإن المنهج المناسب لطبيعة الدراسة هو المنهج الوصفي عن طريق المسح الاجتماعي وذلك من أجل وصف الانتماء النقابي في الوسط التعليمي.

كما تم توظيف أسلوب التحليل الكمي في معالجة البيانات الميدانية. أما بخصوص أداة جمع البيانات فقد تم استخدام استمارة استبيان في جمع البيانات الميدانية من المبحوثين خلال السداسي الثاني من سنة 2010م، إلى جانب إجراء مقابلات حرة مع بعض النقابيين على مستوى ولاية تبسة.

وقد خضعت الاستمارة إلى كل من اختباري الصدق والثبات قبل تطبيقها في الميدان. وقد تحصل الباحث على نسبة استرجاع 69.41% بالنسبة للاستمارات الموزعة على الأساتذة. وعلى ضوء أهداف وأسئلة الدراسة، تم تصميم الاستمارة لجمع المعلومات الخاصة بالدراسة التي استهدفت فئة الأساتذة في ثانويات ولاية تبسة. وقد تم توزيع الاستمارة على أفراد العينة، حيث تضمنت

مجموعة من الأسئلة الموزعة على المحاور التالية: البيانات الأولية (الجنس، السن، الحالة العائلية، الأقدمية المهنية) - موقف الأساتذة من العمل النقابي - المطالب المهنية - أساليب العمل النقابي - علاقة العمل النقابي بالعمل السياسي.
الخصائص العامة للعينة

جدول رقم(01): توزيع أفراد العينة حسب الجنس

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
60.26	320	رجل
39.74	211	امرأة
100	531	المجموع

نلاحظ من الجدول رقم(01) أن نسبة الرجال تقدر بـ 60.26 % أكبر من نسبة النساء 39.74 % وهذا قد يرجع إلى عدة خصوصيات منها أن طبيعة المشاركة في العمل النقابي قد يقدم عليه الرجال أكثر من النساء كون العمل في النقابة يخضع لعدة اعتبارات منها أنه يحتاج من الشخص المشارك الوقت والجهد من أجل تفعيل العمل النقابي في حين أن معظم النساء لا يتوفر لها الوقت والجهد نظرا لارتباطها بالتزامات أخرى.

جدول رقم(02): توزيع أفراد العينة حسب السن

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
19.58	104	أقل من 30 سنة
18.83	100	(34 – 30)
17.13	91	(39 – 35)
24.48	130	(44 – 40)
11.11	69	(49 – 45)
5.08	37	50 فأكثر
100	531	المجموع

من البيانات الموضحة في الجدول رقم(02) يتجلى لنا بأن فئة 40 – 44 سنة شكلت أعلى نسبة، بينما تأتي في المرتبة الثانية فئة الأقل من 30 سنة % وباقي النسبة المتبقية قد توزعت على الفئات الأخرى. كما أن الأغلبية من أفراد مجتمع الدراسة يتراوح سنهم ما بين 20 و 45 سنة وهم من فئة الشباب.

جدول رقم (03): توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
32.01	175	أعزب
61.39	331	متزوج
1.12	11	مطلق
1.69	14	أرمل
100	531	المجموع

نلاحظ من الجدول رقم (03) أن أغلب المبحوثين متزوجين حيث تقدر النسبة بـ 61.39 %، أما نسبة 32.01% تمثل العزاب الأمر الذي يجعلنا نستنتج أن المشاركين في العمل النقابي هم متزوجين ومشاركتهم في هذا العمل يقتضي بالضرورة السعي لتحقيق جملة من الأهداف الأساسية كالترقية والزيادة في الأجر وذلك نظرا لغلاء المعيشة وارتفاع المصاريف خاصة في ظل تدهور القدرة الشرائية للأساتذة.

جدول رقم(04): توزيع أفراد العينة حسب الأقدمية

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
23.91	127	اقل من 5 سنوات
16.19	86	(9 - 5)
19.20	102	(14 - 10)
17.13	91	(19 - 15)
14.31	76	(24 - 20)
9.22	49	25 سنة فأكثر
100	531	المجموع

نلاحظ من الجدول رقم(04) بأن الفئة الأولى المتعلقة بـ(أقل من 05 سنوات) والمقدرة نسبتها بـ23.91 % هي من حققت أعلى نسبة، لتليها مباشرة نسبة 19.20 % الممثلة لفئة الأفراد الذين يتراوح مدة خدمتهم في المؤسسة ما بين 10 و 14 سنة. ثم تتبعها نسبة 17.13 % الممثلة لفئة الأفراد الذين انحصرت مدة خدمتهم ما بين 5 و 9 سنوات.

الفرضية الأولى: تنحصر العلاقة النقايبية في الانخراط الشكلي وتتأثر بالانتماء السياسي لأساتذة الثانويات في الجزائر.

جدول رقم (05): توزيع أفراد العينة حسب صفة العلاقة النقابية؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
27.68	147	غير منخرط
57.25	304	منخرط
09.04	48	عضو في المكتب
02.45	13	رئيس فرع
03.58	19	عضو بالأمانة الوطنية
100	531	المجموع

يتبين من خلال الجدول رقم (05) أن 384 أستاذ منخرطون في النقابة: منهم 304 أستاذ انخرطهم شكلي وذلك بنسبة 57.25%، وهناك 80 أستاذ يتقلدون مناصب في النقابات المتمين إليها، أي بنسبة 15.07%. بينما نجد 147 أستاذ غير منخرط في النقابة وذلك بنسبة 27.68%. إن هذه النسب توضح أن أغلب الأساتذة منخرطون في النقابة ومتتبعون للعمل النقابي.

جدول رقم(06): هل ترى أن العمل النقابي والعمل السياسي في الجزائر وجهان لعملة واحدة؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
47.27	251	نعم
52.73	280	لا
100	531	المجموع

يوضح الجدول رقم(06) العلاقة بين العمل النقابي والعمل السياسي، ففي نظر 280 أستاذ أي بنسبة 52.73% يرون بأنه ليست هناك علاقة بين الاثنين، لكن في المقابل يرى مجموع 251 أستاذ بنسبة 47.27% أن هناك علاقة بين العمل النقابي والعمل السياسي في الجزائر.

جدول رقم(07): هل ترى انه من الضروري أن العمل النقابي يدعم القوى السياسية؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
41.24	219	نعم
58.76	312	لا
100	531	المجموع

من خلال الجدول رقم(07) نجد أن 312 فرد من العينة كانت إجاباتهم "نعم" لكون العمل النقابي يدعم القوى السياسية فكانت النسبة 58.76 % وذلك لأن الأحزاب السياسية تحقق أهدافها من خلال النقابة لذا فهي تسعى جاهدة لتدعيمها نظرا للخدمات التي تقدمها لها، وأيضا نجد 219 فرد من العينة أجابوا بـ"لا" أي لا يرون بأن العمل النقابي يدعم القوى السياسية بنسبة 41.24% وذلك حسب رأيهم بأن لكل منهما أهداف تختلف عن الآخر.

جدول رقم (08): هل ترى انه من الضروري سحب إتمادات النقابات التي لها اتجاهات

سياسية؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
56.69	301	نعم
43.31	230	لا
100	531	المجموع

من خلال الجدول رقم (08) نلاحظ أن 301 فرد من أفراد العينة كانت إجاباتهم بـ "نعم" أي سحب إتمادات النقابات التي لها اتجاهات سياسية فبلغت النسبة بـ 56.69% وأيضا نجد 230 فرد من العينة إجاباتهم بـ "لا" أي سحب الاعتماد من النقابات التي لها اتجاهات سياسية وقدرت نسبة ذلك بـ 43.31% وعليه نستخلص أن هناك رغبة كبيرة في النقابة للتخلص من سيطرة الاتجاهات السياسية قصد التحرر والتحرك دون التأثير الحزبي على أفرادها. وفي نفس الوقت تدل هذه الإجابات أن هناك تأثيرات الجانب السياسي على العمل النقابي في الجزائر.

الفرضية الثانية: اللجوء إلى الإضرابات عند مطلب الأجور يعزز الانتماء النقابي لأساتذة الثانويات في الجزائر.

جدول رقم (09): ما هو المطلب الأساسي الذي يشغلك حالياً من المطالب؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
46.89	249	زيادة الأجر
20.53	109	التقاعد
26.18	139	الخدمات الاجتماعية
6.40	34	مطالب أخرى
100	531	المجموع

يتضح من الجدول رقم (09) أن مطلب زيادة الأجر يأتي في المرتبة الأولى من بين جميع المطالب، وقد عبر عن ذلك 249 أستاذ بنسبة 46.89%، وقد أختار 109 أستاذ مطلب الخدمات الاجتماعية بنسبة 26.18%، ليكون هذا المطلب الثاني بعد زيادة الأجر. إن هذه المطالب الثلاثة تمثل أهم المطالب لدى الأساتذة والنقابات المستقلة، التي نادى بها في العديد من المرات، وشتت من أجلها الإضرابات والاحتجاجات في معظم ثانويات الوطن.

جدول رقم (10): في رأيك ما هي أنجع أساليب العمل النقابي في قطاع التربية؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
57.44	305	الحوار والتفاوض
29.38	156	الاحتجاجات والإضرابات
13.18	70	اللجوء إلى العدالة
100	531	المجموع

من خلال الجدول رقم (10) نلاحظ أن غالبية أفراد العينة يفضلون أسلوب الحوار والتفاوض حيث نجد عددهم 305 فردا بنسبة 57.44 % وهي نسبة تدل على وعي هذه الفئة من المجتمع والتي تفضل أسلوب الحوار والتخاطب وذلك كأسلوب ناجح و ناجح كما نجد 156 من أفراد العينة يفضلون الاحتجاجات والاضطرابات كأسلوب للعمل النقابي أي بنسبة 29.38% وبالتالي يمكن القول أن 70 فردا كان اختيارهم للأسلوب اللجوء إلى العدالة كأئجع الأساليب بنسبة 13.18% وهي نسبة تبدو ضعيفة مقارنة مع النسبة الأولى.

جدول رقم (11): لماذا تلجأ أغلب النقابات في الجزائر إلى الإضرابات؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
44.63	237	فشل الحوار والتفاوض
15.25	81	ضبابية المطالب
12.05	64	خلفيات سياسية
9.42	50	التمثيل الغير كفاء
18.65	99	تعنت وتماطل الإدارة الوصية
100	531	المجموع

من خلال الجدول رقم (11) يتبين لنا أن أغلبية أفراد العينة ترجع بان اغلب النقابات في الجزائر تلجأ إلى الإضرابات وذلك بسبب فشل الحوار و التفاوض حيث نجد 237 فرد وذلك بنسبة 44.63% كما ارجع 99 فرد من العينة ذلك لتعنت الإدارة الوصية وتماطلها في تنفيذ مهامها إذ نجد النسبة 18.65% ونجد 81 فرد يرجع ذلك إلى ضبابية المطالب بنسبة 15.02% في حين نجد أقلية من أفراد العينة أرجعت اللجوء للإضراب وذلك للتمثيل الغير الكفاء و ذلك بعدد 50 فردا من العينة أي بنسبة 9.42% ونستنتج من البيانات أن فشل الحوار والتفاوض بين النقابة والإدارة الوصية يشكل ويعد عامل قوي للجوء النقابات في الجزائر إلى الإضرابات.

جدول رقم(12): ما الذي يمكن أن تقترحه من أجل تجديد أساليب العمل؟

النسبة %	التكرار	بدائل الإجابة
49.72	264	تكثيف التكوين النقابي
47.64	253	فتح أكثر لقنوات الحوار
2.64	14	أخرى تذكر
100	531	المجموع

من خلال الجدول رقم(12) نجد أن 264 فرد من العينة يقترحون تكثيف التكوين النقابي من اجل تجديد أساليب العمل وذلك بنسبة 49.72% و253 فرد من العينة تقترح وتفضل فتح أكثر لقنوات الحوار و تقدر النسبة ب 47.64% بينما نجد هناك أساليب أخرى للعمل و ذلك بنسبة 2.64%. وبالتالي يمكن القول بأن تكثيف العمل النقابي وفتح قنوات الحوار بين النقابة والإدارة يساعد على إيجاد حلول مناسبة للمشكلات القائمة بينهما دون اللجوء إلى العدالة.

نتائج الدراسة

إن أغلب النقابيون يؤيدون التعددية النقابية عموماً، فأساتذة الثانويات في الجزائر يفضلون نقابات متعددة لأنها تدل على تجسيد الحريات النقابية. وهناك الاعتقاد السائد أن الإفراط في تعدد النقابات يمكن أن يقود إلى إضعاف الطبقة العاملة حسب بعض النقابيون. إن نسب الانخراط النقابي شيء والممارسة شيء آخر، ومعظم الأساتذة لا يضطلعون بأنشطة نقابية. ولقد ضعف التزام القواعد

النقابية إزاء النقابات، ففي ما جمعنا من شهادات لبعض الأساتذة، ما يكشف عن حجم الضغوط التي يمارسها بعض المدراء لاستباق كل تحرك جماعي أو انخراط نقابي، كما أن هناك أساتذة بكل بساطة لا يرغبون في الانتماء إلى النقابات. وفي المقابل ومن خلال حواراتنا مع العديد من النقابيين، نجد أن هناك اتفاق على وجود تحسن في نسب الانخراط النقابي بالوظيفة العمومية خلال السنوات الأخيرة، حيث لوحظ أن نوعية المطالب هي العامل الرئيسي في تجنيد الأساتذة. فوجود مطلب الأجور على قائمة اللائحة المطلية يرفع نسبة انخراط أساتذة الثانويات في النقابة. ويفضل أساتذة الثانويات المشاركة في الإضراب عند وجود مطلب الأجور، مما يعزز الانتماء النقابي لدى هؤلاء الأساتذة.

لقد صار الانتماء النقابي من علاقة تضامن جماعي إلى واحد من جملة الروابط الاجتماعية التي يكونها الأفراد في خضم مجتمع المخاطرة، فالنقابات المستقلة قد انضمت إلى لعبة "الروابط الاجتماعية" وتجنبت الانحصار في زاوية "الاستقلالية/ التبعية" تجاه الحكومة. وبذلك أصبحت العضوية في النقابة أقرب إلى "تجميع" عفوي لتقاطعات زمالة، وروابط ذاتية صلب النقابة الواحدة، قصد استثمار مواردهم الذاتية "الشبكية". في الجزائر هناك تداخلا ما بين الانتماء النقابي وانتمايات أخرى غير نقابية. لذلك نجد الكثير من الامتدادات بين السياسي والاجتماعي، وهذا ما يؤكد وجود نقابيين منخرطين في أحزاب سياسية، وقد نجد أكثر من ذلك كالدفاع الكبير عن القناعات السياسية من خلال النشاط النقابي.

كما أن بعض النقابات تأسست ليس للدفاع عن العمال، ولكن قامت على أساس مناوئ لاتجاهات نقابية أخرى محسوبة على اتجاه سياسي، مما خلق صراعات بين هذه النقابات رهن حقوق العمال بيد التوجهات السياسية. إن تحولات العمل والسوق تتجه اليوم إلى إضعاف النقابات وتهميشها، ولذلك فإن انفتاح النقابات على الساحة الاجتماعية والسياسية الجزائرية خارج سوق العمل من شأنه أن يمدها بمصادر قوة، وفي هذا الإطار لابد للحركة النقابية من حشد طاقاتها وإعادة تنظيم أساليب عملها بالشكل الذي يمكنها من مواجهة كل

المضاعفات المحتملة للتحويلات الاجتماعية والاقتصادية، وأمام الظروف المستجدة والمتسارعة عليها وضع آليات عمل تمكنها من الحفاظ على مكتسبات الشغيلة.

❖ هوامش البحث

(1) العقد الوطني الاقتصادي الاجتماعي هو اتفاق ثلاثي بين الحكومة والنقابة والباترونا (منظمات أرباب العمل)، يحدد بدقة الميادين الأساسية لسياسة الحماية الاجتماعية وحماية القدرة الشرائية والأجور وسياسة التشغيل وقانون العمل، ويتم التوصل إليه من خلال التفاوض الثلاثي بين الأطراف الثلاث السالفة الذكر. يعتمد على الحوار الاجتماعي كآلية لمواجهة الأزمات التي قد تطرأ لإيجاد أفضل الحلول المشتركة في إطار الموازنة بين المتطلبات الاقتصادية والتطلعات الاجتماعية. تم التوقيع على العقد الاجتماعي الاقتصادي بتاريخ 30 سبتمبر 2006م، وقد جاء هذا العقد لتلبية طلب ملح من المجتمع في وقت عكفت فيه البلاد من جديد على بعث الجهود العمومية بشكل مكثف للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فهذا العقد سمح بثمين أفضل للبرنامج الخماسي للاستثمارات الذي أقره السيد رئيس الجمهورية للفترة من 2005م إلى سنة 2009م، سواء من حيث الفوائد التي جنتها الأداة الوطنية للإنتاج وكذا العمال، أو من حيث الهدوء الاجتماعي الذي ساد بقوة. علاوة على ذلك فقد أشاد المكتب الدولي للعمل بالعقد الوطني الاقتصادي الاجتماعي ونوهت به المنظمات النقابية الدولية كنموذج للحوار و التشاور بين الشركاء الاقتصاديين والاجتماعيين. لمزيد من الإيضاحات أنظر الموقع الإلكتروني التالي: www.wikipedia.com

(2) ياسين تملالي، النقابات المستقلة الجزائرية، حدود تجربة واعدة، مركز الدراسات الاشتراكية للنشر، مصر، 2009

(3) محمد الصغير بعلي: تشريع العمل في الجزائر، دار العلوم، الجزائر، 2000، ص 280

(4) بشير هديفي: الوجيز في شرح قانون العمل، دار الجسور، الجزائر، 2006، ط2، ص 201

(5) محمد عثمان الخشت: المجتمع المدني والدولة، دار نهضة مصر، القاهرة، 2007، ص 23

(6) Ferrel and Eredrich: Business Ethics , Houghton Mifflin Company, New York, 1997, Third Edition, P175 .

(7) Richard t . Degeorge : Business Ethics, Macmillan, New York, 1986, 2nded, P58.

(8) عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص604 .

(9) جان بيار لوفيفر، وبيار ماشيري: هيجل والمجتمع، ترجمة منصور القاضي، بيروت، 1993، ص51.

(10) محمد عثمان الخشت: مرجع سبق ذكره، ص27.

(11) إحسان محمد الحسن: علم الاجتماع الصناعي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص143 .

(12) Alain Touraine, M. Wieviorka, F.dubet : Le mouvement ouvrier, fayard, paris, 1984, P19 .

(13) Jean-Guy Vaillancourt : Mouvement ouvrier et nouveaux mouvement sociaux, l'approche d'Alain Touraine, note critique, in « cahiers de recherche scientifique », n : 17, canada, 1991, pp215-220.

(14) محمد حسين منصور: **قانون العمل**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007، ط2، ص299 .

(15) لمزيد من التفاصيل حول هذه النقابات المستقلة أنظر:

www.snapest.org / www.unpef.com www.stne.dz / www.capest.com
satefalgerie.eklablog.com / www.wadilarab.com/

(16) من هذه الإنجازات الانفاقيات القطاعية الكبرى والعقد الوطني الاقتصادي الاجتماعي سنة 2009م، كما تم إصدار القانون الأساسي للتوظيف العمومية بصيغته الجديدة سنة 2008م وكذا إصدار القوانين الأساسية الخاصة بكل وظيفة عمومية على حدة. كما أفضت المفاوضات الجماعية التي نظمها الاتحاد مع السلطات إلى زيادة الأجر الأدنى المضمون بزيادة عشرة أضعاف من سنة 1990م حتى يومنا هذا، وقد وصلت في آخر قمة ثلاثية إلى 15 ألف دينار جزائري. حيث عقدت القمة الثلاثية يومي 29 - 30 سبتمبر 2011م ولقد ضمت ممثلي الحكومة و ممثلي الاتحاد العام للعمال الجزائريين و ممثلي منظمات أرباب العمل. وعرفت هذه القمة حدثا بارزا يتمثل في حل إشكالية الأجور، حيث عرفت معظم القطاعات الاقتصادية العمومية والتوظيف العمومي الاستفادة من الزيادات الجديدة فكانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية مستقرة نوعا ما، من خلال نقص الاحتجاجات والإضرابات التي كانت السمة الغالبة على

سوق العمل في الجزائر.⁽¹⁷⁾ - جاءت هذه القمة ضمن استمرارية القمة الثلاثية السابقة المنعقدة يوم 28 ماي 2011م وذلك من أجل معالجة المسائل الاجتماعية، وتقييم لتتائج أفواج العمل الثمانية التي أنشأت من قبل. ولقد باشرت الثلاثية دراسة جدول أعمالها والذي تضمن ثمانية نقاط: - تقييم مدى تنفيذ مقررات القمة الثلاثية المنعقدة يوم 28 ماي 2011م- ترقية الإنتاج الوطني - آفاق العقد الوطني الاقتصادي الاجتماعي - ملف التقاعد، بعدما تم في سنة 2006 إنشاء صندوق وطني لاحتياجات التقاعد مزود بنسبة 02٪ من الإيرادات الجباية البترولية - ملف التعاضديات الاجتماعية - توسيع الاتفاقيات الجماعية في القطاع الخاص، حيث شهدت سنة 2010م توقيع 736 اتفاق حول الأجور فضلا عن الاتفاقية الإطار التي أبرمت بين الاتحاد العام للعمال الجزائريين و منظمات أرباب العمل - التمثيل النقابي في القطاع الخاص - ملف القدرة الشرائية، رغم مختلف القرارات المتعلقة برفع القدرة الشرائية التي اتخذتها الدولة (الاتفاقات المتعلقة بالأجور التي أبرمت سنة 2010م والتي تم إدخال الأنظمة التعويضية الجديدة حيز التنفيذ مع أثر رجعي ابتداء من الفاتح جانفي 2008م، نجد أيضا أن الأجر الوطني الأدنى المضمون شهد زيادة هامة في سنة 2010م، إلا أن المداخيل الحالية للعديد من العمال تظل غير كافية بشكل كبير مقارنة بتطور تكلفة العيش.

(18) Serge Mallet : La nouvelle classe ouvrière, seuil, paris, p62.

(19) أحمية سليمان: آليات تسوية منازعات العمل والضمان الاجتماعي في القانون الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ط2، ص154

(20) يلاحظ أن المطالب قد ارتفع عددها وتنوعت من ثلاث مطالب فقط سنتي 2009 م و2010م إلى ثمانية مطالب سنة 2011م.

(21) بعد إضراب 24 فيفري 2010م عقدت نقابة UNPEF مجلسها الوطني لتقييم هذا الإضراب، حيث دعت إلى الرافض المطلق لتضييق على الحريات النقابية المكفولة دستورا، و مطالبة وزير العمل إشراك النقابات المستقلة الفاعلة في ملف التقاعد وإعداد قانون عمل جديد الذي ينبغي أن يكون مساهرا للاتفاقيات الدولية ومجسدا لتعددية النقابية وفتح المجال للحريات النقابية، إضافة إلى التعجيل بإصدار نظام تعويضي لعمال التربية وإصدار

القرار الوزاري للخدمات الاجتماعية المنبثق عن اللجنة الوطنية المكلفة بإعداده لإبعاده عن هيمنة نقابية.

(22) - تواصلت الإضرابات نهاية سنة 2011م وبداية سنة 2012م من طرف نقابة CNAPEST وذلك يومي 22 أكتوبر 2011م و 09 ديسمبر 2011م، كما قامت النقابة الوطنية لعمال التربية SNTE بإضرابات أيام 09 ديسمبر 2011م، و 01-07 جانفي 2012م، وطالبت برتب جديدة وفتح مجالات الترقية والتكوين كما قدمت مقترحاتها بشأن القانون الأساسي لقطاع التربية.

(23) - كما تم إقرار منحة التوثيق للمقتصدين ومنحيتين للمخبرين وبأثر رجعي وقد كشفت وزارة التربية عن نظام التعويضات والمنح وكانت هناك زيادات شهرية صافية ما بين 8674 و 10905 دينار في أجور المعلمين والأساتذة وزيادات شهرية ما بين 7013 و 10289 دينار بالنسبة لأسلاك المستخدمين.

(24) - أوضحت مراسلة وزارة التربية الوطنية التي تحمل رقم 323 مؤرخة في 10 أبريل 2011م أهم الأسس التي سببها القرار الجديد للخدمات الاجتماعية خاصة بعد فشل نقابات التربية السبعة في الاتفاق حول آلية موحدة لتسيير أموال الخدمات بعد أن دب بينهما الخلاف والفرقة بين مؤيد لانتخاب أعضاء لجان الخدمات الاجتماعية وبين من يريد الجمع بين التعيين والانتخاب. وفي هذا الصدد نظمت الانتخابات في 07 ديسمبر 2011م شارك فيها موظفي قطاع التربية.

ببليوغرافيا

أ. المراجع باللغة العربية:

1. أحمية، سليمان: آليات تسوية منازعات العمل والضمان الاجتماعي في القانون الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ط2.

2. الحسن، إحسان محمد: علم الاجتماع الصناعي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،

2005

3. الحشت، محمد عثمان: المجتمع المدني والدولة، دار نهضة مصر، القاهرة، 2007

4. الرقيق، فتحي: من مرونة العمل إلى مدينة المشاريع، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009 .

5. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون: *موسوعة السياسة*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ط3.
 6. بعلي، محمد الصغير: *تشريع العمل في الجزائر*، دار العلوم، الجزائر، 2000.
 7. تملالي، ياسين: *النقابات المستقلة الجزائرية (حدود تجربة واعدة)*، مركز الدراسات الاشتراكية للنشر، مصر، 2009.
 8. جان بيار لوفيفر، وبيار ماشيري: *هيجل والمجتمع*، ترجمة منصور القاضي، بيروت، 1993 .
 9. مرعي، الياس: *الحركة النقابية في العالم*، منشورات عويدات، بيروت، 1980، ط2.
 10. منصور، محمد حسين: *قانون العمل*، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007، ط2.
 11. هدي، بشير: *الوجيز في شرح قانون العمل*، دار الجسور، الجزائر، 2006، ط2.
- ب. المراجع باللغة الأجنبية:

- 12- Alain Touraine, M. wieviorka, F.dubet : **Le mouvement ouvrier**, fayard, paris, 1984
- 13- Ferrel and Eredrich : **Business Ethics**, **Houghton Mifflin Company**, New York, 1997, Third Edition
- 14- Jean-Guy Vaillancourt : **Mouvement ouvrier et nouveaux mouvement sociaux**, l'approche d'Alain Touraine, note critique, in « cahiers de recherche scientifique », n° :17, canada, 1991
- 15- Richard t .Degeorge: **Business Ethics**, Macmillan, New York, 1986, 2nded
- 16- Serge Mallet: *La nouvelle classe ouvrière*, seuil, paris

العمل: المعنى والمكانة في عالم متغير

د/ قويدر سيكوك، أ/ بلهوارى الحاج،

جامعة مستغانم، الجزائر

الملخص:

يتناول هذا المقال موضوع العمل الذي هو المحور الأساسى الذي تدور حوله حياة الفرد. فالعمل يمثل قيمة كبيرة في حياة الفرد والمجتمع. ولقد أدت الأحداث المتسارعة التي عرفتها المجتمعات إلى تطور مفهوم العمل وهذا في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية ولقد أكدت الدراسات أنه بالرغم من اختلاف المراحل الزمنية فان العمل مازال قيمة اجتماعية. ويحاول المقال التطرق إلى واقع العمل الإنساني في ظل ما أصبح يسمى اقتصاد المعرفة.

Résumé:

L'article traite le thème du Travail comme axe central autour duquel gravite la vie de l'individu. Il représente une valeur absolue dans la vie de l'être humain. Ce concept du travail a évolué en relations avec les mutations socio-économiques dans les différentes sociétés. Et malgré la spécificité des époques, le travail demeure une valeur sociale. Dans cet optique, nous tentons de cerner, la réalité du travail humain, dans le cadre de l'économie de la connaissance.

لا يزال موضوع العمل يحتل جانبا مهما من البحث السوسولوجي خاصة في الآونة الأخيرة حيث التغيرات تتسارع و لا تكاد تتوقف. و يعكس هذا الاهتمام العلمي الكبير بقضية العمل ما يمثله هذا الأخير في الواقع من أهمية كبرى في حياة الفرد و المجتمع، بل إن العمل هو المحور الأساسي الذي تدور حوله حياة الفرد. فالعمل يمثل قيمة كبيرة في حياة الفرد و المجتمع. وهو الطريق الوحيد للإنتاج، والأهم تتنافس بإنتاجها قبل كل شيء. ثم إن العمل هو الذي يدمج الإنسان في مجتمعه و يكسبه العضوية الطبيعية فيه.

العمل هو قبل كل شيء هوية، أي هوية الفرد كانسان ينتمي إلى جماعة محددة، إلى ثقافة و إلى حضارة بعينها، فبه يترجم و يحقق الإنسان إنسانيته التي تميزه عن باقي المخلوقات، و من خلاله يسجل حضوره الزمني المكاني و الفكري في هذا الوجود، فحسب Vincent DE GAULEJAC: "مشكلة البطالة ليست في أنك لا تملك منصبا أساسا، وإنما ماذا تفعل في هذه الحياة"⁽¹⁾.

وعليه، فإنه بالعمل يحقق الإنسان ذاته و يجعل لوجوده الإنساني معنى، أو بعبارة أخرى: العمل هو المصدر الرئيسي للإشباع المادي و الاجتماعي و النفسي للفرد. ففي المجتمعات الصناعية فان اشكال الاندماج و على اختلافها تقوم على النشاط المهني الذي يضمن للإفراد حماية مادية و مالية و علاقات اجتماعية و تنظيم للوقت و للفضاء و أخيرا تحقيق للذات-الهوية في العمل حسب المنظور الدوركايي.

و العمل بأبعاده المختلفة التي تشمل المعنى، و التنظيم الإداري، و الوظيفة الاقتصادية، و الوضع القانوني، و البناء الاجتماعي و علاقاته المتداخلة... هو موضوع مشروع للدراسة العلمية لعلوم كثيرة مثل علم الاجتماع، و علم الاقتصاد، و علم الإدارة، القانون، و علم النفس...، فكل علم من هذه العلوم و غيرها يدرس جانبا أو آخر من جوانب العمل، خاصة أن مؤسسة العمل الحديثة

هي شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي الذي تنصهر فيه العناصر الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والتقنية والنفسية في وحدة واحدة⁽²⁾.

ويساهم علم الاجتماع في دراسة موضوع العمل مستفيدا في ذلك من إسهامات مختلف المنظورات. اما حاليا فالمتغير هو ان العمل أصبح الرابطة un lien في المجتمع، والمواطنة أصبحت مرتبطة بالعمل والمشاركة في النشاط الاقتصادي، يقول Roger SUE العمل هو الذي يحقق المواطنة وليست المواطنة هي التي تنتج العمال والتي تفتح حق العمل كما تنص عليه كل الدساتير". ان المجتمعات الحالية تشهد نموا متسارعا لأشكال عمل جديدة مغايرة للأشكال السابقة، لعل اهم هذه الاشكالات هو تطور العمل الذهني العلائقي الذي افرزه نمو قطاع الخدمات في بداية هذا القرن.

فالاقتصاد الحديث نفسه شهد حركية غير منتهية من الاصلاحات و التحولات بعد ان اصبحت المعرفة تمثل مرتكزه الاساسي، حيث ان طبيعة العمل نفسها تغيرت نظرا للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية الحاصلة حاليا، ويمكن ان نتبين من ذلك من خلال الانساق الوظيفية السائدة في بداية هذا القرن، فالاقتصاد العالمي و بتأثير الثورة المعلوماتية عرف تحولا جذريا في اشكال العمل التي نمارسها حاليا، فبعدها كان سوق العمل في القرن السابق يعتمد على التصنيع القائم على -الياقات الرزق-، و اليد العاملة، فان الاتجاهات المهنية قد بدأت تركز بصورة متسارعة على شكل جديد للعمل في قطاع الخدمات مرتكزا ته الأساسية: الجهد الذهني و العلائقي⁽³⁾.

ويشير في هذا السياق انطوني غدنز Anthony Giddens الى ان التغيرات التي تميز هذا التحول : "لقد بدا المجتمع الصناعي القديم بالاندثار فاسحا المجال امام "مجتمع المخاطرة" او ما يطلق عليه منظرو ما بعد الحداثة مصطلح "عالم الفوضى" حيث تغيب انماط الحياة المستقرة⁽⁴⁾.

وعليه فان السجال و النقاشات حاليا تتمحور حول المستويات التي بلغتها هذه التغيرات في التأثير على مفهوم و معنى العمل، و يظهر هذا السياق اسباب

عديدة منها الاتجاه المتواصل لإدخال الآلات على حساب اليد العاملة، مما أدى في الأخير إلى انتشار المعرفة والمعلومة في الاقتصاد حالياً.

ومن الأسباب الأخرى التطور المتزايد للصناعات التحويلية في الدول النامية، خاصة في شمال إفريقيا، الأمر الذي أدى إلى تقلص الصناعات القديمة-التي كانت توظف الآلاف من العمال نتيجة العجز عن المنافسة مع دول متطورة تنتج السلع والخدمات بكفاءة عالية وبيد عاملة أرخص.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى إعادة فتح نقاش فكري عن قضية قديمة و متجددة، فحاليا نعيش عودة جديدة للقضية إلى الساحة من خلال اشكاليتين مركبتين: الأولى تخص المعنى والمكانة التي يمنحها المجتمع للعمل في ظل الثورة التكنولوجية الحديثة أما الثانية فتخص تغيرات ظروف العمل التي أنتجت حالياً ما يسمى بالنموذج الجديد للإنتاج⁽⁵⁾.

فالعمل ارتبط و لفترات طويلة بصورة نمطية: الفلاح في الحقل والعامل في المصنع، فحاليا ومع تطور قطاع الخدمات تغيرت النظرة إلى العمل فعالم الخدمات أصبح مهيمناً: موظف، استاذ، اطار...و المحصلة النهائية نشهد تراجعاً للعمل الجسدي امام نشاطات ذهنية وعلاقائية.

من خلال تتبع المسار التطوري لمفهوم العمل في كل تحولاته بداية من القرن 18 نجد أنفسنا ملزمين بإعادة النظر في هذه القضية المركزية، فإشكالات هذه القضية لا يمكن اختزالها في حقل معرفي واحد: اقتصاد/اجتماع والأجدر حالياً اعتماد عدة منظورات علمية من الاقتصاد السياسي الذي يعتبر اول من وطف مصطلح العمل ثم وبصفة دورية الانتقال إلى مكنته العمل، بعدها النظرية البيولوجية للتقسيم الفيزيقي للعمل، ثم علم النفس العمل وصولاً إلى علم اجتماع العمل. ونهدف من هذه المساهمة أن نشيد بأهمية العودة إلى تاريخ العلوم من أجل مناقشة جدية لمسائل العمل الراهنة، ففقدان منصب العمل حالياً سيهدد أسس وجودنا و حياتنا اليومية. وعليه فإن الإشكالات المشروعة يجب أن تطرح

حول معنى و مكانة ومستقبل العمل، فهذه الإشكالات كانت تعالج بطريقة تقنوقراطية، إقتصادية و سياسية، بالرغم من كونها تخص كل فرد و بالتالي لا بد من ان تبقى مركز اهتمام الفكر السوسيولوجي⁽⁶⁾.

كما لا بد من الإشارة إلى أن التحولات المجتمعية التي شهدتها مختلف المراحل التاريخية، افرزت مفهوما جديدا للفرد العامل حيث اكد الدراسات باختلاف توجهاتها الفكرية و مطلقاتها النظرية الدور المركزي الذي يلعبه العامل كإنسان بالدرجة الأولى في العملية الإنتاجية، و لم يحدث هذا إلا من خلال التطور في مفهوم العمل كظاهرة اجتماعية و إنسانية خاصة في المجتمعات الرأسمالية، التي شهدت ثورة صناعية رافقها تطور في أساليب و طرق العمل و الذي انعكس على وضعية و مكانة الفرد العامل داخل المؤسسات⁽⁷⁾.

أولا: العمل المفهوم و المعنى في ظل التحولات الاقتصادية و الاجتماعية:

يمثل العمل حقلا واسعا للتحليل من خلال المواضيع المرتبطة به كسوق العمل، تنظيم العمل، البطالة، الدخول الى عالم الشغل، اشكال التشغيل، العقود و التشريعات... اضافة الى هذه المواضيع المتعددة فان ما يجب التفكير و الاشتغال عليه هو معنى و مفهوم العمل و العلاقات التي ينتجها و بعبارة اخرى العمل في المجتمع.

سنحاول أولا ان نحدد مفهوم كل من العمل و الشغل حتى لا نجعل منهما مفهومين متقاطعان فالأول يخص شانا سوسيولوجيا اما الثاني فيبقى من شؤون الأبحاث و الدراسات الاقتصادية. و للتدقيق أكثر لا بد من الإشارة إلى أن العمل

يشير الى نشاط أنتاجي و إلى ظروف تنفيذ هذا النشاط، بينما الشغل يقتصر على أشكال الدخول و الخروج من و إلى سوق العمل، كما يشير إلى ترجمة العمل إلى مكانة اجتماعية مثلا شغل إطار، لا يشير أولا إلى مضمون العمل بل إلى تحديد

وضعية سوسيو مهنية بما تحمله من قيمة وسلطة، بينما العمل يدل بالأساس إلى الشكل الذي بواسطته تستغل هذه الوظيفة.

يتميز العمل بخمسة عناصر ذات دلالة : فعل العمل L'acte، جزاء العمل كمقابل للجهد المبذول La rémunération، الانتماء الى مجموعة، جماعة من المهنيين Une communauté منظمة تحدد لكل فرد مكانه و مهنته و اخيرا القيمة La valeur التي تمنح لإسهامات كل فرد.

لكن الوقت الراهن نعيش تحول عميق لكل عنصر من هذه العناصر وبالتالي تحولا في معنى العمل نفسه:

فعل العمل: الذي يرتبط بانجاز منتج او خدمة محدود، يتجه الى التلاشي في نظام ومعقد لا يسمح للعامل بتحصيل بشكل عادل ثمار جهوده .

الأجر: فلم يعد مرتبط بكمية او كيفية العمل المنجز، فبالرغم من الجهودات من اجل تطوير هذا الدخل، فالعلاقة بين الانتاجية الحقيقية و الاجور مازالت بعيدة عن الوضوح، رغم ان الانتاجية ترتبط اكثر بالنتائج الجماعية فان الاجور لازالت تقدم بشكل منفرد.

جماعة العمل: فإنها لم تعد حاملة لعلاقات ثابتة، حيث انها لم تؤسس شعورا بالانتماء او الولاء، كما انها لم تعد الأساس الحقيقي للهوية الاجتماعية، فالحركية لا تسمح للفرد بالاستقرار لمدة زمنية ضمن مجموعة العمل، إضافة إلى هذا فان المجموعة لم تعد تلعب دورها كوسيط بين الفرد و المؤسسة، ففي حالة النزاع مثلا فالمجموعة ليست المكان الذي تتقرر فيه اشكال المقاومة و استراتيجيات الدفاع و اقتراح الحلول و المطالب و بالمحصلة النهائية فان المجموعة لم تعد تمثل عاملا مركزيا في تحقيق التضامن والحماية.

منظمة العمل: تنظيم العمل بدوره اصبح افتراضيا، ففي البنيات الشبكية المتعددة الوظائف، الفرد لا يعرف بشكل واضح و دقيق من يقوم بماذا؟

Qui fait quoi? وبالتالي حتى مفهوم التنظيم باعتباره ضامنا للانسجام و الاستقرار لمجموعة العمل اصبح غامضا.

قيمة العمل: لم تعد مرتبطة بنوعية الخدمة او الموضوع المنتج، بل اصبحت اقل خضوعا لمنطق الانجاز.

المرحلة الراهنة التي نعيشها ليست قطعا جديدة في التاريخ البشري، نحن نعيش اختلالا لنظام ملغما بتناقضات يصعب عليه تجاوزها، هذا الامر ليس بمجديد، فكل الانظمة حتى القوية و المستقرة قد مرت بمثل هذه التحولات، انه التاريخ. ففقدان المعالم، تغير القيم، غياب المعنى، و الخوف من المستقبل... مفردات تشخص بشكل جيد ما نحس به جميعا اتجاه حالة اقتصادية، سياسية و اجتماعية جد معقدة، فالحالة ليست كما كانت عليه في السابق، فالقوانين، المبادئ و القيم لم تعد محترمة لا من العليا و لا السفلى للمجتمع، و عليه نشهد انحلال اجتماعي لا نعرف بشكل واضح اتجاهاته و مالاته. عالم منفلت، تحيط به المخاطر من كل الجوانب بتعبير انطوني غدنز.

غير أنه لا بد من إضافة الى هذا الواقع المعقد مفهوم الثقة الى جانب المخاطر، حيث بدا عامل الثقة بالاندثار مع تسارع وتيرة التحولات و تزايد مظاهر العولة في حياتنا اليومية.

ان هذه الثقة و المخاطرة ترتبطان ارتباطا وثيقا، فالمجتمعات الحديثة تواجه قدرا من المخاطر تفوق ما صادفته المجتمعات التقليدية او القديمة، لكن هذه المخاطر تختلف في اصولها و اسبابها، فالطبيعة كانت المصدر الرئيسي للمخاطر التي تعرض لها المجتمع قديما، اما المخاطر التي تتهدد المجتمعات الحديثة تعود الى انماط التنمية المتبعة و الخيارات الاقتصادية. فقد ادت العولة الاقتصادية في كثير من مناطق العالم الى تزايد البطالة و ارتفاع معدلات الجريمة و الانحراف، ذلك ان الكثير من الافراد في الماضي يقضون حياتهم العملية مع مستخدم او رب عمل واحد= المؤسسة= خلال عدة عقود من حياتهم او ما يسمى احيانا ب= مهنة العمر= اما الان فقد تصاعدت نسبة الافراد الذين يختارون و يغيرون خياراتهم العملية و اهدافهم

الشخصية بسبب العمل، وربما يتضمن ذلك تغيير المهنة او اكتساب قدرات و مهارات جديدة، ثم نقلها الى سياقات مهنية اخرى.

كما تفككت انماط العمل بظهور اشكال جديدة من العمل: العمل الجزئي، العقود....وعليه مثلت الطبيعة المعقدة لتقسيم العمل واحدة من اهم لتقسيمات المميزة للأسواق الاقتصادية في المجتمعات المعاصرة، فقد توزع العمل على اعداد كبيرة من المجالات و المهن التي يتخصص فيها الافراد في اداء مهام و أنشطة محددة، فقد اختفت الاعمال الحرفية القديمة التي كان العامل بها يتولى مختلف المهام بمفرد في عملية وحيدة من التصميم، الانتاج الى البيع.

أما في المجتمعات الصناعية فقد توزعت هذه المهمة المتكاملة على عدة افراد و فئات تكون كل واحدة منها مختصة في جانب واحد، و حاملة لمهارات محددة في العملية الانتاجية الكبيرة، و اصبح الانتاج هو الطابع الشائع لعمليات الانتاج الصناعي الحديث و تزامن ذلك مع توسع ضخم في الاعتماد على اقتصاد متداخل و متبادل، حيث اصبح الفرد في المجتمعات المعاصرة يعتمد على عدد اكبر من الافراد الاخرين، و في جميع انحاء العالم لتلبية حاجياته، كما اصبح الاخرون يعتمدون على ما يقدمه من خدمات مباشرة او غير مباشرة فكان من نتائج ذلك ان اصبحت الغالبية من الناس لا تنتج ما تستهلكه و لا تملك السلع المادية و لا الادوات التي تستعملها في العمل⁽⁸⁾.

هذا و لقد اكدت الدراسات انه بالرغم من اختلاف المراحل الزمنية فان العمل مازال قيمة اجتماعية. فإيميل دوركايم Emile DURKHEIM و نظرته الى تقسيم العمل تنبأ الى ما يمكن ان يحدث من تبعات سلبية، ذلك ان توزيع الوظائف و التخصص في الادوار حسبه اساس التضامن الاجتماعي داخل الجماعات حيث اصبح الافراد بدل ان يعيشوا في وحدات منعزلة و مكتفية ذاتيا يتضامنون فيما بينهم بالاعتماد المتبادل على بعضهم البعض. وسيؤدي هذا التضامن المتعدد الابعاد في عمليات الانتاج الى تعزيز الروابط، كما ان دوركايم يرى ان هذا التضامن و التماسك الاجتماعي قد يحتل اذا ما اصابته التغيرات السريعة و

المفاجئة و هذه التغيرات قد تحدث حسب المنظور الدوركامي الى حالة فقدان المعايير او انهيارها في المجتمع اي الظاهرة اللامعيارية.

و في هذا السياق يذهب منظري سوسولوجيا التنظيمات الى اعتبار فريق العمل الذي ينظم إليه الفرد داخل فضاء العمل، بمنزلة النواة الاجتماعية الكبرى داخل المجتمع قد تعادل رابطتها بالروابط العائلية و الطائفية. اد تمثل الفضاء المناسب للعامل فيه يحقق الانتماء و التضامن و يتمتع فيه بحرية التعبير عن رأيه كما يسمه له هذا الفضاء بتشكيل مقومات الشخصية و يفتح له فرص الانتماء و التعبير و بالتالي تتحقق مواطنته.

إذا يبقى العمل قاسما مشتركا و اساس كل حياة اجتماعية، فالإنسان بطبعه اجتماعي منشغل اساسا بالعمل رغم اختلاف المناطق و المراحل و المجتمعات التي يعيش فيها و رغم ذلك التطور العلمي و التكنولوجي.

سوسولوجيا العمل: من الاقتصاد السياسي الى اقتصاد المعرفة:

تاريخيا كانت المواضيع المرتبطة بالعمل و البطالة تحت هيمنة الخطاب الاقتصادي، لكن مند الثلاثينيات بدا علم الاجتماع يتجه نحو مثل هذه المسائل حيث اوجد لنفسه حقلا معرفيا خاصا به يسمى علم الاجتماع العمل . يتميز العمل في المجتمع الحديث عن العمل في المجتمع التقليدي في الكثير من الجوانب. ومن أهم هذه الجوانب هو أن العمل في المجتمع الحديث يتم في مؤسسات عمل خاصة مثل المدرسة والمصنع والجامعة والمصرف والمستشفى والمستوصف والمتجر والسوق..إلخ. وهذه المؤسسات مفصولة فصلا تاما عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل الأسرة. كما يتميز العمل في المجتمع الحديث بتقسيم جديد للعمل ألا وهو التقسيم التقني بالإضافة إلى التقسيم التقليدي للعمل.

كذلك يتميز العمل في المجتمع الحديث أيضا بالحاجة إلى رأس مال وما يتطلبه من حساب اقتصادي، ويتميز العمل في المجتمع الحديث بظهور الشركات المساهمة والاتجاهات الجديدة في الإدارة وذلك مثل الادارة العلمية. وربما كان

الفصل بين الملكية والإدارة وظهور أشكال جديدة للملكية هو من أهم ما يميز العمل في المجتمع الحديث بالتنظيم القوي والواسع لجميع الأطراف فيه وذلك في شكل نقابات وروابط مهنية واتحادات أصحاب الأعمال..إلخ. وأخيرا فإن العمل في المجتمع الحديث يتميز بتدخل الدولة الواضح فيه من جوانب مختلفة لعل أوضحها هو الجانب الرقابي⁽⁹⁾.

وتتضمن مؤسسات العمل الحديثة أعدادا كبيرة من العمال يختلفون ديموغرافيا وعلميا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا ونفسيا بالإضافة إلى اختلاف مهنتهم ووظائفهم. ويعمل هؤلاء العمال في مؤسسات العمل المختلفة وفقا لشروط خاصة ووسط ظروف معينة. فمن شروط العمل وقت العمل وتنظيمه ونظام الرواتب والأجور، ونظام الترقية، ونظام الراحة اليومية والأسبوعية والسنوية.... أما الظروف فتتعلق بظروف العمل من مبان، وتوفر المواد وأدوات العمل وأجهزته. كما تشمل ظروف العمل نوع الإدارة، ونوعية العمل وخطورته، وحجم العمل، وحجم مؤسسة العمل..إلخ.

إن الانفصال المادي لمؤسسات العمل في المجتمع الحديث لم يبلغ العلاقة التبادلية بين العمل والحياة الاجتماعية لأفراد هذا المجتمع⁽¹⁰⁾. إن كل مؤسسة عمل حديثة هي في الواقع نسق اجتماعي له جانب رسمي يعرف بالتنظيم الرسمي وجانب غير رسمي تصنعه عوامل المشاركة⁽¹¹⁾.

لقد رافق التغير في طبيعة وأنماط العمل تغير في نمط الضبط الاجتماعي الذي هو في الأصل حاجة فرضها الاجتماع الإنساني. فلم يعد الضبط الاجتماعي ضبطا أبويا كما كان عليه الحال في المجتمع التقليدي، بل أصبح الضبط الاجتماعي في المجتمع الحديث ضبطا رسميا تحتل الدولة بمؤسساتها المختلفة المركز الأساسي فيه⁽¹²⁾.

ويعتمد العمل في المجتمع الحديث على العلم بشكل كبير. ولقد أصبح المستوى العلمي ونوع التخصص والخبرة من الشروط الأساسية لصحة العمل في

المجتمع الحديث. ولهذا فإنه أصبح من الضروري أن تهتم الدولة الحديثة ليس فقط بتوفير فرص التعليم للراغبين فيه بل يجب أن تهتم أيضا بنوع التعليم وكذلك بالتعليم المستمر. وتعتبر عبارة: الرجل المناسب في المكان المناسب في جانب كبير منها عن حقيقة العلاقة القوية بين العمل والكفاءة العلمية⁽¹³⁾.

من ناحية أخرى فإن المجتمع الحديث بطبيعته الاستهلاكية وما يصاحب ذلك من ارتفاع وتنوع في توقعات الفرد وتطلعاته في الحياة قد تجعله -أي الفرد- يميل إلى حياة جديدة غير تلك الحياة التقليدية في نمطها واحتياجاتها. ولقد ارتبط بالعمل دائما واجب توفير إحتياجات الإنسان في الحياة. ولما كانت هذه الإحتياجات غير محدودة فإن الإنسان يحتاج دائما إلى عمل توازن بين الإمكانات المتاحة والأهداف حتى تستمر الحياة دون خلل أو مشكلات. أي أن الحياة الخالية من المنغصات تتطلب ليس فقط مشروعية الأهداف بل تتطلب أيضا مشروعية الوسائل للوصول إلى هذه الأهداف. وكثيرا ما تلعب المحاكاة والتقليد دورا أساسيا في حياة الناس، وكثيرا ما تكون هذه المحاكاة والتقليد سببا رئيسيا في الفشل في تحقيق حياة متوازنة بل وحتى في تبرير هذا الفشل أيضا.

ولقد ظهرت في مجال علم الاجتماع خلال مسيرة تطوره اتجاهات نظرية مختلفة لتفسير علاقة الإنسان بالعمل من حيث مفهوم الإنسان للعمل واتجاهاته نحو العمل والمواطنة. فقد ظهرت في آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مدرسة الإدارة العلمية التي يمثل عمل فردريك تيلر المحور الرئيسي فيها. وقد تبنى إتباع هذه المدرسة مفهوما أو معنى ميكانيكيا أو وسائليا للعمل (أي أن العمل هو وسيلة للكسب المادي فقط). فالأفراد همهم الأول هو المال، وبالتالي يجب أن تستغل الإدارة هذه الصفة فيهم لزيادة الإنتاج من خلال تطبيق نظام العمل بالقطعة، أي بقدر ما تنتج بقدر ما تأخذ، على أن يصاحب هذا النظام للعمل إشراف إداري قوي. وتركت مدرسة الإدارة العلمية بصمات واضحة في سياسات العمل، ولكن نتائج دراسات علمية كثيرة شكلت فيما بعد تحديا قويا

لوجهة نظر تايلور Frederick Winslow Taylor وأتباعه في مدرسة الإدارة العلمية.

ومع تراجع وجهة نظر مدرسة الإدارة العلمية بدأت مدرسة العلاقات الإنسانية بمفهومها الاجتماعي للعمل في الظهور فدراسات و البحوث Elton MAYO بمصانع WESTERN ELECTRIC سنة 1924 خلصت إلى أن مجموعة العمل *المؤسسة) ليست فقط مجموع أفراد بل أنها نتاج تعاون بينهم. فقد تبنت مدرسة العلاقات الإنسانية وجهة النظر التي ترى أن جماعات العمل غير الرسمية، باعتبارها جماعات اجتماعية قادرة على وضع نظم من القيم والمعايير لأفرادها، يمكن أن تلعب دورا مهما في تشكيل وتوجيه اتجاهات الأفراد وأنماط سلوكهم في العمل، وبالتالي يجب أن تسيطر إدارة مؤسسة العمل على هذه الإمكانيات وتستخدمها في تحقيق أهدافها.

وبهذا تكون مدرسة العلاقات الإنسانية قد أحلت الإنسان الاجتماعي محل الإنسان الاقتصادي الذي تبنته مدرسة الإدارة العلمية. ويعتقد مايو -الذي تأثر بشكل كبير بتحليلات دوركايم للتماسك والتفكك الاجتماعي أن الإنسان يكتسب هويته جزئيا من علاقاته الاجتماعية، وأن مفهومه واتجاهاته وسلوكه في العمل هو نتاج هذه العلاقات الإنسانية « Mayo, 1949 ».

وبينما أيد البعض مدرسة العلاقات الإنسانية في أهمية الإشباع الاجتماعي في العمل، إلا أن البعض الآخر انتقد مدرسة العلاقات الإنسانية من عدة جوانب مثل الانحياز للإدارة، وتجاهلها لتناقض المصالح الاقتصادية للأفراد واقتصارها في تحليلاتها على بيئة المؤسسة الصناعية فقط.

ولقد حاول إتباع مدرسة العلاقات الإنسانية الجديدة أن يسدوا جزءا من الانتقادات التي وجهت إلى مدرسة العلاقات الإنسانية من خلال التنبيه إلى أن هناك حاجات أعلى من الحاجة لعضوية الجماعة الاجتماعية. فعندما تشبع حاجات الإنسان إلى حاجات جديدة تتوافق مع تطور وعي هذا الإنسان بقدراته

الذاتية، وبالتالي تقع على الغدارة (إدارة المؤسسة) مسؤولية تطوير هذا الوعي واستغلاله من خلال جعل العمل أكثر تحدياً ومجالاً للتألق والإبداع حتى يكون مصدراً للإشباع الداخلي للإنسان. ويرى البعض أن استخدام فكرة الطبيعة الإنسانية في فهم طبيعة العمل من جانب مدرسة العلاقات الإنسانية الجديدة ربما من أفضل مساهمات علماء الاجتماع في فكر الإدارة، بينما انتقد البعض الآخر مدرسة العلاقات الإنسانية الجديدة على أساس فشلها في قبول أن هناك اختلافاً بين أهداف العاملين وبين أهداف المؤسسة التي يعملون فيها .

أما في الستينيات من القرن السابق فقد أصبحت مسألة ندرة الوظائف أكثر أهمية وإلحاحاً بالنسبة لسوسيولوجية G.Friedman. و بعد 1968 انتقل الفكر السوسيولوجي إلى مسألة الاغتراب التي تناولها سابقاً كل من هيجل HEGEL وماركس MARX. فأطروحات H.MARCUSE تمثل نموذجاً حياً عن هذا الانتقال.

كما أعاد Alain TOURAINE خلال السبعينيات طرح التصور الماركسي للوعي العمالي و تطوره بانتقال المجتمع إلى ما بعد الصناعي post-industriel.

دائماً و في نفس القرن، مع بداية الثمانينات يرى أتباع هذه مدرسة الفعل الاجتماعي مثل ميد Margaret Mead وجوفمان Erving Goffman وستراوس Claude Lévi-Strauss وبارسونز Talcott Edger Parsons ... أن البحث العلمي يجب أن ينطلق من تعريف الفرد للموقف بدل محاولة عمل تقديرات أو أحكام خارجية حول الناس موضوع الدراسة. ولقد قام جولد تورب بتوظيف منظور مدرسة الفعل الاجتماعي -التي تمتد جذورها إلى عمل ماكس فيبر- في نقد الباحثين الذين أعطوا للتقنية أهمية كبيرة في محاولاتهم لفهم طبيعة المجتمع الصناعي على حساب عوامل أخرى اجتماعية وغير اجتماعية في وخارج بيئة العمل

وأخيراً نهي هذا العرض العام للاتجاهات النظرية المتعلقة بمفاهيم العمل وما يرتبط بها من اتجاهات وأنماط سلوكية نحو العمل باقتراح تصنيف لاتجاهات

الناس نحو العمل مستفيدين في ذلك من تصنيفات أولئك الباحثين. ونقصد بالاتجاه نحو العمل هنا هو ميول واستعداد وتطلع ورغبة وطموح وتوقع الإنسان من وفي العمل وما قد يتبع ذلك من ممارسات في العمل، باعتبار أن جانباً كبيراً من الأنماط السلوكية المشاهدة هي تعبير أو انعكاس للاتجاهات.

ما يمكن ملاحظته من خلال هذا العرض التاريخي هو أن السوسيولوجيا تركت هذا الحقل المعرفي موضوعاً للاقتصاديين بامتياز، فهؤلاء بنوا مقاربتهم على ثلاث اتجاهات:

الأول: حجم العمل، ويحدد من طرف الاقتصاديين بمواجهة عرض وطلب عمل أو بالمنظور الكنزوي مستوى الطلب.

الثاني: التطابق الكيفي بين الكفاءة التي يتطلبها العمل و بين كفاءة اليد العاملة.

الثالث: قيمة العمل و التي تحدد وفق الطرح الليبرالي بناء على معيار الانتاجية.

هذه الهيمنة الاقتصادية على قضايا العمل تستمد جذورها من السجال السياسي حول اية سياسة اقتصادية بإمكانها خلق فرص اكبر للعمل.

و بالرغم من انها لم تنته إلا انها بقيت تتمحور حول الجوانب التالية: ظروف العمل، الصحة، الكرامة... و قد جرى هذا السجال في سياق انتقاد المؤسسة التي وصفت على انها فضاء للاستغلال و الاغتراب، وكذا انتقادا للدولة و للنظام الرأسمالي، وعليه فان انتقاد العمل اصبح اقل من انتقاد التنظيمات و من التمييز بين الوظائف الثابتة و العقود الهشة.

ثانياً: العمل في عصر اقتصاد المعرفة:

حاليا بدأت بعض افكار تتردد في أوساط علماء الاجتماع المعاصرين حول آثار تكنولوجيا المعلومات في موقع العمل فلا شك أن استخدام الانترنت

والبريد الإلكتروني واللقاءات والمؤتمرات التي تعقد عن بعدن أصبحت تمثل الآن قنوات مهمة للتعامل بين المؤسسات والأفراد، غير أن أساليب التواصل الجديدة هذه قد بدأت تؤثر على العمل الذي يقوم به المستخدمون بصورة يومية، وكان الباحثون يعتقدون أن الثورة المعلوماتية ستؤدي إلى ثورة في عالم العمل وستفتح المجال لقيام أشكال جديدة من النشاط تتميز بالمرونة، وسوف تتيح لنا هذه الفرص الجديدة الخروج من دائرة الروتين والاعترا ب والاستلاب التي تميز العمل الصناعي والدخول إلى عصر المعلومات الذي يعطي للعمال مزيدا من الحرية والسيطرة على مداخل عملهم ويرى أنصار الحتمية التقنية أن الثورة التكنولوجية قادرة على تحديد العمل وأشكاله وأساليبه.

إلا أن باحثين آخرين لا يعتقدون أن التكنولوجيا ستجلب معها تحولا إيجابيا في طبيعة العمل وظروفه وخلصت إحدى هذه الدراسات حول استخدام تكنولوجية المعلومات في المؤسسات إلى أن الإدارة قد تستعمل هذه التكنولوجية لتحقيق أغراض مختلفة، فعندما تستخدم بطريقة خلاقة وبصورة لا مركزية فإنها تكسر الحواجز التراتبية البيروقراطية، وتشرك العمال في اتخاذ القرارات حول المسائل التي تهمهم في عملهم اليومي، ومن جهة أخرى فقد تساهم الثورة المعلوماتية لإقامة الحواجز بين الإدارة والعمال، وتشديد نطاق الإشراف والسيطرة على أغلبية الأنشطة والممارسات في المؤسسة، كما أنها في هذه الحالة ستختصر التفاعل المباشر وتسد قنوات التواصل، وتحول مكاتب العمل إلى شبكة من الوحدات المعزولة المكتفية ذاتيا⁽¹⁴⁾.

ولا ريب في أن تكنولوجية المعلومات ستخلق فرصا مثيرة وتفتح آفاقا جديدة أمام بعض فئات اليد العاملة، فبالنسبة لميادين وسائل الإعلام المختلفة والتصميم أسهمت الثورة المعلوماتية في توسيع نطاق الإبداع والابتكار المهني، وأدخلت عنصر المرونة في أساليب العمل، خاصة لدى العمال الذين يتولون مناصب مسؤولية في المؤسسات، إلا أن هذه المنافع لا تصل إلى آلاف العمال من ذوي الدخل المتدني، ولا سيما غير المهرة منهم، ومن بعض نتائج ثورة المعلومات

والاتصالات الحديثة، إن هذه الفئات العريضة من العمال والتي تشبه فئة العمال الذين جردوا من مهاراتهم حسب رأي "بريفرمان"، يعملون في عوالم صغيرة ومحددة لا تتيح لهم فرصة الابتكار أو تجديد ولا يستخدمون فيها التفكير والإبداع وتخضع أنشطتهم للإشراف والسيطرة المباشرة، وتمثل هذه الشرائح واحدة من محصلات الثورة المعلوماتية والاقتصاد الصناعي مجتمعين.

لقد بينت دراسات عديدة أن العمل في النصف الثاني من القرن العشرين مر بـقمة التحول وتوجهت بالتالي العفوية في العمل نحو الزوال، وأصبحت العلاقات نفسها بين العاملين مترابطة أكثر فأكثر، ومراقبة دوريا، ومتغيرة بالتنظيم الاختباري للإنتاج والمشروع، ويسود تقسيم وظيفي للمهام في مجموعات متكاملة إلى حد ما، فبدلا من فريق العمل تحل الشبكة أكثر فأكثر وفي هذه الظروف لا بد أن يعاد النظر كليا في مفهوم التخصص ذاته، حيث أخذ معيارا للمستوى المهني والتنوع والصعوبة والسرعة في وضع الرموز وحلها، للرسائل التي يجب أن يتلقاها العامل، ثم إصدارها بصيغة نشاطات على الآلة والاتصالات معينة، ويتبع ذلك تحول في مفهوم المسؤولية التي تميل لتنفصل عن المبادرة والاستقلال الذاتي، وتتركز في التنفيذ الصحيح لتعليمات معقدة أكثر فأكثر.

خاتمة:

ويجدر ألا نهمل الحيوية النظرية التي رأت الوجود وترعرعت انطلاقاً من اشكالية العمل، الذي أصبح في مصاف الاختصاصات العلمية. إلا أن كل هذه الوفرة النظرية، الفعلية بالطبع، لا يجب أن تنسينا الأهم: وهو أنها تبقى في نهاية المطاف محددة تحديداً مفراطاً بالاعتبارات ذات الطابع البراغماتي النابع عن فلسفة النظام الليبرالي؛ والشيء الذي يدلّ على ذلك، بما فيه الكفاية، من وجهة نظرنا، هو النقاش الدائر حالياً حول أزمة العمل، أو حول مختلف تجارب إعادة إنتاج مناصب عمل.

إذا وجد العمل كممارسة إنسانية اجتماعية منذ غابر العصور، فالأمر ليس كذلك بالنسبة لطبيعته العلمية" كاختصاص أنيطت به صراحة مهمة ترشيد (عقلنة) النشاطات الإنتاجية، ورغم حدوث محاولات ظرفية وسطحية لتنظيمه فيما مضى فإن تنظيم العمل، لم يبرز كما هو عليه الآن، إلا مع تطور الرأسمالية في القرن التاسع عشر.

والميزة الأساسية التي تستحق الإشارة هي البراغماتية التي ميّزت دائماً ميلاد التنظير السوسيولوجي للعمل، فقد كان الاهتمام المتواصل يتمثل في تحقيق عدد معين من الأهداف العملية التي تتمحور حول الرفع المستمر للإنتاجية في إطار محدد، وهو إطار النظام الرأسمالي. فلم يكن هناك أي اعتبار آخر غير هذا الاعتبار في كافة المحاولات التي تمت بصدد تنظيم العمل. أما الميزة الثانية فتمثل في خصوصية هذا الحقل المعرفي، فمنذ بدايته كان فكراً سوسيولوجياً نقدياً متأثراً بدرجة كبيرة بالماركسية.

❖ هوامش البحث

- (1) Vincent de Gaulejac, **Travail, les raisons de la colère**, Paris, le Seuil, coll, Economie humaine, 2011, p65.
- (2) محمد الجوهري: **مقدمة في علم الاجتماع الصناعي**، القاهرة، دار الكتاب والتوزيع الطبعة الثانية، 1979، ص 141.
- (3) Michel Lallement, **le travail, une sociologie contemporaine**, Coll, Folio, serie Essais, éd , Gallimard, 2007, p 513.
- (4) غندنز: **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الضباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 41.
- (5) Dominique meda, **le travail**, puf, p 30.
- (6) Robert castel, **la montee des incertitudes**, essais points , p 123.
- (7) Philippe Bernoux, **sociologie du changement**, nouvelle edition, p 342.
- (8) أنطوني غدنز.
- (9) ريمون أرون أرون: **ثمانية عشر درسا في المجتمع الصناعي**، ترجمة نسيم محرم مراجعة ريمون فرنسيس، القاهرة، عالم الكتب 19.
- (10) محمد طلعت عيسى: **العلاقات العامة كاداة للتنمية**، القاهرة، دار المعارف، 1970.
- (11) محمد الجوهري: مرجع سبق ذكره، ص 147.
- (12) حسين الساعاتي: **علم الاجتماع الصناعي**، بيروت، دار النهضة العربية، 1972، التبر.
- (13) محمد الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 250.
- (14) أنطوني غدنظ: مرجع سبق ذكره، ص 441.

التنمية السياحية المستدامة في الجزائر

الدكتور: فضيل حضري، وهيبة بوربعين

جامعة تلمسان، الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور السياحة في التنمية باعتبارها نشاطاً ضرورياً لحياة الشعوب، وتأثيرها المباشر على مختلف القطاعات، فالاهتمام الدولي بالسياحة لم يكن وليد الصدفة، أو التكهّنات، إنما كان مرتكزاً على إيمان راسخ لدى المجتمع الدولي بمنظّماته ومؤسساته المختصة بأن السياحة من خلال ما ستحدثه من اتصالات مباشرة وعفوية غير متأثرة بوسائل الإعلام، بين رجال ونساء ينتمون لثقافات مختلفة، ويتبعون أساليب حياة متباينة، تمثل قوة حيوية لإحلال السلام، وعاملاً لتعزيز الصداقة والتفاهم بين شعوب العالم، وعاملاً بمنطق التوفيق بين حماية البيئة والتنمية الاقتصادية، ومحاربة الفقر على نحو مستدام.

Abstract:

This study aims to highlight the role of tourism in development as a necessary activity to people's lives, and their direct impact on the various sectors. In fact, the international interest in tourism was not a coincidence, or speculation, but it is based on a firm belief in the international community, including organizations and institutions that tourism through what will be stirred from direct contacts and spontaneous is influenced by the media, between men and women come from different cultures, and follow divergent lifestyles, represent a vital force for peace, and a factor to promote friendship and understanding between the peoples of the world, and the logic of a factor to reconcile environmental protection and economic development, and the fight against poverty in a sustainable manner.

تتجه دول العالم كافة إلى تطوير السياحة وتنميتها نظرا لآثارها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فقد اكتسبت التنمية السياحية أهمية متزايدة نظرا لدورها البارز والهام الذي تلعبه في نمو اقتصاديات معظم دول العالم؛ كونها تمثل إحدى الصادرات الهامة غير المنظورة وعنصرا أساسيا من عناصر النشاط الاقتصادي، وترتبط ارتباطا كبيرا بالتنمية، علاوة على دورها في تطوير المناطق والمدن التي تتمتع بإمكانات سياحية من خلال توفير مرافق البنى الأساسية لخدمة المواطنين والسائحين على السواء.

إن هدفنا من هذا المقال هو إبراز ما مدى أهمية السياحة في تطوير جوانب الخطط العامة للتنمية وارتباط السياحة بهاته الأخيرة إرتباطا وثيقا⁽¹⁾.

فما هو واقع السياحة في الجزائر؟

*أهمية الموضوع:

- 1- جعل الجزائر وجهة سياحية رائدة في البحر الأبيض المتوسط.
- 2- أهمية الموارد السياحية التي تزخر بها الجزائر و المبادرة إلى إستغلالها مبكرا.
- 3- أهمية القطاع السياحي في إستقطاب و جذب السياح.
- 4- تفعيل مشاركة المجتمعات المحلية و ذمجها في عملية التنمية السياحية.
- 5- إقرار و نظام خاص يتم بموجبه إنشاء إتحاد غرف سياحية عربية يوكل إليها وضع سياسات و استراتيجيات السياحة العربية.

1- مفهوم التنمية:

إن المرونة البنائية للمجتمع⁽²⁾ **structural flexibilité** هي جوهر التنمية ومنطلقها الأساسي، فالتنمية قيم ومعايير⁽³⁾ لتحقيق العدالة والمساواة

وتوسيع الفرص، هي انبثاق ونمو كل الإمكانيات والطاقات الكامنة، في كيان معين بشكل كامل وشامل ومتوازن، سواء كان هذا الكيان فردا أو جماعة أو مجتمعا.

التنمية هي السياسية محرك التغيير الارتقائي الجذري المستمر المخطط⁽⁴⁾ في بناء مهام الأجهزة أو النظم الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والريفية.

*-تعريف البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة (1990) للتنمية⁽⁵⁾ عملية توسيع نطاق الخيارات المتاحة أمام الفرد؛ وأهم هذه الخيارات المتشعبة، هي أن يحيا الناس حياة طويلة، وخالية من العلل وأن يتعلموا، وأن يكون بوسعهم الحصول على المواد التي تكفل مستوى معيشة كريمة.

2- السياحة:

يعرفها جوير فلولر (E.Guger freuler): "هي ظاهرة طبيعية من ظواهر العصر الحديث والأساسي فيها الحاجة المتزايدة للحصول على عمليات الاستجمام وتغيير الجو والوعي الثقافي المنبثق لتذوق جمال المشاهد الطبيعية، ونشوة الاستمتاع بجمال الطبيعة"⁽⁶⁾.

يعرفها العالم النمساوي (Herman Von Schullerd) أن السياحة هي الاصطلاح الذي يطلق على كل العمليات التالية: وخصوصا العمليات الاقتصادية التي تتعلق بدخول وانتشار الأجانب داخل وخارج منطقة معينة.

وقد أوجزت منظمة السياحة العالمية (UNW To)⁽⁷⁾ تعريف السياحة بأنها نشاط الأشخاص الذي يسافرون إلى أماكن تقع خارج بيئتهم المعتادة ويقومون هناك لمدة لا تزيد عن سنة واحدة بغير انقطاع طلبا للراحة، أو أغراض أخرى⁽⁸⁾.

3- أشكال السياحة(9)

تقسم منظمة السياحة العالمية السياحة إلى بلد معين على النحو التالي:

3-1- السياحة المحلية: (Domestic tourism) وتشمل الأشخاص الذين يقيمون في بلد معين ويسافرون ضمن حدود هذا البلد.

3-2- السياحة الوافدة: (Inbound tourism) وتشمل الأشخاص غير المقيمين الذين يسافرون ضمن حدود ذلك البلد.

3-3- السياحة المغادرة: (outbound Tourism) وتشمل الأشخاص الذين يسافرون إلى بلد آخر.

3-4- السياحة الدولية: (international tourism) وتشمل السياحة الوافدة مع السياحة المغادرة.

4- التنمية السياحية: يمتد معنى التنمية السياحية المستدامة ليشمل كلا من العرض والطلب⁽¹⁰⁾ لتحقيق التلاقي بينهم لإشباع رغبات السائحين والوصول إلى أهداف محددة قومية وقطاعية وإقليمية، لتكوين معيار لقياس درجات التنمية السياحية. كما يرتبط هذا المحور بالنظرة المستقبلية لضمان استدامة الموارد بما يؤهل لاستدامة السياحة في إطار تنمية مستدامة عامة.

التنمية السياحية هي بؤرة الإهتمام في صناعة السياحة على مستوى كافة دول العالم السياحية، فالتنمية السياحية هي خلق وتطوير المنتج السياحي، أو هي العمل المنظم المستمر لإنعاش صناعة السياحة⁽¹¹⁾.

وهي ترتبط بنحو وسلوك الأفراد والجماعات لأنها هي حراك التغيير في المجتمع.

5- أهمية التنمية السياحية:

على صعيد النشاط الاقتصادي الدولي أصبح النشاط السياحي من أكثر الأنشطة الخدمية إدراارا للدخل وتوليدا لفرص العمل، وذلك لارتباطه وتأثيره في عدد كبير من الأنشطة ضمن الجانب الاقتصادي⁽¹²⁾.

تساهم التنمية السياحية في:

*- تحقيق الانتعاش الاقتصادي لدولة المقصد السياحي عن طريق تنمية حصيلة، العملات الأجنبية مما يساهم في تغطية احتياجات التنمية الاقتصادية للبلد من المكونات الإنتاجية اللازمة للنشاط الإنتاجي الحديث.

*- توليد فرص التوظيف، من خلال خلق فرص جديدة للعمل في القطاع السياحي والقطاعات المرتبطة به.

*- المساهمة في التنمية المحلية والعمرانية، وذلك عن طريق تنمية مناطق جديدة للجذب السياحي في محليات مختلفة، ويساهم هذا في تحقيق نمو متوازن على مستوى الاقتصاد الكلي وفي تحقيق العدالة في توزيع الدخل القومي بين الأقاليم السياحية الأخرى، وحقيقة فإنه لا يمكن إغفال الدور الذي لعلته السياحة ولا تزال في تعمير عدد من المناطق غير المأهولة التي يمكن تحويلها إلى مراكز جذب سياحي وما يرتبط بها من تطوير المطارات ومد شبكات الطرق وهي بلا شك بنية أساسية يمتد تأثيرها إلى تحفيز إقامة مجتمعات عمرانية جديدة ومشروعات صناعية، وزراعية، تضاف منتجاتها إلى الناتج القومي.

أما من حيث الجانب الاجتماعي والثقافي (13).

تؤدي التنمية السياحية إلى زيادة درجة الترابط الاجتماعي والثقافي بين السكان وزيادة المعرفة، بينما تعمل التنمية السياحية الدولية على تشجيع التبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب، بحيث يتعرف أبناء الشعوب المضيقة على عادات وسلوكيات الزائرين، ولذلك تتقارب المسافات الاجتماعية بينهم، وهذا ما يعمل على دعم التراث الإنساني واتساع الحلقة الحضارية على مستوى العالم.

أما من حيث الجانب البيئي (14)، فقد ازداد الاهتمام العالمي منذ السبعينات من القرن العشرين بسلامة البيئة، الطبيعية وضرورة المحافظة عليها وتنميتها خاصة بعد مؤتمر ستوكهولم بالسويد عام 1992، والتنمية السياحية تظهر أهمية البيئة وبيان كيفية الحفاظ على مكوناتها والارتقاء بها ومنع تدهورها أو تلوثها، الآن البيئة النظيفة، والجميلة هي المادة الأولية للنشاط السياحي، أو هي

عامل رئيسي في قيام النشاط السياحي، تساعد التنمية السياحية على إنشاء المنتزهات والمحافظة على البيئة وحمايتها وتحقيق إدارة جيدة للنفايات للتخلص منها بشكل علمي سليم من خلال زيادة الوعي⁽¹⁵⁾. البيئي لدى أفراد المجتمع المضيف. إن التنمية السياحية تساهم أكثر في التنمية الاقتصادية من خلال مبدئين هما:

1- تكييف مبادئ التنمية المستدامة في إطار التنمية السياحية⁽¹⁶⁾.

2- تنظيم قطاع الخدمات السياحية في إطار واسع، عن طريق توفير النقل الجوي، وإعداد نموذج منظم مخصص للمناطق النائية، وهذا من خلال تعاون دولي يساهم في إرسال وإنشاء مختلف الأقسام السياحية، تتمثل المبادئ السابقة للتنمية السياحية المحور الأساسي الذي يمكن الاستناد عليه عند وضع الإطار العام لأهداف التنمية، التي هي كالآتي:

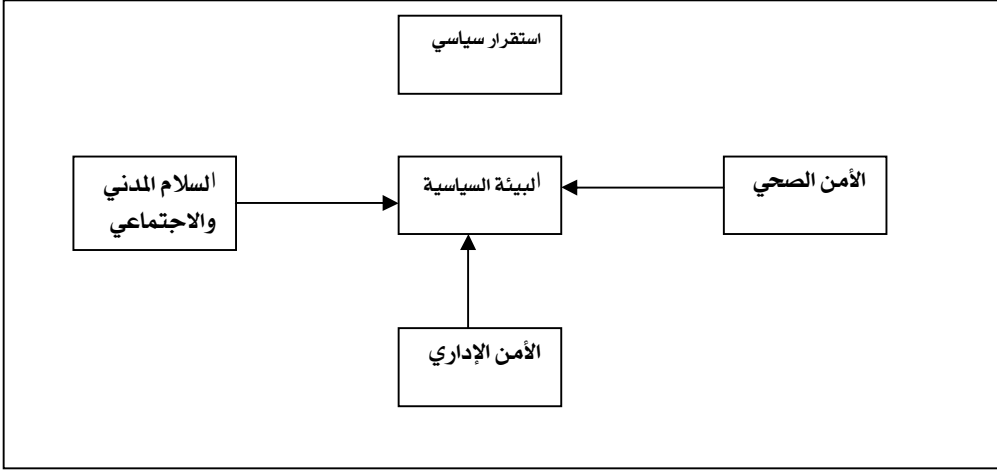
1- تحقيق الزيادة المستمرة والمتوازنة في المواد السياحية للدولة وذلك برفع إنتاجية الموارد البشرية وغير البشرية الموظفة فيها وبالسياسات التسويقية الخارجية الكفاء.

2- تدعيم الارتباط الإنتاجي بين القطاع السياحي والقطاعات الأخرى.

3- المساهمة في تنمية البيئة والمحافظة عليها من خلال الاهتمام بمناطق الجذب السياحي وما يحيط بها في المدن والأماكن المختلفة.

4- التوعية بالآثار الإيجابية للسياحة في النواحي الاجتماعية، والثقافية مع التخلص قدر الإمكان من الآثار السلبية لهذه النواحي، ولا بد أن توضع هذه الأهداف في ظل إطار زمني بمعنى أن تتحقق أهداف التنمية السياحية خلال فترة زمنية معينة، محددة سابقا، ويفضل أن تترجم أهداف التنمية السياحية في النهاية إلى أهداف تنمية محددة بحيث يسهل متابعتها في الواقع العملي، وقياس معدلات الأداء خلال التنفيذ لأجل وصول السياحة إلى العالم بأكمله⁽¹⁷⁾.

الشكل رقم (1): عناصر البيئة السياحية:



من خلال الشكل التالي يتضح لنا بأن السياحة تتطلب منا تكامل مجموعة من الخدمات: الاستقرار السياسي، الأمن الإداري، الأمن الصحي، السلام الاجتماعي والمدني وهذا لأجل إنجاح خدمة السياحة.

ولكن التطبيق العملي لهاته السياحة يمر بعدة مراحل من أهمها:

1- نموذج ميوسك Miossec⁽¹⁸⁾

تنقسم مراحل التنمية وفق هذا النموذج إلى:

- أ- مرحلة الاكتشاف: حيث يتم اكتشاف القدرات السياحية للمنطقة السياحية.
- ب- مرحلة النمو: وفيها يبدأ تطوير الموارد السياحية للمنطقة بشكل تدريجي.
- ج- مرحلة الانطلاق: وفيها تأخذ الدولة بمبدأ التخطيط والتوسع السياحي.
- د- مرحلة النضوج: حيث تظهر المنطقة على الخريطة السياحية وفي تلك المرحلة يتكامل النشاط السياحي في المنطقة من خلال توافر عناصر الجذب السياحي

والتسهيلات، وقد حدد ميوسك تلك المراحل بناء على دراسات لمناطق سياحية متعددة أهمها منطقة Longue do & provence.

2- نموذج بتلر **Butler (1980)**: حدد هذا النموذج ست مراحل للتنمية:

أ-الاكتشاف exploration

ب-المشاركة Involvement

ج-التطور development

د-النضوج Consolidation

هـ-الثبات أو الركود Stagnation

و-التجدد أو التدهور Innovation et decline

فالمرحلة الأولى تبدأ باكتشاف مجموعة من السائحين لمنطقة سياحية جديدة، ومع تزايد إقبال السائحين على المنطقة تبدأ مرحلة المشاركة وتظهر مجموعة من الخدمات والتسهيلات، ثم بعد ذلك تبدأ عملية الانطلاق حيث يتم توفير الخدمات والتسهيلات بشكل مكثف للسائحين لخدمة أعدادهم المتزايدة ويطلق على هذه المرحلة مرحلة النمو وتعتبر أخطر المراحل من حيث تأثير السياحة على المنطقة وخاصة التأثير البيئي وما يمكن أن ينتج عنه من تدمير لعناصر الجذب السياحي بالمنطقة سواء كانت طبيعية أو من صنع الإنسان أو أن يصيب التدهور المرافق الأساسية أو السياحية.

وإذا استمر النمو مع تحقيق مبدأ التوازن تصل المنطقة لمرحلة النضوج، وتلي هذه المرحلة مرحلة التجمد، وهي المرحلة التي لا تشهد فيها المنطقة أعدادا متزايدة من السائحين حيث يتوقف النمو والتدفق السياحي إليها عند حد معين لا يزيد عنه، وفي هذا النموذج هناك احتمال لما أسماه مرحلة الانحدار وهذا ما أغفله نموذج ميوسك وتبدأ حينما تدخل المنطقة في مرحلة التدهور أو الانحدار نتيجة

لتوجه السائحين إلى مناطق سياحية منافسة، تتوافر فيها كل المقومات السياحية التي تشبع رغباتهم ودوافعهم، وهكذا يلفت النموذج النظر إلى أن توافر سياسة تسويقية ناجحة يمنع المنطقة من الوصول لمرحلة الانحدار، فالتعرف على السوق واحتياجاته يؤدي لإعادة اكتشاف وتجديد النشاط بالمنطقة السياحية وهذا ما يسمح للمنطقة بالدخول في مرحلة جديدة من التنمية المتواصلة أو المستدامة.

6- التنمية السياحية المستدامة⁽¹⁹⁾

يبين تقرير عام 1987¹⁹ المستقبل بشكل عام الذي أعدته الهيئة العامة للبيئة والتنمية للأمم المتحدة ومنظمة العمل الدولية أنها عرفت التنمية السياحية المستدامة بأنها: "تلي الاحتياجات الحالية، دون المساس في الصلاحية لمستقبل من الأجيال وتأمين احتياجاتهم" وتبلور مفهومها في مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية، الذي عرف بقمة الأرض انعقد في ريوديجانيرو عام 1996 ومنذ ذلك الوقت تبنت المنظمة العالمية قواعد الاستدامة والاستثمار في السياحة، وقد عرفت هذه الأخيرة التنمية السياحية المستدامة كما يلي: "التنمية السياحية المستدامة هي التي تلي -احتياجات السياح والمواقع المخيفة إلى جانب حماية وتوفير فرص المستقبل".

إنها القواعد المرشدة في مجال إدارة الموارد بطريقة تتحقق فيها متطلبات المسائل الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، ويتحقق معها التكامل الثقافي والعوامل البيئية، والتنوع الحيوي ودعم نظم الحياة، ويتحقق هذا التعريف من خلال التركيز على عامل الإستثمار في السياحة.

الإستثمار: يقتضي المحافظة على الموارد الطبيعية والتاريخية والثقافية والموارد الأخرى المتعلقة بالسياحة، بهدف ضمان الاستمرار بصلاحية استخدامها في المستقبل لأن أهمية الإستثمار في السياحة مرتبط باعتماد السياحة على تلك الموارد كسلع لجذب السياح، فمعالم البيئة الطبيعية والمواقع التاريخية والتراثية والأثرية في المكان هي رأس المال الثابت، فإذا كانت تلك الموارد بعيدة أو مشوهة تبقى تلك

السياحة بعيدة ومتعددة، لهذا فإن تحقيق الاستثمار لتلك الموارد يبدأ من حمايتها وصيانتها بشكل يمهّد لتطويرها وتقديمها بالشكل المناسب.

إن معايير ومستويات الجودة في البيئة من ناحية مهمة في عملية اتخاذ قرار الزيادة من قبل السائح، والسياحة تكون الحافز للسكان والزوار لتحسين شروط البيئة في المقاصد السياحية، كما أن انطباع السائح عن المكان قبل وأثناء الزيادة عامل مهم في مدى إقبال السياح والزوار على الزيارة، فالمنتجعات القديمة كمثال والمنشآت السياحية تتطلب دوماً تحديثاً دورياً لتبقى مستمرة في مواكبة متطلبات السائح وتحقيق أهدافها التسويقية، والجدير بالذكر أن الإطار السياسي لتنفيذ الاستثمار ضروري وحيوي لما يحويه من توجيهات وتعليمات وضوابط تشرف السلطات المحلية على تطبيقها بمراقبة، وتتبع مستمر وشامل وباختصار فإنه ومما سبق ذكره يمكننا تحديد أهم مبادئ التنمية السياحية المستدامة⁽²⁰⁾.

1- مراعاة قواعد البيئة.

2- ترشيد استخدام الموارد السياحية لتبقى صالحة للأجيال المستقبلية القادمة.

ففي سنة 1975 قدرت المنظمة العالمية للسياحة عدد السياح بـ 222 مليون سائح في العام ليتزايد إلى 808 مليون سنة 2005 (21) وبمعدل دخل 102 مليار دولار، والجدول التالي يبين لنا تطور السياحة العالمية من سنة 2008-1990:

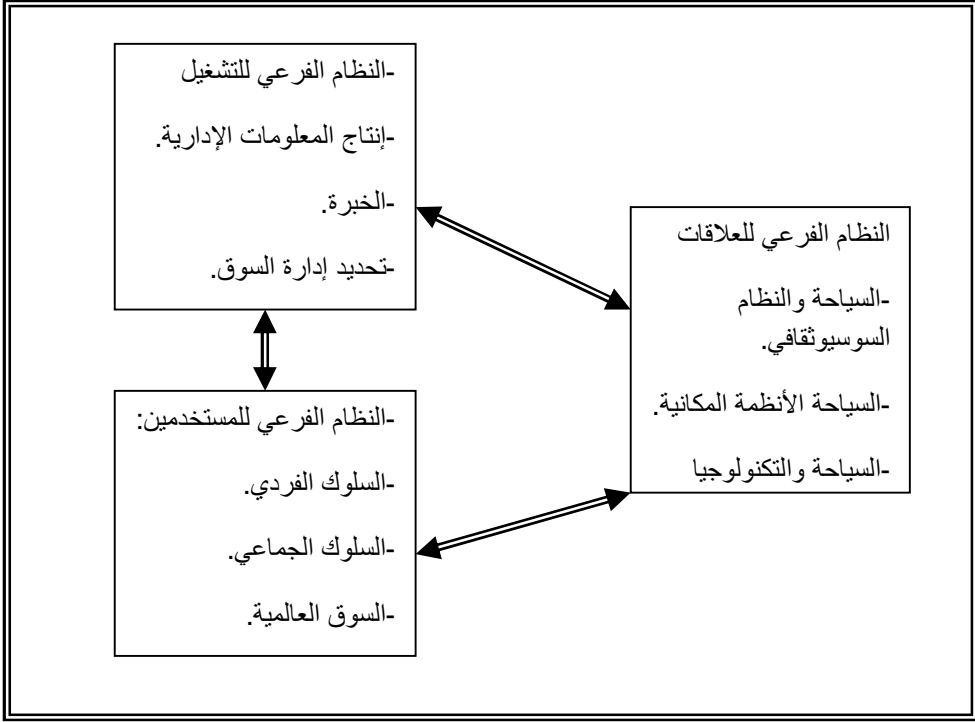
Tableau N°1 : Evolution des arrivées touristique par grandes régions 1990/2008

Régions	1990(million)	2008 (million)	Pourcentage total en 2008
Monde	456,8	808,3	100
Europe	282,2	443,9	54,9
Asie et pacifique	57,2	156,2	19,3
Amériques	92,9	133,2	16,5
Afrique	15,0	36,7	4,5
Moyen- Orient	9,0	38,4	4,8

Source: O.M.T Organisation Mondiale du Tourisme 2006.

حققت الدول الأوروبية نجاحا في النمو السياحي بنسبة 54,9 % والدول الأمريكية بنسبة 16,5 وبدخل إجمالي قدره 193,2 مليون دولار تليها أفريقيا بمعدل نمو 4,5 % وبدخل إجمالي يقدر بـ 96,7 مليون دولار.

الشكل رقم 2: النظام السياحي:



Source: Jean pierre (2007), Management du tourisme, 2^{ème} édition
.Pearson éducation, France, p17

الشكل المبين أعلاه يبين لنا أن الشراكة العالمية وإقامة علاقات متوازنة بين مشاريع الدول المولدة والمستقبلية يسهم في التنمية السياحية، وفي توزيع منافع نموها توزيعا عادلا وذلك من خلال التقيد بالأداب التالية:

1- ينبغي على أصحاب المصلحة في التنمية السياحية، سواء من القطاع العام أو القطاع الخاص، التعاون على العمل بمبادئ التنمية السياحية، ومراقبة تطبيقها الفعال.

2- الاعتراف بدور المؤسسات الدولية وعلى رأسها "منظمة السياحة العالمية" وكذلك المنظمات الغير حكومية ذات الصلة بالترويج والتنمية السياحيين وحماية حقوق الإنسان والبيئة والصحة مع مراعاة المبادئ العامة للقانون الدولي.

3- ينبغي على أصحاب المصالح المذكورين أن يبرهنوا على عزمهم إحالة أية منازعات تنشأ عن تطبيق أو تفسير المدونة العالمية لأداب السياحة إلى هيئة محايدة تتمثل في (اللجنة العالمية لأداب السياحة) للتوفيق بينهم.

4- ينبغي للشركات متعددة الجنسيات ألا تستغل مراكز القوة التي توجد فيها أحيانا وذلك تحقيقا للتضامن اللازم لتطوير المبادلات الدولية ونموها الديناميكي.

5- ينبغي السماح لأي شخص طبيعي أو اعتباري لديه الإمكانيات والمهارات الضرورية القيام بنشاط مهني في مجال السياحة ووفقا للقوانين الوطنية القائمة، وينبغي أن يسمح للمقاولين والمستثمرين، وبخاصة الذين يعملون في مجال المشاريع الصغيرة ومتوسطة الحجم بالدخول إلى القطاع السياحي بأقل قدر من القيود القانونية، أو الإدارية.

7. التنمية السياحية في الجزائر:

بإمكاننا حصر المناطق التي تتوفر عليها الجزائر كالآتي:

1. المناطق السياحية في الجزائر:

1.1 منطقة السواحل و السهول الشمالية و هضاب الأطلس الشمالي: تتميز بطول شواطئها 200 كلم و بعدد كبير من المواقع الأثرية التي تعود إلى عهد الرومان العرب المسلمين .

1-2. منطقة السلسلة الأطلسية: التي توجد بها اكبر قمة جبلية في الشمال "لالة خديجة 2038" كلم كما نجد جبال الأوراس. الونش ريس. سلسلة موازية للسواحل تتميز بإمكانيات كبيرة لتنمية أنواع سياحية عديدة

1-3 منطقة الهضاب العليا:و التي تتميز بمناخها القاري و بصناعتها الحرفية و التقليدية المتنوعة.

1-4 منطقة الأطلس الصحراوي:وهي المناطق الواقعة بين الهضاب العليا و الصحراء الكبرى والتي يمكن فيها تنمية السياحة المناخية.

1-5-منطقة واحات شمال الصحراء:والتي تتميز باعتدال درجات الحرارة .تتمركز بها الواحات بنخيلها و بتوفر صناعات تقليدية.

جدول رقم2: تطور توافد السياح في الجزائر 1991-2000

السنة	المجموع	الأجانب	مقيمون في الخارج
1990	1336918	685815	51103
1991	1193210	722682	470528
1992	1119548	624086	495452
1993	127545	571993	555552
1994	804713	336226	468487
1995	519576	97648	421916
1996	604968	93491	511477
1997	934752	94832	539920
1998	678448	107213	571234
1999	755286	174611	607675

690446	175538	865994	2000
--------	--------	--------	------

المصدر: وزارة السياحة و الصناعات التقليدية

من خلال الجدول يتبين لنا أن نسبة كبيرة من السياح الوافدين هم المقيمون بالخارج و عموما فان الحركة السياحية في الجزائر عرفت تراجعا منذ سنة 1992 نظرا للظروف التي مرت بها الجزائر في تلك الفترة و مع تحسن الظروف الأمنية بدأت الجزائر تستعيد السياح بداية من سنة 1997 حيث وصل عدد السياح إلى نحو 755286 سائح.

8- إستراتيجيات التنمية السياحية في الجزائر (Structure plan): -بناء خطة لتوضيح توزيع أنواع السياحة على المواقع السياحية المختلفة، والمناطق والأقاليم السياحية الداخلية، وشبكات النقل المختلفة الجوية والبرية والبحرية.

-تحديد مراحل التنمية السياحية من خلال فترات زمنية متعاقبة.

-تحديد أنماط وبرامج الرحلات السياحية بما فيها طرق وخطوط النقل والمواصلات والحلقات السياحية (arciuts).

-تحليل الآثار الاقتصادية الحالية وملتوقعة للسياحة وإسهامها في الناتج المحلي الإجمالي (GDP) أو الناتج القومي الإجمالي (GNP) وإجمالي وصافي الإيرادات السياحية والعملات الصعبة، والتأثيرات المضاعفة وفرص العمل المتاحة، والعوائد المتحققة لخزينة الدولة من الضرائب والجمارك والرسوم المختلفة.

-تحليل وبناء توقعات للإنفاقات التي يقوم بها السياح بأشكالها وأنواعها.

- تحديد أهداف ومواصفات وإستراتيجية التسويق والترويج السياحي.

-تحديد برامج محددة للتسويق السياحي مع تقديرات التكاليف المترتبة عن تنفيذها وتحديد مصادر التحويل اللازم لذلك⁽²³⁾.

-تحديد الأدوار المترتبة على القطاعين العام والخاص في عمليات التسويق والترويج السياحي.

9-نتائج وتوصيات المقال:

-التوجه نحو تطبيق تنمية سياحية مستدامة من خلال المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية.

-الإستجابة للمعايير الدولية للتنمية السياحية.

-يجب القيام بدعم وكالات الأسفار الموجهة أنشطتها نحو السياحة.

-يجب القيام بدعم و تأهيل المؤسسات السياحية و مستخدميها.

القيام بوضع سياسة مؤسسة تقوم على التأهيل و إدخال تجهيزات عصرية تنسجم مع المعايير الدولية .

العمل على صيانة المنتج السياحي بجودة أكثر من حيث التأهيل و إدخال تجهيزات عصرية تنسجم مع المعايير الدولية للسياحة.

-بلوغ أهداف التنمية السياحية المنشودة في الجزائر.

-الحفاظ على الهوية و العادات و التقاليد الخاصة بالمناطق التي تعتبر إرثا ثقافيا هاما.

-حماية و تطوير المواقع الأثرية التاريخية و الدينية لتنمية السياحة المستدامة من خلال شركات التنمية السياحية.

-إعداد الدراسات و الأبحاث الإجتماعية والإقتصادية للحفاظ على ثقافة المجتمعات المحلية و رصد الأثر الإقتصادي و البيئي للتنمية السياحية.

-إنشاء صندوق لدعم السياحة في الأزمات و الكوارث.

خاتمة:

وختاماً يمكننا القول بأن دعم التنمية السياحية يتطلب دعم الجودة، وهذا يشمل الموارد والتسهيلات والخدمات والبنية التحتية السياحية، فالتطوير للشروط الطبيعية لها يضمن بأن مستوياتها ستكون ملائمة لأغراضها، والإدارة الجيدة لها ستكفل بأن الخدمات يتم تأديتها بشكل مرض للزوار، وبشكل عام فإن تحقيق الجودة في جميع المجالات السياحية بالمنطقة تعزز مستوى التنمية السياحية فيهان ورفع المنتج السياحي وقوته التنافسية، وهذا يؤدي بدوره إلى بقاء وتزايد حجم الإقبال واستثمار الأسواق السياحية وتنوعها فيه.

❖ هوامش البحث

(1) "la grandeur de l'homme, c'est d'avoir des pieds dans la glaise et la tête dans les étoiles" Confucius.

(2) – kyang, dong kin 1973, toward a sociological theory of development: A structural perspective", rural sociology, vol. 38.n° 1, winter, p 372.

(3) أحمد فوزي ملوخية، التنمية السياحية، ط2، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2007، ص17.

(4) – Hans L. Zetterberg, 1995 on the theory and verification in sociology, new York, the Bedminster press, p 41.

(5) – PNUD (1990), "defining and measuring of development, new York, p 11.

(6) محمد أحمد العمري، الأمن السياحي، المفهوم والتطبيق، دار الراجحة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص:26.

(7) المرجع نفسه، ص: 27.

(8) World Tourism Organization (WTO), Global code of ethics for tourism.

(9) محمد أحمد العمري، مرجع سابق، ص: 27.

(10) جليل حسن حسنين، دراسات في التنمية السياحية، الدار الجامعية للنشر، 2006، ص: 09.

(11) Douglas peace (1989), Tourism development, 2nd edition, new York, Longman, p: 10.

- (12) جلييلة حسن حسنين، مرجع سابق، ص: 14.
- (13) عبد الإله أبو عياش، التخطيط السياحي، مدخل استراتيجي، الوراق للنشر والتوزيع، 2004، ص: 124.
- (14) Sustainable Tourism management planning is biosphere Reserves a methodology-guide- united nation environment program global environment facility medium sized project ecological Tourism in Europe (ETE), April 2005-2008, p: 30.
- (15) زيد منير عبوي، السياحة في الوطن العربي، الرابة للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2008، ص: 48.
- (16) Jean Louis Coceomo, (2007) Fondements d'économie du tourisme, (Actues, marchés, stratégies) édition de Boeck université, p :7.
- (17) Jean pierre Lozoto, Giotart (2003), géographie du tourisme de l'espace consommé à l'espace maitressé, Pearson éducation France, p : 2.
- (18) Peace.D, op, cité, p 8.
- (19) عبد المجيد العاني، الاستثمار والتسويق السياحي، دار تنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن-، 2008، ص 19-20.
- (20) المرجع السابق، ص 23.
- (21) François Vellas, Economie et politique du tourisme international, 2^{ème} édition, Economica, paris, 2007, p17.
- (22) مبادئ المدونة العالمية لأداب السياحة في العالم.
- (23) جلييلة حسن حسنين، مرجع سابق، ص: 40.

البيئة الصحراوية وعلاقتها بالعادات الاجتماعية الغذائية

دراسة ميدانية عن البدو الرحل بوادي سوف

الأستاذ. محمد بن عمارة

جامعة بشار، الجزائر

الملخص:

تناولت هذه الدراسة العلاقة الموجودة بين عناصر البيئة الطبيعية والعادات الاجتماعية الغذائية لدى البدو الرحل بوادي سوف, بحيث تبرز أهم العناصر البيئية التي تدخلت بصفة مباشرة أو غير مباشرة في الغذاء والممارسات المصاحبة له, وقد ركزت على الكائنات الحية من نباتات وحيوانات إلى جانب العناصر غير الحية كالتربة وعلاقتها بعملية تحضير الطعام, كما كان للمناخ دورا هاما في اختيار أغذية دون غيرها تبعا لكل فصل من الفصول. فمن هذه العناصر قد ساهم في تكوين الوجبة الغذائية ومنها ما ساهم في تحضيرها, والهدف المنشود من الدراسة هو الكشف عن علاقة البدوي بالظروف التي يعيشها بعيدا عن الأماكن الحضرية التي تتوفر بها سبل الحياة المعاصرة.

Abstract:

This study escisting relationship between The elements of the natural environment and social customs food when nomads Oued Souf. So that stand out the most important elements of the geographical environment which intervend whit it and focused on the organisms of plants and animals as it was for rigid elements of the environment.

And we aim to detect how did the Soufis nomad adapt whit the hard conditions in which they live? And what are the elements of the geographical environment used in the foods custom?, especially that they live far the urban places

يعتبر الغذاء أحد الضروريات الأساسية لاستمرار الكائن الحي، بحيث يتصدر قائمة الحاجات البشرية دون منازع، ولكن الجدير بالذكر أن عناصره وكيفياته تختلف من مجتمع لآخر بحسب اعتبارات ثقافية مختلفة، منها ما يتعلق بالبعد الديني، ومنها ما يتعلق بطبيعة النشاط المعتاد، ومنها ما هو راجع لعناصر البيئة الجغرافية التي تمد الإنسان بمقومات الحياة وتتمثل في الكائنات الحية النباتية والحيوانية وكذا المواد المعدنية المستخرجة من الأرض.

وعلى هذا الأساس تختلف طبيعة الأغذية والممارسات الاجتماعية المصاحبة لها من مجتمع لآخر، ولهذا سوف نبحث في هذا المجال عن الكشف عن صورة البيئة الصحراوية في هذه العادات الاجتماعية بإشكالية مفادها: ما هي علاقة البيئة الصحراوية بالعادات الاجتماعية الغذائية عند البدو الرحل بوادي سوف؟ وما هي مظاهر وصور هذه العلاقة من حيث النوعية والممارسات؟ ولا نريد البحث فيما إذا كانت البيئة الطبيعية الصحراوية تؤثر أم لا في عادات الغذاء؟ لأن هذا الأمر أصبح من المسلمات التي لا يجب أن تناقش.

ومن دواعي اختيار هذا المشكل هو الكشف عن طبيعة الممارسات المتعلقة بالغذاء لدى البدو الرحل خصوصا أنهم يتنقلون بعيدا عن المناطق الحضرية التي تتوفر فيها العديد من متطلبات الحياة المعاصرة من وسائل التخزين والتصبير وغير ذلك من المحلات التي تحوي أصناف الأغذية المحلية والمستوردة. وهذا له من الأهمية من حيث معرفة كيفية استغلال أهل البدو لعناصر البيئة الطبيعية في الممارسات المتعلقة بالغذاء.

وقد وقع اختيارنا على البدو الرحل المتواجدين في بلدية دوار الماء بولاية الوادي، نظرا لأن أغلبية البدو يتنقلون في تراب هذه البلدية الرعوية بدرجة كبيرة. وفيما يخص المنهج المستخدم فقد وقع اختيارنا على المنهج الأنثروبولوجي

باستخدام جملة من الأدوات المتمثلة في الملاحظة والمقابلة الحرة مع استخدام المخبرين لما للمخبرين من أهمية في مثل هذه الدراسات.

أولاً: خصائص بيئة وادي سوف

إن الأراضي الصحراوية هي الطابع الغالب لمساحة الجزائر تشكل في مجملها مساحة تقدر بـ 2 مليون كيلومتر مربع، أي ما يعادل 84% من مساحة الجزائر⁽¹⁾. وتبلغ مساحة صحراء وادي سوف حوالي 82 ألف كيلومتر مربع⁽²⁾، فهي عبارة على مساحة شاسعة من العرق الشرقي الكبير تتاخم الحدود التونسية والليبية على حد السواء.

وما دنا بصدد البحث في مجال البيئة الصحراوية فبدئ ذي بدء يجب التعرف على معنى البيئة الطبيعية أولاً، فهي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني الإنسان⁽³⁾.

فالبيئة الطبيعية من خلال هذا التعريف هي التي تمد الإنسان جملة الأغذية التي يتناولها من خلال تلك العناصر المشكلة لها، والتي تتمثل في الأرض والوديان والبحار وكل التضاريس وغير ذلك من الكائنات الحية النباتية والحيوانية التي تعيش على تلك الأرض أو في باطنها أي بمعنى كل ما يحيط بالإنسان من العناصر. وهذه العناصر تختلف من منطقة لأخرى من حيث تكوينها ونظمها البيئية، وهذا ما سنعرفه في هذا العنصر بحيث نريد التعرف على خصائص بيئة وادي سوف وجملة مكوناتها.

1. العناصر غير الحية

أ. التربة: تكسو صحراء وادي سوف بساط من الرمال التي فتتها المياه عبر العصور، تتميز بالنعومة وسهولة التطاير، لونها يميل إلى الصفرة في أغلب مناطق وادي سوف عدا بعض الأماكن التي تكون فيها هذه الرمال تتلون بألوان أخرى

كالأحمر والأبيض والأسود، إلا أن أغلبها يكون تحت السطح وتأخذ صفة الركام أو الصلابة.

وهذه الرمال تمتاز بالنقاوة والطهارة، بحيث يمشي عليها الشخص بدون نعال ولا يضره شيئاً، وينام عليها بدون فراش بصفة عادية، وتصلح لتكون لقعدة تناول الشاي خصوصاً في الليل.

ولقد ساهمت هذه الرمال بخصائصها المتميزة في الحياة اليومية للسكان، بحيث انسجم معها السوفي انسجاماً ترك بصمة مميزة في الثقافة السائدة، من ناحية العرف والتقاليد والعادات الاجتماعية وطبيعة النشاط الاقتصادي.

ب- المناخ: يسود منطقة وادي سوف مناخ صحراوي، حار صيفاً وبارد وجاف شتاءً فقد ترتفع درجة الحرارة في النهار إلى ما يقرب من الخمسين درجة، وتنخفض ليلاً إلى ما يقرب من درجة الصفر.⁽⁴⁾

أمّا في فصلي الخريف والربيع تعادل فيهما الحرارة بشكل واضح. وهذا المناخ أملى على الأهالي نوعاً من التأقلم بواسطة اكتساب جملة من النظم والوسائل، وذلك حتى يتسنى لهم العيش دون عوائق، فيلجأ السوفي إلى استعمال ألبسة معينة تتلاءم مع طبيعة الطقس وكذا يتناول وجبات غذائية تختلف من فصل لآخر بحسب نوعية الجو ودرجة الحرارة الفصلية.

أمّا ما يتعلق بالرياح فإنّها متميزة جداً بحيث إذا هبت تكون محملة بحبيبات الرمل المتطاير معها، وهذه الرياح لها نوعان أساسيان، ريح الصبا المعروفة عند أهالي المنطقة بالبحري، وهذا النوع يجذبه السكان إذا قدمت بصورة خفيفة، حيث تضيء الراحة وينتعش فيها النبات والحيوان وكذا الإنسان، أما إذا كانت قوية فقد تضر بالكائنات الحية والمساكن وغير ذلك، والرياح الثانية يطلق عليها رياح السموم التي تعرف بالشهيلي وهي رياح جنوبية حارة يتشأم منها السكان لأنها مضرّة إذا زادت عن حدّها وتضيء على الشخص الخمول والكسل.

وفيما يخص الأمطار فهي قليلة التساقط بوادي سوف، وإذا هطلت فيكون ذلك عادة بين شهري نوفمبر وفيفري، وفي معظم الأحيان تكون على شكل زخات مصحوبة بعواصف رعدية. ونزول المطر يعتبر فال خير على أهل المنطقة، فنجدهم يتباشرون بها ويفرحون كثيرا خصوصا الرعاة، ويعمدون الأهالي إلى تناول وجبات غذائية خاصة في هذه المناسبة السعيدة وأشهر هذه الأكلات ما يطلق عندهم باسم البركوكش⁽⁵⁾.

2- عناصر البيئة الحية

وهي مجموعة الكائنات التي تدب فيها الحياة، و" تتمتع بمظاهر الحياة من تغذية وتنفس وحركة وتكاثر⁽⁶⁾. ونستطيع أن نقسمها إلى صنفين أساسيين، الثروة النباتية والثروة الحيوانية.

أ – الثروة النباتية: هناك في بعض الصحاري تنعدم النباتات، ولكن في صحراء سوف توجد فيها أنواعا مختلفة من الأشجار والنباتات ولكنها تعد قليلة، فمنها النباتات التي تعتمد على الغيث، فنجدها تكثر في السنة الممطرة وتشح في الجافة، وهذه النباتات تمتلك خاصية البقاء، حتى إذا لم تنبت من عام لآخر، فهي تحافظ على بذورها لتنمو إذا ما نزل الغيث.

وهناك نباتات تعتمد في حياتها على المياه الجوفية وأهمها النخيل، الذي يعتبر الطابع المميز لصحراء سوف، ولقد ارتبط به "السوفي" بدرجة أنه لا يمكن أن يتخلى على النخلة مهما كانت الظروف، مع أن النخل و ثماره أسس مجموعة من العادات الغذائية، وهذه النباتات التي تعتمد على المياه الجوفية نجدها حية طوال السنة بفصولها الأربعة، والنوع الثالث في نباتات المنطقة يسقى من طرف الإنسان لإنتاج بعض الخضر والفواكه التي تتأقلم مع طبيعة المنطقة. ومجمل هذه النباتات يمكن تصنيفها من ناحية استعمالها كالاتي:

- النباتات المستعملة في أغراض الرعي: الحلفاء، البشنة، العضيد، السعد، الحارّة، القريطفة، النمص، الحاذ، القصبية، النجم، الشيخ ...

- بعض النباتات المتعلقة بالرعي والإستطباب: البسباس، عنب الذيب، الحرمل، الفيجل، الحنضل، الفقاع (الفطر)، الترتوث ...

- بعض الأشجار المستعملة في الطهو و التدفئة: الأزال، العلندي، الباكل، المرخ ...

- بعض النباتات البستانية و البرية في نفس الوقت: الريجان، الرند، البسباس، الرجلة، النعنع، الكرنب، الخروع، الخرشف، الزعتر، الثوم البري، الفيجل، شجرة مريم ...

- أنواع الخضروات: الكابو (اليقطين)، القرع، اللفت، الجزر، الخردل، الباذنجان، القناوية، الفقوس، الخيار، البطيخ، البطيخ الأحمر (الدلاع)، البطاطس، البطاطا، الطماطم، السلق، الكرافس.

أما ما يميز منطقة سوف هي النخلة. ولقد تعلق بها السّوفي، وأصبحت جزءا منه، كما توجد أشجار أخرى كالعنب، التين، الرمان، الليمون، التفاح، الخوخ، التوت، الزيتون ...

ب - الثروة الحيوانية: توجد في صحراء سوف حيوانات برية وأخرى أليفة، تعيش تحت رعاية الإنسان الذي يستنفع منها، وهي مصدر الرزق عند البدوي في هذه المنطقة، وخصوصا البدو الرّحل. وقد لعبت الحيوانات دورا هاما في العادات الاجتماعية المتعلقة بالغذاء، والتداوي، بحيث نجد أهل سوف يستعملونها في العديد من العادات العلاجية بدرجة ملفتة للانتباه.

بعض أنواع الحيوانات التي تعيش في صحراء سوف

يسترزق البدوي من مجموعة من الحيوانات التي تعيش على الرعي الطبيعي في أكثر الأحوال، وهي لبّ نشاطه الاقتصادي والوحيد، وهناك الحيوانات البرية من حشرات وسحليات وغيرها.

- **الجمال:** أو ما يعرف بسفينة الصحراء، وهو الحيوان الأكثر ملائمة في الصحراء لصبره الطويل على الماء والأكل، ولقد استعمله البدوي في الكثير من الأغراض وتعلقت به مجموعة من العادات الاجتماعية، حيث يستخدم في نقل العروس من بيت أبيها إلى بيت الزوجية، كما أن وجوده أثر في العادات الاجتماعية المتعلقة بالغذاء، وغير ذلك.

- **الماعز:** يملك أهل الصحراء هذا النوع من الحيوان من أجل الحليب أولاً، واللحوم في الدرجة الثانية، وهو من آكلات الأعشاب، ويرضى بالقليل، ويأكل كل أنواع العشب، وله قدرة على تحمل الحرارة والبرودة، بل أنه يتحسن كثيراً في فصل الحر.

- **الضأن:** ويملكها البدو أكثر من غيرها من الحيوانات الأخرى، وتحتل الصدارة في الوقت الحالي وتعتبر العمود الفقري للحياة عند رحل سوف قبل الجمال، كما يستأنس البدوي بعض الحيوانات الأخرى، والتي تعيش معه لاستعمالها في أغراض مختلفة.

هذا إلى جانب وجود حيوانات برية، مثل الغزال، الذئب، الضبع، الثعلب، الفнк، القنفذ، الأرنب، الكلب ...

- **الطيور:** الطيور هي كثيرة، فمنها القارة، ومنها المهاجرة، ومنها من يقوم سكان المنطقة بتربيتها والاعتناء بها ونذكر منها: الأنيس وهو طائر قار طوال السنة، و يعتبره سكان المنطقة فال خير، ويحرصون على عدم إيذائه وتركه حراً، والزواش وهو نوع من العصافير الصغيرة المتواجدة طوال السنة، والعصيفيرة وتدعى الزراعة، المسييكة، الهدهد، ابو قير وتدعى البوم وهو طائر غير مرغوب فيه، القوبعة: وهي من الطيور الصغيرة ومن مميزات الطيران لأمتار صغيرة عند اللحاق بها حيث يحذر الأطفال من اللحاق بها حتى لا تتسبب في ضياعهم. إلى جانب مجموعة من الطيور الكبيرة نسبياً كالغراب وهو نذير شؤم عند أهل البدو، والصقر (أعداده قليلة)، والحمام والدجاج وغيرها.

- الحشرات البرية: بالإضافة إلى الحشرات التي تستعمل في أغلبها في التداوي، ومنها الضار مثل الحنش، الورن، بوكشاش، الزرزومية، الوزغة، الشرشمان، الأفاعي، العقرب، الضفدع البرية، الثعبان، الجرد، الجربوع، فأر الصحراء، الصرصار، الجندب، الحلزون، الخنفساء، الجعل، الفرجان ... إلخ.

هذه الحيوانات البرية وخاصة الحشرات منها الضارة بالإنسان، والكثير منها نافع لها، حيث يستعملها أهل المنطقة في التداوي من مضار البعض منها، وعلاج أمراض كثيرة أخرى. كما يستعمل بعضها لسد الرمق كالجربوع والشرشمان ... إلخ.

ثانيا: الممارسات المرتبطة بالغذاء و مصادره

ينقسم الغذاء البشري حسب مصدره إلى ثلاثة أنواع: حيواني ونباتي ومعدني , إلا أن الغذاء المعدني البحت ينحصر تقريبا في الماء والملح فقط، والباقي متنوع بحسب كل بيئة، وطبيعة العادات الاجتماعية. فنجد بعض المجتمعات تركز على الغذاء ذي المصدر النباتي، وأخرى تركز على الحيواني، إلا أن أغلب المجتمعات البشرية تعودت في غذائها على النوع النباتي، وتفنن الإنسان في إعداده وطرق تناوله المختلفة، فمن الغذاء ما يتناول ناضجا، ومنه ما يتناول نيئا بحسب العادات الاجتماعية التي ينشأ عليها الفرد. كما أنّ بعض الأغذية ما يتناول نيئا في إحدى المجتمعات، وتستهلك في مجتمعات أخرى ناضجة، بحسب التنشئة الأسرية مثل لحوم الأسماك.

1- الغذاء النباتي

أ - التمر: يعتبر التمر غذاء ضروريا عند أهل البدو الرحل بمنطقة "سوف"، فلا يتصور أن أحد منهم لا يأكله، ويعتقد أن الذي لا يوجد عنده التمر هو جائع، فهو يتناول يوميا تقريبا وفي مختلف فصول السنة، كما أنّ له خاصية الحفظ لمدة طويلة دون أن يتعفن ويستعملون لذلك طرقا معينة.

والتمر متوفر في المنطقة لأنه يتصدر المنتوجات الفلاحية , بحيث تعتبر زراعة النخيل هي الأولى، مع ما له من فوائد غذائية كبيرة، ويؤكل دون أي تحويل، وقليله يكفي لسدّ الرمق. ويعطي للإنسان طاقة عجيبة، فيعمل من الشروق إلى الغروب دون إرهاق، ويستعمل نواه وحشفه غذاء للدواب.

كما أنّ التمر ينصح به للنفساء لكونه يدرّ الحليب، والدراسات الحديثة أثبتت ذلك⁽⁷⁾.

أما التركيبة الكيميائية لهذه المادة تتمثل فيما يلي :

"حوالي 20٪ ماء، وحوالي 75٪ كربوهيدرات، 2.2 غ بروتين، 0.6 غ دهون، 2.4 غ ألياف، 60 وحدة دولية فيتامين أ، 0.08 ملغ فيتامين ب 1، 0.05 ملغ فيتامين ب 2، 2018 ملغ حمض النيكوتيك، 0.9 ملغ صوديوم، 790 ملغ بوتاسيوم، 65 ملغ كالسيوم، 66 ملغ ماغنسيوم، 0.15 ملغ منغنيز، 2.1 ملغ حديد، 0.61 ملغ نحاس، 72 ملغ فوسفور، 65 ملغ كبريت، 283 ملغ كلوريت، كما يحتوي على مادة تنبّه تقلّصات الرحم وتزيد من انقباضها وخاصة أثناء الولادة. وهذه المواد وقيمها متواجدة في 100 غ من التمر".⁽⁸⁾

والتمر له أهمية بالغة لأنه "غني جدا بالمواد الضرورية للإنسان، فإنّ كيلو غراما منه يعطي ثلاثة آلاف كالوري أي ما يعادل الطّاقة الحرارية التي يحتاج إليها جسم رجل متوسط النشاط في اليوم الواحد، وبعبارة أخرى أنّ الكيلو غرام الواحد من التمر يعطي نفس القيمة الحرارية التي يعطيها اللحم، وإنّ ما يعطيه الكيلو الواحد من البلح يعادل ثلاثة أضعاف ما يعطيه كيلو واحد من السمك"⁽⁹⁾.

فطبيعة نشاط البدوي الذي يحتاج فيه إلى جهد مضاعف وكبير لتنقله الدائم في جيوب الصحراء وهو يمشي على رجليه وأحيانا يجري، فهذه المادّة (التمر) تساعده على بذل الطّاقة المضاعفة دون إرهاق لما تحويه من سعرات حرارية معتبرة. وكنتيجة للتعوّد على تناول التمر، أصبح من بين المواد الأساسية

الضرورية التي يحرص البدوي على توفرها الدائم، فخلال الدراسة الميدانية في البوادي، لاحظنا أنّ البدو لا يتنازلون عن تناول التمر، بحيث عند مقابلة مع أحد المخبرين، وكنا نتناول التمر مع الحليب، يقول بأنّ التمر يعتبر غذاءً أساسياً عندنا، ونعتقد بأنّ الدار التي لا يوجد فيها تمر يعتبر أهلها جوعاً. وليس تناول التمر نتيجة لمعرفة علمية بل كان بسبب التجربة فقط، بحيث عندما وجد هذه المادة من حوله، وفي متناوله، أخذها كغذاء وساعدته على سد رمقه، وأعطته الطاقة الكافية لممارسة نشاطه، وبمرور الزمن أصبح البدوي "السّوي" يتناول هذه الوجبة (التمر) يوميا حسب نفس المخبر خصوصا لصلاحية تصبيره بطرق سهلة، وبالتالي تعود البدوي على تناول التمر.

ويمكن أن نستخلص بأن تناول التمر يعتبر إحدى العادات الاجتماعية المتعلقة بالغذاء البدوي في "سوف"، لكن يبقى ليس بإجباري عندهم من الناحية الاجتماعية، ويدخل هذا ضمن الطرق الشعبية المستحسنة، والتي يحاول البدوي جاهدا تعليمها للأطفال.

بـ — الطحين : يستعمل الطحين يوميا في مختلف الوجبات البدوية منذ زمن بعيد، ويعتبر أحد المواد الغذائية الضرورية والأساسية، وله أنواع مختلفة.

فهناك طحين القمح والشعير بالإضافة للدقيق والفرينة، أمّا استعماله فهي الكسكسي ويكاد يكون يوميا طوال السنة، كما يستعمل في وجبة العصيدة، وفي الخبز بأنواعه المختلفة.

إلا أن البدو يفضلون طحين القمح والشعير عن باقي الأنواع الأخرى، والسبب في ذلك عند أحد المخبرين أنّ القمح علاج بالإضافة إلى بقاءه في المعدة مدة أطول، وخصوصا للرجال الرعاة الذين أحيانا لا يتناولون وجبة الغذاء عند الزوال. كما أن الكسكسي بالقمح يساعد على منح الدفء الداخلي للجسم خاصة في فصل الشتاء بالخصوص إذا أضيف له الشحم.

يبدو حسب ما وصلنا إليه في هذا العنصر من خلال الميدان، يتبين أن عادة تناول الطحين باستمرار يطغى عليها طابع العادات المتفق عليها عند جميع البدو الرحل، خاصة مع فصيلة العائلات الكبيرة، حيث يكلف كبير السن بإدارة شؤون العائلة، ولا يمكن أن يوافق على غذاء آخر مهما كانت الظروف، إلا في حالة المرض، مع العلم أن التسوق يكون عادة من طرفه لوحده، وفي مناسبات متباعدة تصل إلى الشهور.

جـ - الخضار: وهي مختلفة ولكن قليلة نوعا ما من ناحية الأنواع، فحسب ما لوحظ فإنّ البدو لا يعرفون كثرة الخضار، ولكن يغلب استعمالهم للبصل بدرجة كبيرة جدا بالإضافة لليقطين، والجزر إن وجد، إلا أنه نادر الاستعمال.

فاليقطين يستعمل في وجبة الكسكسي، وهو خضار أساسي فيه، وهو ينبت في صحراء سوف على غرار مناطق أخرى، وقابل للحفظ لمدة طويلة تتعدى الشهور. أما البصل فهو خضار مهم منذ القديم، ويستعمل في أغلب الوجبات، وله فوائد غذائية، وطبية عديدة، لاحتوائه على العديد من المواد القاتلة للجراثيم، كما أنه يلين الريق فيقلل من شرب الماء، خصوصا إذا كان نيئا، كما أنه يقي من ضربات الشمس، وبعض الدراسات تشير إلى من بنو الأهرامات كان غذاءهم الأساسي البصل باعتباره مقوّ.

كما يتناول البدوي الثوم ويستعمله في العديد من الأغذية وفي مآرب أخرى، كتصبير السمن، ويعتقد عندهم أن له فوائد كثيرة، وبالتالي يحرص البدوي على اقتنائه دائما، كما يمتاز بالحفظ لمدة طويلة، تصل إلى أربعة أشهر أو أكثر.

وهذه الخضار تنبت جميعها في صحراء سوف، وهي متوفرة من السهل اقتناؤها من طرف البدوي لرخص أثمانها وتوفرها.

د التوابل: وهي ليست ضرورية ولكن لا مانع من استعمالها في الغذاء إن وجدت ما عدا في حالة النفاس فإنّ المرأة تتناول طبيخا مشكّلا من مجموعة التوابل

والحشائش الطبية يساعد على معافاتها بسرعة كما يعتقدون , وهو من العادات الدائمة لدى البدو عند ولادة المرأة.

والملفت للانتباه في مجتمع الدراسة يستعملون الفلفل الحار الأحمر كتوابل وليس كخضار لتغيير طعم الغذاء المحضّر , بحيث يتميز هذا النوع بأنه قابل للحفظ لمدة طويلة جدا وله.

هـ - النباتات البرية: حسب ما علمناه من مجتمع البحث يتبين لنا أن البدو في صحراء سوف يستعينون في غذائهم من بعض النباتات البرية مثل "الترثوث" و"الذنون"، وهما نباتان طفيليان فـ "الترثوث نبات طفيلي يظهر في بداية الربيع ويستمر إلى غاية الصيف"⁽¹⁰⁾، كما أنّ الذنون نبات متطفل ويحتاج لنموه إلى نباتي الزيتة والباقل، ويستعمل كخضار للكسكسي"⁽¹¹⁾.

ولعلنا نجد أن هذا السلوك يقوم به مجتمعات الالتقاط إلا أنهم لا يعتمدون على ذلك بطريقة كلية، بل بصفة محدودة جدا، بحيث يقتصر تقريبا حسب ما علمنا من كبار السن على هاتين النباتين فقط، بل يتمثل غذاؤهم من هذا النوع جزء بسيط جدا، ومن العادة يستهلكون المادتين السابقتين عندما يحل بهم عسر الحصول على الغذاء مع العلم أنهم تعودوا عليه خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

2- الغذاء الحيواني

من خلال الزيارات الميدانية لمجتمع الدراسة، لاحظنا أنّ الذي يتصدر الغذاء الحيواني لديهم هو الحليب بدرجة كبيرة، ثمّ لحوم الإبل والضأن والماعز ولحوم الحيوانات البرية المتعددة.

أ - الحليب هو غذاء متوفر عند الرّحل بدرجة كبيرة، لاستئناسهم بعض الحيوانات التي تنتج الحليب بقدر وافر، مثل: الماعز والإبل، فحسب الملاحظة البسيطة، وجدنا امتلاك الماعز بدرجة ملحوظة عند جميع البدو الرّحل، سواء بالنسبة لرعاة الضأن أو الإبل. فهم يستهلكون الحليب بشكل أساسي ودائم، نظرا

لعدة اعتبارات. من حيث قدرته الكاملة في التغذية, بالإضافة لأسباب أخرى بحسب أحد المخبرين الذي أفادنا بأن البدو يتناولون الحليب بسبب التعود الذي ينشأ مع الفرد منذ صباه, كما أن الحليب له منفعة كبيرة للجسم, حيث نجدهم يحثون المريض, والمرأة الحامل على تناوله, كما يقدم للراعي والذي ينشط كثيرا لتعويضه على بذل الجهد, وكدليل على أهمية هذه المادة أفادتنا أحد المخبرات بأنه عندما يكون قليلا يقدم للرجال دون النساء, ونحن نعرف بأن المجتمع البدوي يفضل الرجل عن المرأة, ويرفع الرجال عن النساء بدرجة كبيرة.

فيمرور الزمن, أصبح شرب الحليب عادة اجتماعية لدى البدو انطلاقا من تعوهم على ذلك نتيجة وفرة شبه الدائمة من مصادر مختلفة. فتناول التمر ارتبط ارتباطا وثيقا بشرب الحليب, حيث في مقابلة مع أحد المخبرين البدويين يقول "لا أتصور نفسي أنني أكل التمر دون حليب". ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا في هذا المجال هو: لماذا رعاة الإبل يستأنسون الماعز, في حين يتوفر حليب النوق لديهم بدرجة كبيرة؟ مع العلم أن الناقة تمدّ بالحليب لفترة طويلة تصل إلى إحدى عشر شهرا في السنة.

فطرحنا فرضية مفادها أنّ السبب يتعلّق بالنوعية؟, وعند مقابلة مع إحدى المخبرات بيّنت لنا أنّه لا يستخرج من حليب النوق ما يسمّى بالسّمْن والزّبدة وكذا لا يستخدم منه اللّبن, في حين حليب الماعز يصلح لاستخراج ذلك, وهذه المواد المستخرجة من حليب الماعز لها استعمالات غذائية وطبية, وبالتالي يفترض على البدوي امتلاك الماعز لأغراض غذائية بدرجة كبيرة, مع العلم أن الماعز لا يثقل البدوي في تغذيته, فهو حيوان يأكل أغلب الأعشاب, مثل ما هو موجود في المنطقة الجنوبية بصحراء سوف, حيث تقل فيها الأعشاب بدرجة ملحوظة, وتكون فيها عدا النباتات الشوكية تقريبا.

أمّا طريقة تناول الحليب فتختلف حسب طبيعة الأشخاص والظروف, والنوعية أيضا, فيشرب طازجا أو مغلى أو لبنا منزوع الزبدة, وغالبا ما يتناول لبنا مع التمر, أو مغلى في الصباح حسب ما لاحظناه في حياتهم اليومية.

وأخيرا يمكن أن نقول بأن شرب الحليب من الطرق الشعبية البدوية التي تعودوا عليها في صحراء "سوف"، حيث نجد أن كلهم يشربون الحليب يوميا، إلا في حالة عدم توفره، ويبدو أن تربية الماعز لدليل على تشبثهم بهذه المادة، مع العلم بأن الماعز يعتبر قليل المردود من الناحية المالية، ويفضل عليه الضأن والإبل.

ب- مشتقات الحليب: لقد تفننت البدوية في مجتمع الدراسة، في اشتقاق مجموعة من المواد المكونة للحليب، بطرق تقليدية، ولأغراض متنوعة، غذائية وطبية وغيرها.

— الزبدة: وهي مادة تستخرج من الحليب بعد عملية الترويب، التي تتمثل في ترك الحليب لمدة معينة حتى يتغير ويتخثر نسبيا بواسطة الحرارة، وبعد هذه العملية تمخض البدوية ذلك في "الشكوة"⁽¹²⁾، فالجزء الذي يطفو في الأعلى يسمى الزبدة، والباقي يعتبر لبنا، وتمتاز الزبدة بلونها الأبيض الناصع، وتختلف في الجودة من فصل لآخر حسب ما ورد من إحدى المخبرات، بأن البدوية تفضل زبدة موسم البرد عن زبدة الصيف، وهي تخزن مؤقتا بقليل من الملح، وقليل من شجرة الإكليل المجفف قبل عملية تصنيعها في وقت لاحق عندما تكثر كميتها، وهذا التصنيع، أو التحويل يتمثل في تكوين السمن (الدهان)، كما تؤكل مع التمر في بعض الأحيان خاصة في فصلي الربيع، والصيف. وهذه الأكلة تتطابق تماما عند قبائل العرب في منطقة نجران بالمملكة العربية السعودية بحيث تقوم الأم بوضع التمر والزبدة المصنوعة من لبن الغنم"⁽¹³⁾.

وتقدمه للتناول، وهذا ما يدل على أن هذه الوجبة تمثل عادة اجتماعية لدى تلك القبائل، وهي تمثل عادة أيضا عند بدو "سوف" في الصحراء الجزائرية، ويمكن أن نفسر هذا بتشابه الخصائص البيئية لكل من الصحراء السعودية وصحراء سوف مع العلم أنهم جميعا من ديانة واحدة، وأصل عربي واحد.

— السمن أو الدهان: وهو عبارة على زبدة مطبوخة مع قليل من البصل والثوم، مع إضافة الفلفل الأحمر المجفف وكمية من القمح أو الشعير المدشوش، وهذا

الأخير الهدف منه امتصاص الماء الموجود في الزبدة، في حين يمكن للبدوية أن تستغني عن البصل، والثوم أو الفلفل حسب ما تراه مناسباً للذوق، وتكتفي أحياناً بطبخها مع القمح المدشوش والملح قصد التصبير فقط. ويستخدم السمن في الكسكسي، كما سنراه لاحقاً أو في العادات الاجتماعية المتعلقة بالمناسبات الموسمية أو الزواج وغيرها، وهذا الأمر ستتعرض له في فصل آخر كما يستخدم للعلاج أيضاً بخلاف ما نجده عند الكثير من الرعاة الإفريقيين، حيث لا يستخدمون الزبدة في الطعام ويتفقدون معهم في استعمالها لدهن الجسم والشعر (14)

– الجبن الصحراوي: من مشتقات الحليب لدى البدو الرحل في صحراء سوف، يصنع ما يسمى بالجبن الصحراوي بطريقة تقليدية بحتة، ولا يتحمل البقاء على حالته طويلاً بحيث يؤكل عند صنعه مباشرة إذا كان الفصل حاراً، أما في البرد يبقى صالحاً لمدة يومين، أو ثلاثة، ويصل إلى عشرة أيام إذا غسل بالملح والماء على أكثر تقدير، وطريقة صنعه تكون بوضع كمية من الحليب في منفاح (جزء من الأمعاء) لأحد الحيوانات المذبوحة، ويفضل أن يكون صغير الماعز بالإضافة لقليل من الملح، ويربط هذا المزيج، ويعلق في الهواء الطلق حتى يجف تماماً ويصبح مسحوقاً، ويؤخذ منه في كل مرة قليل من هذا المركز، ويوضع في إناء فيه كمية من الحليب، ثم يعلك بواسطة الأصابع حتى يتجمد الحليب ويتخثر ويصبح جبناً صالحاً للأكل، أو في كل مرة يوضع طرف من الخليط في صوفة نظيفة، ويربط بخيط، وينقع في الحليب حتى يتخثر بطريقة سريعة.

ج – اللحوم: تأتي اللحوم في المرتبة الثانية بعد الغذاء النباتي في مجتمع البحث، إلا أنهم يدلون لها أهمية كبيرة، وحسب ما لوحظ عليهم، تعين أنهم يأكلون نوعين من اللحوم، لحوم الحيوانات التي يستأنسون، ولحوم الحيوانات البرية.

– لحوم الحيوانات المستأنسة: من العادات البدوية في تناول اللحوم، نستطيع القول حسب ما أخبرنا به بعض المخبرين بأنّ البدوي يتناول اللحوم حسب ظروف مناخية. ففي فصل الخريف يركز على لحوم الجمال، حيث ير بأنها مفيدة في هذا

الفصل وهي في أحسن حالها و قوامها , وبالنسبة للماعز فأحسن كمال له في فصل الصيف , و يعتقد البدوي بأن لحم الماعز يكون شفاء وصحة للبدن في هذا الفصل كما أستعمل الماعز كعلاج في الحضارة المصرية القديمة اعتقادا منهم بأنه يمنحهم الصحة والشفاء.⁽¹⁵⁾

نظرا لأنه أخذ كفايته من الأعشاب الربيعية. وبخصوص لحوم الضأن فإنها تحبذ في الربيع نظرا لبدانتها، وقوامها الجيد، أما في الشتاء فتؤكل كل الأنواع ما عدا الماعز. والبدوي يحبذ تناول لحم الضأن، والاعتقاد بمنفعته، حتى أصبحت عندهم عادة اجتماعية دون البحث عن المضار التي يمكن أن تنجم عن الإكثار من تناول هذا النوع من اللحوم. فيصرح أحد المخبرين قائلاً إن لحم الضأن ألدّ اللحوم جميعها، وأنفعها للجسم على الإطلاق، فيضيف قائلاً لو كان بقدرتي أن أتناوله يوميا فما ترددت في ذلك".

– لحوم الحيوانات البرية: من خلال المقابلات التي أجريت مع المخبرين، فإن البدوي لا يتناول اللحوم بكثرة حتى أنه يمكن أن يتعدى الشهر، فجعل لذلك مناسبات مختلفة لتناولها.

ولكن من الملاحظ خلال الزيارة الميدانية، وجدنا أنهم يتناولون اللحوم تقريبا يوميا خاصة لحوم الحيوانات البرية، مثل الجرد، وهو حيوان يشبه الفأر، ولكنه أكبر منه حجما، حيث لاحظنا مجموعة كبيرة من الفخاخ لدى الأطفال يضعونها قرب الأشجار وخصوصا شجر الباقل الذي يعتبر الغذاء الوحيد له، ويصطادون بعضها وتؤكل في حينها بعد شويها على نار الحطب البري المتواجد عندهم، وحسب نفس المخبرين الذي ألفت انتباهنا إلى ما سمى بالجراد، بحيث يتناول البدوي هذه الحشرة المهاجرة التي تقضي على الثروة النباتية بشكل سريع جدا، بعد طبخها ويترك الباقي ليحفظ حتى يتسنى له أكلها مستقبلا لأن الجراد يأتي لمدة قصيرة. وليس في كل عام أيضا. كما هو موجود أيضا عند قبائل الشوشون الذين يتناولون الجندب... إذ كانوا يشوونها ويأكلونها.⁽¹⁶⁾

أما الغزال فتناوله نادر لصعوبة صيده، في حين يرى البدوي بأنه للذة المذاق دون قيمة غذائية معتبرة، ويتناول البدوي في فصلي الربيع والصيف الشرشمان (الإسقنقور) بالإضافة إلى الورن و الفنك و الجربوع ...

وبالتالي نستطيع القول بأن أهل البدو يتناولون اللحوم يوميا، وتزداد كميته من فصل إلى آخر، مع العلم أنهم يتناولون الحيوانات الأكلة للأعشاب فقط دون الأخرى إلا في النادر، ففي استفسار لنا عن أكل لحم الكلاب كانت الإجابة: إلا في الضرورة القصوى أو نزولا لطلب العلاج عندما يطلب من المريض "نشرة" ⁽¹⁷⁾ لزوال السحر والعين الحاسدة.

وفي تفسير آخر يمكن للبدوي أكل لحم الذئب، وحسب تحليلنا وكما نعرف أن الذئب عدو الغنم، وبالتالي يستساغ أكله أحيانا لأنه مفسد، و عدو لهم في حين تستعمل بعض أطرافه في أغراض أخرى.

— الشحوم: يستخدمها البدوي في طعامه اليومي عند طهي الوجبة اليومية، سواء أكانت هذه الشحوم من الضأن أو الماعز أو الجمال، يعتمدها البدوي كإحدى الزيوت الأساسية في طهي الغذاء، حيث يعتقد أن الأكل دونها يبقى فقيرا، ومذاقه رديء، ولا يمكن للبدوي أن يكون نشيطا في عمله، و يصاب بالفشل ولا يقاوم برد الشتاء حسب ما سمعناه من أحد المخبرين من مجتمع البحث.

— طرق طهي اللحوم

الشواء: هذه الطريقة تعتبر المفضلة لديهم وهي المتعارف عليها، ويكون على الجمر مباشرة، ولكن يجب أن يكون اللحم منزوع العظام في هذه الطريقة ولأجزاء محددة من الشاة والتي يكثر فيها اللحم ويقل العظم كالفخذين مثلا، كما تشوى أغلب الحيوانات البرية التي يصطادونها مثل الجرد.

الطهي تحت التار: مفادها، تحضّر نار معتبرة بالحطب البري ويوضع لحم الشاة المذبوحة في معدتها ثم تربط بواسطة خيط وتوضع في الرمل الساخن تحت النار (المال) وبعد ذلك تلهب النار من فوقها من جديد إلى أن ينضج اللحم.

الطبخ مع المرق: و يكون ذلك مع الوجبات الغذائية مثل الكسكسي في أغلب الأحوال، كما يطبخ البدوي بعض الحيوانات البرية في بعض المأكولات كالشرشمان مثلا.

رابعا : الوجبات الغذائية المعتادة

1- فطور الصباح

لا يهتم البدوي السوفي بفطور الصباح كثيرا، فحسب المقابلة التي أجريناها مع أحد المخبرين وهو على اتصال دائم بهممن فهو يؤكد على عدم اهتمام البدوي بهذه الوجبة. ولكن لا يعني هذا أن البدويين لا يتناولون الفطور إطلاقا، بل ينقصون من أهميته فقط لأسباب سوف نعرفها لاحقا.

فمن العادة يتناولون الشاي مع حليب الماعز المغلى عن طريق الخلط، وإذا بقي بعض الطعام من العشاء فيسخن على النار ثم يؤكل مع الشاي. أما إذا لم يكن هناك باق فيكتفوا بالشاي والحليب فقط. أما المأكولات الأخرى فلا يتناولونها أبدا لاعتقادهم أنها مصنعة، وبالتالي مضرّة، والبدوي لا يتنازل عن شرب الشاي نظرا لأنه حسب اعتقاده يعطيه النشاط والصحة أيضا. والحليب بالنسبة إليهم مغذي ونافع بدرجة عالية إذا كان طبيعيا غير مصنع كالحليب المجفف، وهذه الأنواع مضرّة بالصحة كما يعتقد عند البدو.

أما الشاي فهو منشط للجسم، وتناوله في الصباح يعطي البدوي حيوية ونشاط. ولكن يجب أن يكون شحيحا من السكر. وفي سؤال لأحد المخبرين عن أسباب شح السكر في الشاي أجابنا بأن السكر يساهم في العطش بالدرجة الأولى وكثرته مضرّة، ويتبع هذا أن البدوي يخرج من وقت الفجر بالغنم للرعي والمياه غير متوفرة في كل مكان وطبيعة عمل الرعي متنقلة فلا يمكن اصطحاب قدر كبير من ماء الشرب.

أما فوائده الغذائية فهو "يسهل الهضم، ينشط الفكر، يقوي الجهاز العصبي، ينعش الذاكرة ويحارب الوهن العصبي".⁽¹⁸⁾

فهذه الفوائد يحتاجها البدوي في كل يوم و بالتالي أصبحت لديه عادة شرب الشاي في الصباح حتى يمارس نشاط الرعي دون فشل أو وهن.

وهذا يتطابق إلى حد ما مع رأي المؤرخ الإنجليزي "بكل" buckle صاحب الاتجاه المادي في كتابه "تاريخ المدنية في إنجلترا" history of civilization بأن المناخ يؤثر أيضا في قيمة العمل والإنتاج، فالحرارة الشديدة تصيب العامل بالكلل والملل بينما الحرارة المنخفضة تثير النشاط والحيوية".⁽¹⁹⁾

و هذا سر استعمال الشاي في هذا المجتمع من أجل التغلب على الخمول والكلل الناتج عن ارتفاع درجة الحرارة ويضعف من جهده كي يخرج من سيطرة الطبيعة من خلال المناخ الحار.

2 – وجبة الغذاء

حسب الملاحظة البسيطة، وجدنا أن بدو سوف يقسمون الغذاء إلى مرحلتين في أغلب الأحوال ويتعلق الأمر بتناول وجبة من التمر واللبن بعد قضاء شوط من العمل الرعوي، وهذا سر عدم اهتمام البدوي بفطور الصباح. ويتناولون وجبة أخرى في الزوالن وهي عبارة على خبزه من طحين القمح أو السميد ويكون في وسطها كمية من الشحم والبصل وقليل من الخضروات الأخرى إن وجدت وتنضج بالطريقة الآتية: يعجن الطحين بقليل من الماء ثم يسوى باليد ويوضع في وسطه ما حضر من خضروات أو شحم ثم تلقى في وسط الرمل الساخن بواسطة نار الحطب المعدة من قبل إلى أن تنضج. وتدعى هذه الأكلة "الملة".

ومن خلال إجابة أحد المخبرين على سؤال يتعلق بأسباب إختيار "الملة" على غيرها أجابنا:

- اقتصاد الماء: فالعجينة لا تستخدم كمية كبيرة من الماء، لا تهضم بسرعة: وهي تبقى في المعدة لمدة طويلة، سهولة وسرعة النضج، لا تلهي عن شغل آخر.

كما أن التربة هنا لعبت دورها البارز بحيث تعتبر هي القدر لهذا النوع من الطعام، فلا يحتاجون إلى الأواني أو غيرها، وهذا لصفاء الرمال ونقاوتها وعدم التصاقها

بالخبزة. ومن العادات الاجتماعية في الغذاء، أن أغلب أفراد الأسرة يتناولون الغذاء مجتمعين مع بعضهم على بساط الرمل بطريقة دائرية، نظراً لأن الرمال نظيفة، ولا داعي للفرش أو الجلوس على كراس أو غيرها، وهنا نلاحظ أن المناخ لعب دوراً في تشكيل العادات الغذائية بصفة واضحة وتدخل في نوعية الأكل والرمال وأثرت في العادات المتعلقة في كيفية الإعداد والتناول.

3- العشاء

من خلال حضورنا وجبات العشاء لعدة مرات، لاحظنا أنهم لا يستعملون عدا الكسكسي وبصفة يومية دون تغيير مهما كانت الظروف، وفي أغلب الأحوال تضاف في المرق كمية من التمر وكمية معتبرة من خضار الكابو. وفي سؤال لأحد المخبرين أفادنا بأن الكسكسي من عاداتنا في فصل الشتاء لأنه يبعد البرد عن الجسم، أما في فصل الصيف يمكن استبداله "بالملة".

عندما يدخل فصل البرد يحتاج البدوي إلى غذاء من نوع الكسكسي الذي لا يستغنى عنه أبداً لأنه يرى حسب اعتقاده أنه يزيل البرد ويقاومه حسب ما أبلغتنا أحد المخبرات، وخصوصاً إذا أضيف له قليل من السمن المستخلص من حليب الماعز. فغذاء البدوي السوفي يتطابق تماماً مع ما وصلت إليه الدراسات التي تناولت أهل البدو في فترة القرن التاسع عشر حيث كشفت دراسة أن أغلب طعامهم "في القرن التاسع عشر تمرا وحليب النوق وحليب الماعز والطعام المصنوع من القمح والشعير: العصيدة والملة كما يتناولون المرفوسة"⁽²⁰⁾.

أما اللحم فلا يتناولونه إلا عند وقوع حادث للحيوان أو عند قدوم الضيوف ولكنهم يتناولون ما يصطادونه من الأرانب والغزلان والطيور المهاجرة والشرشمان، أما الشاي فيعتبر مشروباً مفضلاً عند كل البدو.⁽²¹⁾

ونستطيع القول أن البدوي السوفي يميل إلى الأكلات الثقيلة على البطن خاصة في فصل الشتاء الذي يطول فيه الليل ويكثر البرد، وهي كما لاحظنا وجبة الكسكسي الممزوج بالسمن الحيواني كما يشبه إلى حد ما وجبة العشاء عند قبائل

نجران الذين يعتمدون أكلة مكونة من القمح والذرة المطبوخين والمخلوطين باللبن والمزينة بالسمن الحيواني⁽²²⁾.

فالبدوي يتناول الأغذية الثقيلة على المعدة، ولا يمكن أن يعتمد على أي وجبة أخرى باعتبارها عشاء، حيث يقول أحد المخبرين: "لميتعشاش بالكسكسي يبات جعان".

خامسا : العادات المتعلقة بتصبير المواد الغذائية

1- حفظ التمور

من العادة يخزن البدوي تمر الغرس حسب ما لاحظناه , وهو احد الأنواع المتواجدة في صحراء سوف لكونه يتحمل البقاء لمدة تتعدى السنة أو أكثر، بالإضافة لتخزين أنواع أخرى مثل التفزوين وهو تمر يشبه الغرس وكذا التنسين، المسوحي، وغيرها من الأنواع إلى جانب "ذقة نو" إلا أنها لا تتحمل البقاء على حالتها طويلا بسبب تأثرها بحرارة الصيف في المنطقة فتغير من لونها وطعمها ورائحتها. بالإضافة إلى قلة فوائدها الغذائية مقارنة بالغرس كما يعتقد البدوي، حيث أجابت أحد المخبرات، إن الغرس مفيد جدا أكثر من باقي التمور الأخرى بالإضافة إلى أنه يتحمل التصبير لمدة طويلة.

ومن الملاحظ عند البدوي أنه يركز على نوع الغرس "فيصبره بطريقة تقليدية , حيث يضعه في كيس من البلاستيك المثقوب ثقباً صغيرة أو كيس من القماش أو جلد الماعز المدبوغ، ويقوم بضغطة حتى لا يكون أي فراغ بين الحبة والأخرى لمنع تعفنه بواسطة الهواء، ثم يربط من أعلاه بواسطة خيط ويتركه في الظل بعيداً عن أشعة الشمس، كي لا يتعفن بالحرارة، بل يكون الكيس على الرمل مباشرة، فيمتص الرمل العسل الذي يخرج من الكيس بعد مرور الوقت، ويبدأ البدوي في تناول هذا التمر في فصل الربيع باعتقاده أن الغرس يعتبر أفيد أنواع التمور في فصل الصيف ويعطي الطاقة ويلين الريق ويحلي شرب الماء.

2- تصبير الشحوم

لديهم طريقة خاصة في تصبيرها، فهي لا تتحمل الحرارة، وسهلة التعفن، فتوضع معها كمية من الملح والفلفل الأحمر وكذا بعض التوابل، وتوضع في آنية تسمى "الشبرية".⁽²³⁾

3- تصبير اللحوم

من العادات البدوية لتصبير اللحوم، يكون في المناسبات عندما يكثُر وجود اللحم خصوصا في عيد الأضحى حيث تذبح الشاة ويتعذر على الأسرة الصغيرة إنفاذ لحمها في بضعة أيام خاصة في الصيف، فتقوم النساء بتصبيره في الهواء الطلق عن طريق التعليق في حبل أو خيط بعد تمسيحه بكمية من الملح، إلى أن يجف ويصبح صالحا للتخزين ويبقى لمدة طويلة دون أن يتعفن وهذا ما يسمى بلحم "القديد" وهذه الطريقة مستعملة لدى أغلب الأرياف والبدو في جل الأماكن سواء في الجزائر أو خارجها، مثل ما هو موجود في مجتمعات "شتالين، أبو رماد وحلايب" بمصر بحيث يتم الاحتفاظ باللحوم والدهون بعد تجفيفها، وتعلق على المشعليب وهو الحامل الذي يعلق فيه⁽²⁴⁾.

كما أنه توجد عادة لديهم تتعلق بالإسقنقور حيث يكثُر في الربيع وفصل الصيف، فيصطاد منه كمية معتبرة ويجفف كذلك لاستعماله في فصل البرد الذي لا يخرج فيه هذا النوع. يستعمل القديد نظرا لعدم وجود المبردات الصناعية، وهذا يدل على كيفية تكيف البدوي مع بيئته من حيث أكل اللحوم الموجودة فيها، وكذلك طرق التصبير التقليدية المعتمدة من البيئة.

خاتمة

لقد اهتم البدوي السوفي بغذائه اليومي بصورة التجربة العامية دون الرجوع إلى الحقائق العلمية، وذلك تبعاً لما تنتجه له بيئته الصحراوية من عناصرها الحية وغير الحية، فقد استخدم العديد من النباتات المحلية والكثير من الحيوانات التي تعيش في المنطقة في عادات الغذاء، كما كان للتربة دوراً هاماً في طرق إعداد الطعام بحيث اعتبرت فرناً للطهي مع استعمال الحطب المحلي، إلى جانب تخصيص بعض الأغذية لفصل دون آخر تبعاً لدرجة الحرارة والرطوبة.

ومن خلال هذا يتبين أن البيئة الجغرافية لعبت دوراً كبيراً في العادات الاجتماعية الغذائية سواء في العناصر المستعملة في تحضير الوجبة الغذائية أو حتى الممارسات المصاحبة لها التي تظهر جلية في الفراش الرملي ووسائل وطرق تخزين المواد الغذائية. وبالتالي برز استخدام البيئة في الغذاء بدرجة عالية جداً خصوصاً أن البدو الرحل يعيشون وجهاً لوجه مع الطبيعة، فتكيفوا معها بجملة من الممارسات التي سلكوها حتى تستمر حياتهم بصورة مرضية.

❖ هوامش البحث

- (1) محمد حسن صلاح: في جغرافية المغرب العربي، الجزائر: منشورات بغداددي، بدون سنة، ص 63.
- (2) ثريا التجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، وادي سوف أممؤذجا، الجزائر: دار هومة، 1998، ص 6.
- (3) عبد الحميد عمر النجار: عبد الحميد عمر النجار : قضايا البيئة من منظور إسلامي، الدوحة: مركز البحوث و الدراسات، 1999، ص 19.
- (4) ابراهيم بن محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تونس: الدار التونسية للنشر، 1977، ص 50.
- (5) البركوكش هو عبارة أكلة مادتها الأساسية حبات من الطعام المفتول بطريقة خشنة ناضج في مرق عادي، ويطلق عليه العيش خصوصا في مناطق الشمال الشرقي من الجزائر. وهذه الأكلة يعتقد منها إضفاء الدفاء للجسم في البرد القارس.
- (6) فتحي دردار : البيئة في مواجهة التلوث، طبعة منقحة، تيزو وزو، الجزائر: دار الأمل، 2003، ص 23.
- (7) موقع إلكتروني WWW.SSA.net 21/02/2008 13:33
- (8) يحيى محمودي: الأعشاب الطبية من الحديقة النبوية، البليلة، الجزائر: قصر الكتاب، 1990، ص 109. بالتصرف.
- (9) الموقع الإلكتروني : 35 : 14 . 2008 / 01 / 17 .
<http://naseh.net/vb/showthead.php?&t=3199>
- (10) حليس يوسف: الموسوعة النباتية لمنطقة سوف، الوادي، الجزائر: مطبعة الوليد، 2007 ص 88. بالتصرف.
- (11) المرجع السابق، ص 130، بالتصرف.

- (12) و هي عبارة على قرية صغيرة من جلد الماعز و يجبّد أن يكون صغيرا بحيث يستعمل بعد عملية الدبغ بواسطة قشور الأشجار و بعض المواد الأخرى .
- (13) أحمد علي سليمان: سلوك المستهلك بين النظرية و التطبيق , الرياض , المملكة العربية السعودية: مركز البحوث، 2000، ص 190.
- (14) عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، بيروت، لبنان: دار النهضة العربية، 1971، ص 228 ، بالتصرف.
- (15) محمد نزار خوازم و آخرون: تاريخ العلاج والدواء , الرياض , المملكة العربية السعودية: دار المريخ، 1990، ص 30، بالتصرف.
- (16) عاطف وصفي: مرجع سابق، ص 223.
- (17) "النشرة" بضم النون هي عبارة على أحد الحيوانات يطلبها المعالج من المريض و تكون بمواصفات معينة و محددة ، و غالبا ما تكون شاة ، و يتبرك بها المريض بطريقة يرسمها له المعالج مسبقا .
- (18) دنيس لامبولاي: 200 وصفة طبيعية، ترجمة: فادية عدوش، بيروت، لبنان: دار الفراشة للطباعة والنشر، 2001، ص 51.
- (19) محمد السيد غلاب: البيئة و المجتمع، ط 7، القاهرة: مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص 27.
- (20) المرفوسة هي عبارة على رقائق من الخبز المحلي الممزوج بالدهان أو عجين تمر الغرس الممزوج بالدهان أيضا و من العادات الاجتماعية تؤكل المرفوسة في فصل الربيع بدرجة كبيرة مع فصل الصيف ، و هذه العادة لا تزال حتى اليوم موجودة في جميع مناطق سوف البدوية و الريفية و الحضرية ، و ينسب إليها عيد الربيع.
- (21) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن التاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر: 2000/2001، ص 118، بالتصرف.

- (22) أحمد علي سليمان: مرجع سابق، ص 190، بالتصرف.
- (23) وهي عبارة على جرّة مصنوعة من الطّين تستعمل لتصبير الشحوم.
- (24) محمد عبد محجوب وآخرون: المجتمع و الثقافة، الأزابطة، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2005، ص 156.

حوادث السياقة في الجزائر : و وضعها و حدودها

(مقاربة سيكوساجتماعية لإتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية)

الأستاذ : محمد سبع، جامعة الجلفة، الجزائر

الباحث: عبد اللطيف بكوش، جامعة بسكرة

الملخص:

تعرف حركة المرور بالجزائر تعاظما في عدد المركبات، وتغيرا في السلوك القيادي للجيل الجديد من السائقين مما جعل الخطيرة الوطنية تشهد مجموعة من المشكلات المتداخلة يعتبر فيها العامل البشري الأساس المحرك، وأخطرها الحوادث التي تكون وراء تسجيل حالات من الوفيات والتي بلغت في السنوات الأخيرة معدلا غير مسبوق، مما يشكل خطرا على الأرواح و الممتلكات مما يستدعي دراستها من جميع جوانبها ورسم الاستراتيجيات الكفيلة بتكوين سائقين على قدر الحال من الثقافة المرورية، ومن ثم فإن الدراسة تركز على مقرب سيكوساجتماعي يستهدف الوقوف عند أبعاد واتجاهات السائقين المعرفية والانفعالية و السلوكية، ما يعني أنها تحاول الإجابة على تساؤل رئيس هو: ماهي اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية ؟ متخذة جملة من الإجراءات المنتهجة بالأساليب الإحصائية المناسبة التي من شأنها أن تجعل من سبر الميدان ممكنا على نحو بان لمعرفة علمية تحاول هذه الدراسة عرضها من خلال نسق استقرار منطقي في المبحث الأخير.

Abstract:

Over the recent years traffic in Algerian has witnessed a rapid increase and a dramatic rate of road accident. This unprecedented toll is often caused by human factor and leads to tremendous losses in both life and property despite the campaigns of awareness and measures. Therefore, this phenomenon requires a deep investigation and an appropriate strategy for training drivers and improving their performance. This paper rests on social-psychology approach which covers and links together the drivers' knowledge behavior, and attitudes, and thus tries to answer one major question: How do drivers look at or perceive road security? Statistical methods and analyses are used in this present study in order to strengthen the components of scientificity and validity; to attain reliable and effective solutions.

يشكل النقل عنصرا هاما في الحياة المعاصرة، ويعد أحد المطالب الأساسية للمجتمعات بتنوع شرائحها الاجتماعية، والثابت أنه لم يعد في وسع إنسان هذا العصر الاستغناء عن وسائل النقل المختلفة وبالخصوص منها السيارة، ومع توسع المدن وسرعة إيقاع الحياة بات الطلب على السيارات يعرف تزايداً مطّرداً، الأمر الذي كان وراء العديد من المشكلات كالازدحام المروري وما يصاحبه من تلوث بيئي، وحوادث المرور التي يروح ضحيتها نحو مليون ومائتي ألف شخص وإصابة أكثر من أربعين مليون سنويا بإعاقات مستديمة في أنحاء العالم المختلفة⁽¹⁾.

فبقدر ما ترك اختراع السيارة من ارتياح وشعور بمتعة النصر العلمي على مشاققة السفر وطبي المراحل والزمن، بقدر ما تحولت النعمة إلى آفة تأثر بها معظم أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم و أجناسهم ومستوياتهم العلمية والمهنية والاجتماعية بسبب ما تحصده من أرواح كل حين، وقد عبّر كينيدي الرئيس الأمريكي الأسبق في كلمة ألقاها على الكونغرس في عام (1977) إلى أن السيارة هي من أكثر الحاجات الماسة في الحياة اليومية التي تجلب للشعب الأمريكي أكبر قدر من الراحة، وأعظم قدر من المآسي والوفيات التي تحدث على الطرقات⁽²⁾.

بل إن أمريكا قد فقدت بين سنتي (1977-1988) بسبب حوادث المرور ما لم تفقده أمريكا في جميع حروبها بعد الاستقلال⁽³⁾، وفي الجزائر أحصت الجهات المعنية بمسألة المرور خلال السداسي الأول من سنة (2008) هلاك (1698) شخصا، بمعدل قارب (11) شخصا يوميا من مجموع (18775) حادثا مروريا (54%) منها وقعت في مناطق ريفية وما نسبته (70%) من الضحايا تتراوح أعمارهم بين (15-30) عاما⁽⁴⁾.

وبقراءة متأنية لمعدلات الحوادث المرورية نصل حيننا إلى الاعتقاد بأن حوادث المرور في الجزائر قد أضحت تشكل معضلة حقيقية لا تقلق الجهات المسؤولة عن المرور فحسب، بل تشغل فكر الكثيرين بما فيهم عامة الناس، ويات

يستخدم على الظاهرة باسم "إرهاب الطرقات"، ولغة الأرقام تنبؤنا أيضا بأن مؤشر السلامة المرورية في الجزائر يزداد سوءا عاما بعد عام وهو ما جعل الجزائر تتبوأ مراتب متقدمة على سلم الدول الأكثر تسجيلا لحوادث المرور⁽⁵⁾.

إن الحادث المروري ليس نقطة معزولة في السياق الزمني، فهناك ما يسبق هذه النقطة وما يليها، وتتفق معظم الدراسات في مجال السلامة المرورية على تفسير حوادث المرور بمجموعة عوامل ما بعد الحدث (الحادث) وما قبله، هذه الأخيرة تتفاوت بين العامل البشري ممثلا في قائد المركبة، هندسة الطرق والبيئة والوعي المروري والثقافة العامة و التخطيط الحضري والمروري، وما يأتي بعد الحادث من تحقيق مروري وخدمات وطوارئ وخدمات طبية ومجموع هذه العوامل مجتمعة أو متفرقة تؤدي إلى وقوع الحادث وما يترتب عليه من بعد⁽⁶⁾.

إذا ما سلمنا بهذا الطرح تبين لنا أن كل جزئية من هذه العوامل تحتاج لبحث مستقل من شأنه أن يساعد في تجنب الحادث (الحادث المروري) أو تخفيف حدته، ولا يسع أي جهة علمية منفردة أن تدعي إمكانية حصر مفردات وأبعاد السلامة المرورية، فهي موضوع محوري للهندسة بأنواعها المختلفة المدنية والطرق والمواصلات والميكانيكية وغيرها وعلم الإحصاء وعلوم الفيزياء والعلوم الأمنية والقانونية، ولا يمكن حصر هذا التنوع في المباحث المهمة بموضوع السلامة المرورية، وهو ما يدل على أن موضوع السلامة المرورية يدخل ضمن إطار يأخذ بفكرة العوامل المتعددة وينبذ فكرة السببية الأحادية البعد وما فيها من تبسيط مخل.

وهكذا فقد صار البحث في أسباب الحوادث المرورية من أكثر المشكلات جذبا لاهتمام الباحثين لما له من دلالات نظرية وتطبيقية، فالبحث في مختلف الأسباب المؤدية للوقوع في الحوادث هو الطريق الأمثل لمختلف المحاولات التي تجري سواء الوقائية، أو الإرشادية أو حتى العلاجية.

من أجل ذلك يحدد المهتمون بمباحث السلامة المرورية موضوعهم ضمن حلقات ثلاث يأخذ بعضها برقاب بعض وهي المركبة، والطريق والسائق، استنادا

إلى تلك الحلقات الثلاث انتظم عمل الباحثين في مجال السلامة المرورية باختلاف نظمهم وأنساقهم العلمية (الهندسية، القانونية، الإدارية، الأمنية، الطبية) وبدرجة أقل السيكولوجيا الاجتماعية على الرغم من وضوح هذا الجانب في حوادث المرور، إن على مستوى عوامل ما قبل الحادث أو على مستوى عوامل ما بعد الحادث، وهو ما يبرر قصور تلك المباحث عن الوصول إلى نتائج من شأنها أن تسهم في كبح معدلات ضحايا الحوادث المرورية، ولأن المؤشرات الرقمية تعزو حوادث المرور إلى العامل البشري تحديداً، فالمشكلة من وجهة نظر السيكولوجيا الاجتماعية مشكلة اجتماعية بالدرجة الأولى، وهي قائمة على مستوى الثقافة والوعي المروريين في المجتمع، ذلك الوعي وتلك الثقافة ليست إلا الوجه الآخر الخفي لسلوك السائقين، عندئذ يصبح تناول المشكلة المرورية من منظور السيكولوجيا الاجتماعية مبنياً على محاولة تحليل سلوك السائقين واستقصاء ملامحه وأبعاده انطلاقاً من فهم تأثير الظروف الاجتماعية المشكّلة لسلوك قائد المركبة، وكشف الآليات الملموسة لحبك سلوك الفرد في نسيج الواقع المروري الاجتماعي بطبعه، وهو ما يستوجب ليس فقد مكاشفة سيكولوجية إنما مدخلا سوسيلوجيا مرافقا في كل تحليل يتوخى الإحاطة بالموضوع.

وإذ يطّلع الباحثان من خلال هاته الدراسة بمحاولة كشف تلك الآليات، فإن البحث سيرتكز على موضوع الاتجاهات باعتبارها من أهم محصلات التنشئة الاجتماعية، ولذلك فإن كل محاولة علمية لفهم سلوك السائقين لا يسعها تغفل أو تجاوز هذا المفهوم، فهي النواة التي بها يتشكل ويرتسم ملمح سلوك الأفراد في الحياة اليومية اتجاه المواضيع المختلفة، وخصوصية التناول في هذه الدراسة تتحدد من خلال تفكيك إجرائي لمفهوم الاتجاه نحو السلامة المرورية إلى ثلاثة مكونات أساسية أولها معرفي والموسوم بالوعي المروري أو ما يعبر عن مجموع معارف السائقين حول قوانين ومعايير السلامة المرورية، أما المكون الثاني فهو وجداني ويشير إلى درجة إقبال جمهور السائقين على مقتضيات السلامة المرورية، نتاج تفاعل هذين المكونين هو المكون الظاهري للاتجاهات نحو السلامة المرورية،

سلوكي ذو طابع عملي ويعبر عن مجموع السلوكيات الصادرة عن السائقين، والتي يتم محاولة رصدها عمليا في الميدان وهكذا فإن الدراسة تقلع من سؤال محوري هو:

ما اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية ؟

ثانيا: منهجية الدراسة

لعل السؤال الذي تنطلق منه الدراسة يستوجب الوقوف على مجموعة من الأبعاد ذات الصلة، والتي يكون من شأنها الإحاطة بمطلب معرفة اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية، لأن التمكن من توصيف دقيق لخصائص اتجاهات مجتمع الدراسة، مطلب يصعب بلوغه بسؤال فريد سبق الإشارة إليه لا يحصر جل انشغالاتنا النابعة سلفا من تصورنا لتلك الطبيعة المميزة للظواهر النفس - اجتماعية التي يأخذ بعضها برقاب بعض في ارتباطات لا حد لها، فتجعل تناوؤها بالدراسة العلمية الموضوعية وفق المنحى الوصفي أمر غير يسير، فينبثق عن ذلك صعوبة مبكرة هي التحديد العلمي للمفردات والتساؤلات محل البحث والإجابة عنها ، أي عزلها وإفرادها من غير سواها بالدراسة وهو الإجراء الذي اجتهد الباحثان في إنجازه من خلال الفرضيات الآتية:

1. ليست هناك فروق دالة إحصائية بين أفراد العينة تعزى لمتغير (الجنس) في الدرجة الكلية على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية.
2. ليست هناك فروق دالة إحصائية بين أفراد العينة تعزى لمتغير (السن) في الدرجة الكلية على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية.
3. ليست هناك فروق دالة إحصائية بين أفراد العينة تعزى لمتغير (الحالة الاجتماعية) .
4. في الدرجة الكلية على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية.

5. ليست هناك فروق دالة إحصائية بين أفراد العينة تعزى لمتغير (مستوى التعليم) في الدرجة الكلية على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية.

6. ليست هناك فروق دالة إحصائية بين أفراد العينة تعزى لمتغير (أقدمية السياقة) في الدرجة الكلية على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية.

و تهدف الدراسة حينئذ إلى :

1. إبراز نوع الاتجاهات التي يحملها سائقو المركبات من أفراد العينة نحو السلامة المرورية من خلال تحليل إجرائي لمفهوم الاتجاهات يشتمل على مكونات ثلاثة هي (معارف ووجدان وسلوك السائقين) قصد الخروج بنتائج تسهم في تشخيص أمبريقي للواقع الاجتماعي المروري والممارسات السلوكية للسائقين على طرقاتنا، فضلا عن رسم سياسات علاجية تروم كبح معدلات ضحايا حوادث المرور من وفيات وإصابات، وهو هدف الدراسة الميدانية واستصحابا له فإن أهدافا يمكن استهدافها لبلوغه موجزة في النقاط التالية.

2. إبراز خاصية الشمولية لمشكلة السلامة المرورية فهي مشكلة ذات طابع مجمل في أسبابها و أبعادها والآثار المترتبة عنها وتنبذ فكرة السببية الأحادية، وهي الفكرة الأساس لكل برنامج علاجي ينشد السلامة المرورية.

3. تكشف عملية الاستقصاء المكتبي أن الباحثين المعنيين بمشكلة السلامة المرورية قد بذلوا جهودا بحثية مكثفة في هذا الصدد لمعرفة أسباب هذه الظاهرة، والآثار المترتبة

4. عنها ومحاولة علاجها والتقليل من مخاطرها وآثارها السلبية، وشملت هذه الجهود البحثية عناصر الحادث الثلاثة ومكوناتها وهي عوامل المركبة

الطريق و العامل البشري، ورغم أن الدراسة الحالية تعنى أساسا بالعنصر الثالث من خلال التركيز على اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية فإن البحث في هذه الجزئية تخفي وراءها أهداف محورية اعتمدها الدراسة: أولها التأكيد على أهمية العامل البشري في حوادث المرور، والثاني دراسة النواحي السلوكية للسائقين في بلادنا ضمن خصائص البيئة الاجتماعية المرورية المحلية، وهو ما يضيف على نتائج الدراسة أهمية ودلالة أكبر من أجل بناء استراتيجيات السلامة المرورية الوقائية منها والعلاجية في دراسات لاحقة.

و تتخذ الدراسة تعريفا للاتجاهات النفسية ينطلق من أنه " لغة من فعل وَجَهَ، ومنه الِوَجْهُ والجمع الوُجُوه، وَوَجْهٌ كُلُّ شَيْءٍ: مُسْتَقْبَلُهُ، والجمع أَوْجُهُ وَوُجُوهٌ، ويقال: هذا وَجْهُ الرَّأْيِ أَي هو الرَّأْيُ نَفْسُهُ، وَالْجَهَ لَهُ رَأْيٌ أَي سَنَحَ بمعنى عرض وأقبل، وهو أَفْتَعَلَ، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وأبدلت منها التاء وأدغمت والمعنى إجمالاً الإقبال بالوجه على أمر ما أقصده.⁽⁷⁾

أما من الناحية الاصطلاحية وفي ميدان علم النفس الاجتماعي فلم يتفق الباحثون في هذا الميدان على تعريف محدد، بل ثمة من أشار إلى وجود أكثر من خمس مائة تعريف لهذا المفهوم⁽⁸⁾، وقد أمكن للباحثين تبعا لمراجعاتهما في بعض من تلك التعريفات الوصول إلى صياغة تعريف لمفهوم الاتجاه النفسي على النحو التالي: "استجابة نفسية عامة عند الفرد نحو مثيرات محددة مرتبطة بموضوع معين في البيئة التي يعيش فيها الفرد، تنظمها وتوجهها خبرات الفرد السابقة بما يكفل تقديمها وتعميمها على سلوكياته في المواقف والظروف المشابهة، وتعكس تفاعل مكونات ثلاث (معرفي - أفكار الفرد ومعارفه ومعتقداته حول موضوع الاتجاه - ، وجداني - جملة المشاعر والخصائص الوجدانية المتعلقة بموضوع الاتجاه - وسلوكي يعكس استعداد الفرد لاستجابة محددة نحو موضوع الاتجاه) لتكوين ثابت نسبي يوجه سلوك الفرد بعيدا أو قريبا نحو عناصر بيئته"، في حين عرف الباحث مفهوم الاتجاه من الناحية الإجرائية على أنه: "تقدير ذاتي يقوم به السائق، يعكس استجابة

ثابتة نسبيا نحو مثيرات تتعلق بالسلامة المرورية على الطريق، من خلال الإجابة على البنود المتضمنة في المقياس تبعا لبدائل الاستجابة المتدرجة من أقصى درجات المعارضة إلى أقصى درجات القبول لمضمون العبارة، وهي (معارض تماما، معارض، غير متأكد، موافق، موافق تماما)، يمكن ترجمتها إلى درجات تحدد نوع الاتجاه الذي يحمله السائق نحو أبعاد السلامة المرورية التي حصرها الباحث في ثلاثة أبعاد رئيسية هي: الاتجاه نحو السلوك المروري السليم وتقيسه البنود رقم

(1.2.3.4.6.9.11.16.18.20.21.26.27.29.32.35.37.38.40)،

الاتجاه نحو الاهتمام بعوامل السلامة في المركبة وتقيسه البنود رقم (5.7.12.14.17.19.25.28.39) والاتجاه نحو التقيد بأنظمة وقواعد

المرور وتقيسه البنود رقم (8.10.13.15.22.23.24.30.31.33.34.36)"
أما السائق فهو من الفعل سَوَّقَ وَسَاقَ، سَاقَ الإِبِلَ وَغَيْرَهَا يَسُوقُهَا سَوْقًا وَسِيْقًا، وَهُوَ سَائِقٌ وَسَوَّاقٌ، شَدَّدَ لِلْمِبَالِغَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}؛ قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَالسَّاقَةُ جَمْعُ سَائِقٍ وَهُمْ الَّذِينَ يَسُوقُونَ جَيْشَ الْعِزَّةِ وَيَكُونُونَ مِنْ وِرَائِهِ يَحْفَظُونَهُ وَيَقُودُونَهُ⁽⁹⁾، وَالسَّائِقُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ هُوَ كُلُّ شَخْصٍ يَتَوَلَّى قِيَادَةَ مَرْكَبَةٍ بِمَا فِيهَا الدَّرَاجَاتُ، وَالدَّرَاجَاتُ النَّارِيَّةُ أَوْ يَسُوقُ حَيَوَانَاتَ الْجَرِّ وَالْحَمَلِ وَالرَّكُوبِ وَالْقَطْعَانَ عِبْرَ الطَّرِيقِ أَوْ يَتَحَكَّمُ فَعَلًا فِي ذَلِكَ⁽¹⁰⁾.

وقد عرّف الباحثان من الناحية الإجرائية السائق على أنه: الشخص الحاصل على رخصة قيادة الصنف (ب) مستوفية الشروط القانونية، سواء كانت إختبارية مؤقتة أو دائمة، والتي تسمح لصاحبها بقيادة مركبة من ثمانية مقاعد والسائق تسعة، الوزن الإجمالي للعربة لا يتعدى 3500 كغ والعربة المقطورة لا يتعدى وزنها 750 كغ.

و فيما يتعلق بالسلامة المرورية، ارتبط هذا المفهوم مع البحوث التي أجراها الباحث الأمريكي وليام هادن، الذي أسندت له مهمة تكوين برنامج وطني

لخفض عدد الحوادث على الطرقات الأمريكية، فقدّم ما سمي فيما بعد مصفوفة هادن، التي اشتملت على العناصر الرئيسية المرتبطة بوقوع حوادث المرور، وقد تبنت وزارة النقل والمواصلات الأمريكية هذه المصفوفة كأساس لبرنامج الأنظمة ومواصفات السلامة التي تضعها منذ سنة (1968)، والتي تركز أساسا على العناصر التي أوردها هادن في مصفوفته وهي (الطريق، المركبة والسائق)⁽¹¹⁾.

وبناء على هذا فإن السلامة المرورية بمفهومها الواسع تعني "تبني السائق كافة اللوائح والنظم المرورية والإجراءات الوقائية - كالعقل، وسلامة الحواس، ومعرفة أنظمة وتعليمات المرور، والتركيز أثناء القيادة، والإحساس بالمسئولية، والإلمام بميكانيكا المركبة، وصيانتها بشكل مستمر- بما يمنع الوقوع في حوادث مرورية على الطريق، لضمان سلامة السائق نفسه والركاب وكذا المركبة، وهو ما يعكس على نحو غير مباشر حرصا في الحفاظ على أمن مقومات البلد البشرية - أي تقليل عدد المصابين والوفيات - والاقتصادية - الخسائر في الممتلكات العامة والخاصة المترتبة عن الحوادث -".

هذا وتتحدد الدراسة الحالية بحدود عينتها زمانا ومكانا، وقد شملت (110) سائقا من المقيمين في مدينة بسكرة ممن يحملون رخصة القيادة من الصنف (ب) والمتعلقة بالمركبات ذات الوزن الخفيف، تم انتقاؤهم بطريقة عرضية عبر عدد من حظائر السيارات ومحطات الوقود وبعض المصالح الإدارية المنتشرة عبر المدينة، وقد التزم الباحثان قبل تقديم المقياس إلى السائق بشرط أساسي، هو رغبة الأخير في التعاون على إجراء البحث، ومن شأن ذلك أن يضيفي مسحة الجدية على الإجابة، وقد تطلب استكمال ذلك العدد من السائقين النزول إلى الميدان في شهر نوفمبر من عام (2009)، ويلخص الجدول التالي جل خصائص عينة الدراسة.

جدول رقم (01) يوضح خصائص عينة الدراسة

الخصائص		الجنس		السن		المستوى التعليمي		المهنة أو المركز الوظيفي	
الفئات	ذكور	8	2	49-40	1	ابتدائي	3	بدون عمل	11.82
	إناث	1	9	39-30	4	50 وأكثر	0	سائق اجرة	22.73
التكرار	8	2	4	2	2	4	1	هاين	16.10
	1	9	0	4	8	8	9	موظف	30.91
النسبة	73.46	20.50	36.36	21.82	20.40	16.36	17.27	اعمال حرة	16.36
								جامعي	55.45
								ناوي	27.27
								متوسط	17.27
								ابتدائي	3.64
								50 وأكثر	16.36
								49-40	21.82
								39-30	20.40
								29-20	36.36
								إناث	20.50
								ذكور	73.46

الحالة الاجتماعية		سنة نيل الرخصة		أقدميه السباقية		التعرض لحادث		ارتكاب مخالفة	
اعرب	4	2009-00	2	لا	2	لا	63	57.27	
	6	99-90	8	نعم	0	نعم	47	42.73	
متزوج	56	89-80	2	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	5	79-70	0	24-15 سنة	3	نعم	54	49.09	
مطلق	5	2009-00	4	14-5 سنة	2	نعم	54	49.09	
	6	99-90	6	أقل من 5 س	0	لا	56	50.91	
أرمل	3	2009-00	4	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	6	99-90	8	24-15 سنة	0	نعم	54	49.09	
مطلق	5	89-80	2	14-5 سنة	2	نعم	54	49.09	
	6	79-70	0	أقل من 5 س	0	لا	56	50.91	
اعرب	4	2009-00	4	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	6	99-90	8	24-15 سنة	0	نعم	54	49.09	
متزوج	56	89-80	2	14-5 سنة	2	نعم	54	49.09	
	5	79-70	0	أقل من 5 س	0	لا	56	50.91	
مطلق	5	2009-00	4	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	6	99-90	8	24-15 سنة	0	نعم	54	49.09	
أرمل	3	89-80	2	14-5 سنة	2	نعم	54	49.09	
	6	79-70	0	أقل من 5 س	0	لا	56	50.91	
مطلق	5	2009-00	4	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	6	99-90	8	24-15 سنة	0	نعم	54	49.09	
اعرب	4	89-80	2	14-5 سنة	2	نعم	54	49.09	
	6	79-70	0	أقل من 5 س	0	لا	56	50.91	
متزوج	56	2009-00	4	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	5	99-90	8	24-15 سنة	0	نعم	54	49.09	
مطلق	5	89-80	2	14-5 سنة	2	نعم	54	49.09	
	6	79-70	0	أقل من 5 س	0	لا	56	50.91	
أرمل	3	2009-00	4	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	6	99-90	8	24-15 سنة	0	نعم	54	49.09	
مطلق	5	89-80	2	14-5 سنة	2	نعم	54	49.09	
	6	79-70	0	أقل من 5 س	0	لا	56	50.91	
اعرب	4	2009-00	4	34-25 سنة	2	لا	56	50.91	
	6	99-90	8	24-15 سنة	0	نعم	54	49.09	

أما عن أدوات الدراسة (مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية) فقد حظي موضوع الاتجاهات باهتمام كبير من الباحثين في مجال علم النفس الاجتماعي ساهم إلى حد بعيد في احتلال الموضوع لمكانة هامة في مجال الأدب السيكوجتماعي، ولعل ما يبرر هذا الاهتمام هو الدور الذي تلعبه الاتجاهات النفسية كمحدد للسلوك الذي يتخذه الفرد في مواقف الحياة المختلفة، كما يعمل على تنظيم العمليات المعرفية والإدراكية والانفعالية والدافعية تتبلور في موقف ما على شكل سلوك⁽¹²⁾.

ومع تزايد أهمية الاتجاهات النفسية في توجيه السلوك الإنساني، دعت الحاجة إلى تطوير أدوات فعالة في قياسها وذلك على درجة عالية من الثبات والصدق، ويعزى الاهتمام بهذين المتطلبين إلى طبيعة الاتجاهات نفسها كونها سمات افتراضية في الفرد تنعكس في بعض جوانب سلوكه، فالاتجاهات تكوين فرضي يتوسط بين المثيرات الخارجية المتعلقة بموضوع الاتجاه واستجابة الفرد لها في شاكلة سلوكيات تختلف باختلافها الاتجاهات التي يحملها الأفراد نحو موضوع الاتجاه، وهي إلى حد ما ذاتية غير موضوعية ولا سبيل لملاحظتها بشكل مباشر، وعلى أساس التأثير المتبادل بين الاتجاه و السلوك تعد الاتجاهات مفهوما يلفه الكثير من الغموض يصعب تمثله ومن ثم قياسه،⁽¹³⁾.

من أجل ذلك التزم الباحثان أثناء صياغة فقرات المقياس أن تعكس ثلاث جوانب رئيسية هي:

1. الطبيعة الشخصية للاتجاهات: من خلال صياغة فقرات تتمركز حول الذات (Ego centric items) وذلك من خلال صياغة فقرات تصف سلوكا يرغب فيه السائق أو يتجنبه أو يقوم به فعلا
2. الأثر الاجتماعي: (social centered items) من خلال صياغة فقرات تصف شعور السائق اتجاه ممارسة يقوم بها الآخرون.

3. الاتساق (consistency) : من خلال صياغة فقرات تتمركز حول الفعل (actionentered Items) تصف شعور السائق لما يجب أن تكون عليه الممارسة⁽¹⁴⁾.

بالإضافة إلى هذا لم يغفل الباحثان التأكد من الخصائص السيكومترية (الصدق والثبات) للمقياس حيث أشارت نتائج التحليل الإحصائي إلى أن معامل ثبات المقياس قد بلغ (0.78) بينما بلغ معامل الصدق التمييزي للمقياس نحو (0.83) ، ويتم تقدير استجابات الأفراد على مقياس مكون من (40) فقرة تبعاً لبدائل الاستجابة المحددة تدريجياً وفق طريقة ليكرت حيث تقدر استجابة (معارض تماماً) بدرجة واحدة و(معارض) درجتان و(غير متأكد) ثلاث درجات و(موافق) أربع درجات واستجابة (موافق تماماً) خمس درجات، كل ذلك بالنسبة للفقرات الموجبة والمحددة أرقامها في المقياس بالأرقام التالية:

(1.5.16.17.18.19.22.26.28.29.30.33.37.38.40) بينما تقدر استجابات السائقين على الفقرات السالبة كالتالي: حيث تعطى استجابة (معارض تماماً) خمس درجات و(معارض) أربع درجات واستجابة (غير متأكد) ثلاث درجات واستجابة (موافق) درجتان واستجابة (موافق تماماً) درجة واحدة وذلك تبعاً لفقرات المقياس التي تحمل الأرقام التالية:

1.11.12.13.14.15.20.21.23.24.25.27.31.32.34.35.36.39
2.3.4.6.7.8.9.0)

أما درجة السائق على كل بعد على أبعاد المقياس فتحسب بحاصل جمع التقديرات المقابلة لأرقام الفقرات المشكلة للبعد على النحو الذي يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (02) يوضح أرقام الفقرات المشكلة لكل بعد من أبعاد المقياس

المجموع	أرقام الفقرات الخاصة بالبعد	اسم البعد	رقم البعد
19	40.38.37.35.32.29.27.26.21. 20.18.16.11.9.6.4.3.2.1	الاتجاه نحو السلوك المروري السليم	01
9	39.28.25.19.17.14.12.7.5	الاتجاه نحو الاهتمام بسلامة المركبة	02
12	36.34.33.31.30.24.23.22.15. 1.8	الاتجاه نحو قواعد ونظم المرور	03

ثالثا: نتائج الدراسة

سعى الباحثان من خلال الأساليب المعالجة الإحصائية المستخدمة في الدراسة لتقديم مكالفة لاتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية وفق منحى وصفى، فقد مهدت جملة من المعالجات الإحصائية للبيانات الطريق لبلوغ ذلك المسعى باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social Science) وأبرز تلك المعالجات ما يلي معامل ارتباط بيرسون، مقاييس النزعة المركزية والتشتت اختبار (T Student test)، تحليل التباين الأحادي (one way Anova): طول خلايا مقياس ليكرت الخماسي،

ويُلخّص الجدول التالي أهم ملامح درجات أفراد العينة على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية.

جدول رقم (03) بعض المقاييس الإحصائية لدرجات أفراد العينة على المقياس

المقاييس الإحصائية	الدرجة الكلية على المقياس	درجة البعد الأول	درجة البعد الثاني	درجة البعد الثالث
المتوسط	105.9	49.70	24.08	32.11
الوسيط	112	54.50	25.50	33.00
المنوال	137	64	33	44
المدى	115	59	31	36
الانحراف المعياري	36.16	17.207	8.701	11.42
أعلى درجة	164	80	41	50
أدنى درجة	49	21	10	14
الالتواء	-0.148	-0.108	-0.034	-0.068

20.00	15.00	32.00	68	الربيع الأول
42.25	32.00	65.00	138	الربيع الثالث
46.00	34.00	69.90	144	المئين رقم 90
3532	2649	5467	11648	مجموع الدرجات

في حين يوضح الجدول اللاحق تكرارات نوع الاتجاهات التي يحملها السائقين نحو السلامة المرورية.

جدول رقم (04) بعض المقاييس الإحصائية لدرجات أفراد العينة على المقياس

التكرارات	الاتجاه نحو السلامة المرورية	متوسط التقديرات
51	غير مرغوب (سلي)	2.60 — 1.00
15	محايد	3.40 — 2.60
44	مرغوب (إيجابي)	5 — 3.40

عند محاولة استنتاج الأرقام والبحث في الدلالات التي تحملها القيم الواردة في الجدول رقم (03) الخاص بالمقاييس الإحصائية لدرجات أفراد العينة على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية، تستوقفنا قيمة المتوسطات الحسابية بالنظر إلى قيم المتوسطات الفرضية للمقياس والأبعاد منفصلة هي على التوالي: (36.27.57.136)، فإن المتوسطات الحسابية المشار إليها في الجدول مجتمعة أقل من قيم المتوسطات الفرضية، وهي قراءة تحمل الكثير من الدلالات لعل أبرزها ميل درجات الأفراد لأن تعبر عن اتجاهات سلبية غير مرغوبة يحملها أغلب أفراد العينة نحو السلامة المرورية على وجه العموم، وبالحدوث عن تشتت الدرجات تشد انتباهنا القيم المرتفعة للانحرافات المعيارية وهو ارتفاع تبرره الفروق بين أعلى قيمة وأدنى قيمة أي المدى، حيث تشير النتائج إلى تشتت شديد في درجات الأفراد يحمل مدلولات تعبر عن اختلاف في الاتجاهات التي يحملها السائقون نحو السلامة المرورية، على الرغم من أن قيم الالتواء للدرجة الكلية والأبعاد منفصلة كانت منخفضة لدرجة تكاد تتطابق فيها مع قيمة الوسيط (112) والمتوسط (105.89) تبعاً، لذا فليس بالإمكان الحديث عن توزيع اعتدالي لدرجات الأفراد على طول المنحنى الاعتدالي للظاهرة، وقد لا تعبر قيم المنوال الذي يشير إلى الدرجة الأكثر تكراراً فعلياً عن نوع الاتجاهات التي يحملها السائقون نحو السلامة المرورية ما دامت نتائج الجدول رقم (04) تشير إلى (51) سائقاً من أفراد العينة يحملون اتجاهات سلبية غير مرغوبة وهو ما تعادل قيمته نحو (47%) من مجموع الأفراد، بينما يحمل نحو (40%) من السائقين اتجاهات إيجابية مرغوبة في حين يحمل (13%) الآخرون اتجاهات محايدة.

بعد استيفاء جملة المعالجات الإحصائية الممكنة لدرجات السائقين على مقياس اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية، يلخص الجدول التالي أهم نتائج الدراسة على ضوء الفرضيات:

جدول رقم (05) يوضح رقم الفرضية والأسلوب الإحصائي لمعالجتها

رقم الفرضية	محور الفرضية	الأسلوب المعالجة الإحصائية	تحققت / لم تتحقق
01	نوع اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية	اختبار "ت"	✓
02	دلالة الفروق بين درجات الأفراد تبعاً لمتغير الجنس	اختبار "ت"	x
03	دلالة الفروق بين درجات الأفراد تبعاً لمتغير السن	تحليل التباين الأحادي	x
04	دلالة الفروق بين درجات الأفراد تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية	تحليل التباين الأحادي	x
05	دلالة الفروق بين درجات الأفراد تبعاً لمتغير المستوى التعليمي	تحليل التباين الأحادي	x
06	دلالة الفروق بين درجات الأفراد تبعاً لمتغير الأقدمية في السياقة	تحليل التباين الأحادي	x

رابعا : التحليل العام لنتائج الدراسة:

تكشف النتائج المتوصل إليها بوجه عام عن اتجاهات سلبية غير مرغوبة نحو السلامة المرورية، ويمكن الذهاب بعيدا إلى ما وراء مدلولات تلك التقديرات لنكشف أن اتجاهات السائقين المعبر عنها في نتائج الدراسة ليست وليدة لحظة

الإجابة على فقرات المقياس، بل هي نتاج تراكمات عديدة ترسّبت خلال المراحل العمرية للسائقين، ويتعين علينا إذا ما أردنا بلوغ فهم معمق تتبع سيرورة تشكل تلك الاتجاهات، ودرجة انعكاس مضامينها على سلوكيات السائقين في الطريق، ويمكن الوقوف على كل ذلك من خلال منافذ متباينة حددها الباحثان تبعا للجزئيات المتناولة عبر كل منفذ، وفيما يلي عرض للتحليل العام لنتائج الدراسة عبر تلك المنافذ:

1. الاتجاهات النفسية للسائقين نحو السلامة المرورية والقيادة الوقائية (أية علاقة):

إذا ما سلمنا بمبدأ أن الأخطار الحياتية المهددة لسلامة الأفراد عموما نوعان (قدرية وأخرى قابلة للسيطرة) فإنه يمكن إدراج حوادث المرور باعتبارها سببا رئيسا يهدد سلامة الأفراد، يرجع غالبا (لخطأ التعامل مع الوضعيات الحرجة على الطريق أو الجهل بقواعد المرور، أو التهور والاندفاع، أو الرغبة اللاواعية باختبار مواجهة الخطر)، ضمن الفئة الثانية من منطلق أن القيادة التي تحقق كافة الإجراءات الوقائية اللازمة تُلقح السائق ضد التعرض لخطر حوادث المرور، وحيث أن نتائج الدراسة قد أشارت إلى وجود اتجاهات سلبية (غير مرغوبة) نحو السلامة المرورية، فإنه يمكن القول استنادا لفقرات المقياس واستنتاجات الباحث المنبثقة من الواقع المروري أن أغلب السائقين من أفراد العينة يهملون مبدأ الوقاية في القيادة، ويمكن الوقوف على صحة هذا التشخيص بجملة من الدلائل أبرزها:

1.1. نقص الوعي بمفهوم القيادة الوقائية:

إن نقصا في تمثل مفهوم القيادة الوقائية يؤدي حتما إلى الإخلال بأسس معادلة منع الحادث التي تحققها القيادة الوقائية، والتي تتطلب من قائد المركبة الإمام بثلاث خطوات هي (1. توقع الخطر 2. رد الفعل السليم 3. التصرف في الوقت المناسب⁽¹⁵⁾).

وهي المبادئ المهمة لدى أغلب السائقين، فمبدأ توقع الخطر مثلا والذي يشكل الركن الأول من أركان معادلة منع الحادث يبدأ بمجرد جلوس السائق خلف المقود، بحيث يهيا السائق النموذجي الذي يحمل اتجاهات إيجابية نحو

السلامة المرورية نفسه لأخطار محتملة قبل وقوعها، وهي تهيئة عقلية ووجد لاحتتمالات تستثيرها الظروف المحيطة بالسائق وتزيد في درجتها ظروف استثنائية مثل (تساقط الأمطار، الضباب الكثيف، المرور بالقرب من المدارس تزامنا مع خروج التلاميذ أو المرور بأحد الشوارع إنارته ضعيفة).

2.1. تشوه في مدركات السائقين للعلاقة بين القيادة الوقائية والسلامة المرورية:

تحدد السلامة المرورية للسائقين تبعا لدرجة تقيدهم بسلوكيات القيادة الوقائية، والتي تعتمد مبدئي توقع التعرض الشخصي للخطر والتصرف السليم، فإدراك الخطر والقابلية الذاتية للوقوع في حوادث المرور تحدد نقطة الانطلاق نحو سلوك القيادة الوقائية، غير أن بحوث علم نفس الصحة تشير إلى أن القابلية للإصابة بمخطر شخصي يهدد حياة الفرد غالبا ما يخضع لإدراك مشوه، فيلجأ الفرد ببساطة إلى التقليل من أهمية التعرض للخطر كحجة صالح ذاتيا لمقاومة متطلبات وضغوط المحيط الذي يريد إقناع الشخص بإتباع نمط سلوكي معين مخالف لما يتبناه الفرد (16).

لتوضيح ذلك وقياسا على سلوك التدخين الذي يعتمد الباحثون في مجال علم نفس الصحة لفهم السلوك الوقائي الصحي نضرب المثال التالي: لو سألنا مجازا السائقين الذي يحملون اتجاهات سلبية غير مرغوبة نحو السلامة المرورية بالقول (إذا علمت أن 3% من السائقين يموتون يوميا بسبب حوادث المرور، فما احتمال أن تكون أنت نفسك واحدا من هذه النسبة؟) حينها سيوجب السائق غالبا بالنفي، على الرغم من أن لا شيء يمنعه من الدخول في هذه النسبة مادام لا يأخذ بأسباب القيادة الوقائية التي تحقق سلامته على الطريق، ويرر الباحثون هذه الإجابة بتشويه معرفي لحق بإدراك السائق للصلة بين القيادة الوقائية ومقتضيات السلامة المرورية، ويسمي "تايلور" هذا التشويه المعرفي بالتفاوضية الدفاعية (17).

إذا ما أسقطنا هذا المفهوم على السلوك المروري للسائقين، فإننا نجد أن السائق الذي يحمل اتجاهات سلبية نحو السلامة المرورية يعتقد أن خطر حوادث المرور يصيب الآخرين ولا يصيبه هو شخصيا، وهو ما يجعله يهمل مقتضيات القيادة

الوقائية التي تحقق سلامته المرورية، ما دام يشعر أنه محصن ضد حوادث المرور، فنجدته (غير مهتم بسلامة المركبة، لا يحترم قواعد ونظم المرور، المخاطرة اللاواعية على الطريق تعكسها سلوكيات مثل السرعة المفرطة، التجاوز في المنعرجات والطرق الضيقة وعلى الخط المتصل)، وكل ذلك نابع من تشوه معرفي لحق بمدركاته حول القيادة الوقائية وصلتها بالسلامة المرورية، تلكم هي المؤشرات الرئيسية الثلاث التي تقف خلف التشويه المعرفي لمدركات السائقين من أفراد العينة حول العلاقة بين القيادة الوقائية والسلامة المرورية، وهي مؤشرات متحتمة المعرفة إذا ما أردنا رسم سياسة وقائية (حملة توعية مرورية) لتعديل اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية، ولعل ما يبرر فشل معظم حملات التوعية المرورية التي تبنتها الجهات المعنية بالمسألة المرورية هو قصورها عن فهم تلك المؤشرات، فعند تحليلنا لمضامين تلك الحملات نجد أنها تعتمد على محورين أساسيين هما: تقديم المعارف والمعلومات (Information Appeal) وإثارة الخوف (Fear Appeal).

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك فشل هذه الإستراتيجية ولعوامل عديدة، فبالإضافة إلى إهمال مبادئ القيادة الوقائية في التثقيف المروري، فهي تعكس حالة من العشوائية واللاتعيين والهدر الناجم عن مخاطبة فئات غير معنية وغير متعرضة للحوادث، فتصميم الحملات ينبغي أن ينبثق عن قراءات متأنية للواقع المروري والذي يكشف لنا أن فئة الشباب هي الشريحة الأكثر عرضة لحوادث المرور، حتى إذا ما تم تدارك هذا الخطأ نجد أنها لا تختار المادة الإعلامية المناسبة للشريحة المستهدفة في الحملة، كما أنها تستخدم لغة غير سليمة تحمل إيحاءات بالانتشار الواسع للمشكلة، وهو خطأ ينبغي مراجعته لأنه يشكل نوعاً من العزاء يجعل الجمهور المستهدف بالحملة لا يستجيب بالجدية اللازمة لمضمون الرسالة الإعلامية⁽¹⁸⁾.

ورغم القناعة الراسخة بأهمية محوري التعريف والتخويف، إلا أنه ينبغي استصحابهما بثالث يمكن اختصاره بدينامية تحويل كل من المعرفة والخوف من

مستوى النية إلى مستوى القرار، أو ما يعرف بلغة السيكلوجيا الاجتماعية بطور الدافع وطور الإرادة، ففي طور الدافع يحصل الاختيار نتيجة صراع داخلي بين السلوك المروري السليم والرغبة وإغراءات السلوك المعاكس، بينما يتضمن طور الإرادة تحويل النوايا إلى أفعال⁽¹⁹⁾.

إدراك هذه الدينامية من خلال ثلوث السيرورة المعرفية للقيادة الوقائية (1. إدراك الخطر 2. توقع الكفاءة الذاتية 3. توقع النتائج)

2. القيم الاجتماعية المتعلقة بمسألة المرور وعلاقتها بتشكيل اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية:

يكشف تشخيص المشكلة المرورية وجود هوة ثقافية بين تمثل دور وقيمة (السيارة) وحسن استخدامها والإفادة منها، واستصحابا لهذا التشخيص ينبغي الوقوف عند انعكاس القيم الاجتماعية المتعلقة بالمسألة المرورية على اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية، حيث يشير⁽²⁰⁾ إلى جملة من المؤثرات القيمة يمكن تكييف محتواها مع واقعنا المروري قصد الخروج بتشخيص ملائم يساعد على فهم تشكل الاتجاهات السلبية نحو السلامة المرورية، ويمكن إيجاز أبرز تلك المؤثرات القيمة على النحو التالي:

إدراك مفهوم الوقت: وهي قضية عميقة الجذور، فحياة المدن ترتبط بعامل الوقت إلى حد بعيد، وهو الأمر الذي يبدو أن قيم السائقين الاجتماعية لم تستوعبه بعد، ولم يتكيف الأفراد مع إحداثيات هذه الثقلة الحضارية، وإن خضعوا لها فهم لم يستوعبها بعد، حيث يستغرق الفرد (السائق) معظم وقته في مجاملات وأعمال تجعله ينطلق بمركبته في وقت ضيق ليسابق الزمن فيضطر إلى تجاوز السرعة المحددة والإشارات الضوئية، غير أنه لسلامة المركبة وتفقدتها نظراً لضيق الوقت، مما يجعله يعرض نفسه والآخرين لمخاطر كان من الممكن تفاديها لو كانت قضية إدارة الوقت تمثل مفهوماً ناضجاً لدى السائق وجميع أفراد المجتمع بالتبعية⁽²¹⁾.

المركبة مرآة لمكانة الفرد في المجتمع: تطرح قضايا التفاوت الطبقي الكثير من الضغوط على الأفراد في المجتمعات النامية، وقد أصبحت السيارة في مثل هذه الظروف جزءاً من المظهر الاجتماعي، والتنافس بين الأفراد على امتلاك السيارة الأحدث والأعلى سعراً، ساهم على نحو غير مباشر في ترسيخ قيم الاستهلاك، Consuming Values فامتألت الشوارع بالسيارات، وأصبحت حركة المرور بطيئة ومثيرة للحصر النفسي Angoisse، بل إن السيارات الحديثة في مدينة لندن تسير حالياً بسبب الازدحام المروري بسرعة لا تتعدى (12كم/ سا)، وهي السرعة التي يمكن أن تبلغها سيارة مصنوعة في القرن (19) (22).

العلاقة مع الآلة: إن من أهم عوامل تراجع معدلات السلامة المرورية للسائقين هو قصور المعرفة حول طبيعة السيارة، حيث تتعرض غالباً للإهمال والتغيير الهيكلي أو عدم صيانتها واستخدامها لغير ما خصصت له، مما يجعل وجودها على الطرقات مصدر خطر على الآخرين، فالتعامل مع الآلة بدون حرص أو إدراك لخطورتها، والذاتية المرتفعة (Me First) لدى الأفراد جعلت السيارة مصدر تهديد لسلامة وأمن الآخرين، سواء كانوا من المشاة أو من ركاب الوسائل الأخرى، والنتيجة أن السائقين في المجتمعات النامية عموماً يحولون سيارات النقل إلى سيارات ركوب نفعية، فيضيف ويحذف من المركبة ما يريد، مما يخل بسلامتها وأدائها على الطريق، وبالتالي يزيد معدل الحوادث المرورية وما ينجم عنها من آثار تتعدى المفرط نفسه إلى سواه من أفراد المجتمع (23).

قيم الذكورة Mail Values: من بين ما يؤخذ على شعوب الشمال الإفريقي الاندفاع وسرعة الغضب، وهو وصم تؤكد الكثرة من سلوكيات السائقين على الطريق، فنجد أن أغلبهم يفعل ويغضب لأن أحد السائقين تجاوزه، وتزداد درجة ذلك الغضب حدة إذا كان المتجاوز امرأة، وهو سلوك لا يمكن تبريره إلا بقيم الذكورة المفرط فيها، وهو المبرر ذاته الذي يمكن أن نعلل به منح الابن الذي لا يحمل رخصة القيادة، السيارة لمجاراة أبناء جيله أو لخدمة أسرته وهو غير مؤهل أساساً لهذه المهارة وما تتطلبه من روية واتزان في السلوك (24)، ونتائج هذه القيم

الخاطئة عانت - ولا تزال- تعاني منها الجزائر على وجه التحديد، وترتفع فيها معدلات الحوادث الناجمة عن قيادة الصغار للسيارات وانعكاساتها على مجمل حوادث المرور، وقد أشارت الإحصائيات التي ينشرها مركز الوقاية والأمن عبر الطرقات سنة (2007) قد سجلت بها (477) حادثا تسبب فيه سائقون لا يحملون رخصة قيادة (25).

المشاة Pedestrians : من عابري الطريق يرون أحيانا أن انتظار إشارة عبور المشاة غير لازم لأن قائدي السيارات أيضاً لا يلتزمون بذلك، خاصة وأن الدوران إلى اليمين مستمر، مما يجعل اغتنام فرصة توقف سيل السيارات أو قلة السيارات هو مؤشر كاف للعبور، وليس نظام العبور ذاته من خلال الإشارات الضوئية، وهذا ما تؤكد إحصاءات كثيرة من إدارات المرور فيما يتعلق بحوادث المشاة مع المركبات، وغالباً ما يكون أحد الطرفين متجاوزاً للنظام إما عابر طريق سار دون ملاحظة إشارة العبور، أو قائد مركبة لم يلق بالاً للمارة، وقد وصل نقطة العبور دون مراعاة السرعة المطلوبة للتوقف أو التهيؤ لذلك(26).

خلاصة

ربما يكون وقوفنا في هذه الدراسة على مفهوم الاتجاهات كمدخل رئيسي لفهم سلوك السائقين خاضعا لضرورات علمية تتعلق أساسا بتوجه الدراسة والتخصص الذي تمت ضمن حدوده، غير أنه لا يمكننا أن ننكر أن مفهوم الاتجاهات يتيح في حد ذاته إمكانية الفهم والتحكم في السلوك انطلاقا مما تشير إليه نظريات تشكّل الاتجاهات النفسية عند الأفراد، حيث تنبثق نوى الكثير من اتجاهاتنا النفسية في مرحلة الطفولة، حتى إذا ما تبين أنها اتجاهات غير مرغوبة فإنه يمكن تعديلها ما دام هذا الأخير ممكنا بلغة أهل السيكولوجيا الاجتماعية، وإذا ما أردنا أساسا أن يكون نوع الاتجاهات التي يحملها السائقون نحو السلامة المرورية إيجابيا، فيمكننا بلوغ ذلك من خلال التركيز على تعليم الأطفال قواعد وآداب الطريق منذ المراحل المبكرة لأعمارهم.

قد يبدو غريباً هذا الذي نشير إليه لأن الكثير منا يعتقد خطأً أن مفهوم السلامة المرورية يتشكل عند السائق أثناء وبعد الحصول على رخصة القيادة، فبماذا نبرر إذا إلزامية التعليم المروري المبكر في هولندا، وتخصيص نصف ساعة على الأقل أسبوعياً لتلقين أطفال تتراوح أعمارهم بين (4-12) سنة بعض قواعد المرور (27)، وبماذا نفسّر لجوء أغلب الدول المتطورة إلى إنشاء مدن صغيرة تحتوي على أنظمة مرورية متكاملة لتعويد الأطفال على إتباع نظم المرور والحرص على السلامة، وبماذا نفسر أيضاً أنه في الولايات المتحدة الأمريكية هناك مادة تُدرس في المراحل المبكرة من أعمار الطلاب بعنوان "السلامة المرورية وأساليب القيادة الصحيحة" (28)

أليست كل هذه المبررات وغيرها سبب لتصحيح الاعتقاد بأن مفهوم السلامة المرورية جدير بأن يكون أحد محاور التعليم في مناهجنا الدراسية، إن جملة النماذج السابقة دليل كافي على أن اتجاهات السائقين نحو السلامة المرورية تتحدد إلى حد بعيد في المراحل المبكرة لأعمار السائقين، لذا وجب علينا إذا ما أردنا توجيهها الوجهة الصحيحة التركيز على الفئات الصغرى ليحقق لنا فيما بعد أن نفكر ونتخيل طرقاً آمنة مستقبلاً.

إن للبحث في مفهوم الاتجاهات النفسية نحو السلامة المرورية عند السائقين غايتان، أما الأولى فهي تلك التي أشرنا إليها قبل قليل (التركيز على تلقين مبادئ السلامة منذ الصغر)، وأما الثانية فهي تتيح تعديل السلوك المنبثق عن الاتجاهات السائقين غير المرغوبة (السلبية) نحو السلامة المرورية ما دامت الاتجاهات النفسية مكتسبة، وكل مكتسب قابل للتعديل والتطوير، ويشير التراث الأدبي للبيكولوجيا الاجتماعية إلى العديد من الأساليب الممكنة لتعديل الاتجاهات سبق الخوض في تفصيل الكثير منها في عنصر تعديل الاتجاهات ضمن الفصل السابق، وتلخص مجتمعة توجيهين ممكنين لتعديل الاتجاهات، الأول بيكولوجي يأخذ بمبادئ السلوكية اعتماداً على تقنيات الثواب والعقاب والكف، ومبادئ الإرشاد عن طريق تزويد الأفراد بالمعلومات حول موضوع الاتجاه،

واستخدام وسائل الإعلام والاتصال الجمعية وتغيير خبرات الأفراد، وتغيير الإطار المرجعي للفرد وتغيير الجماعة المرجعية، والتعليم المدرسي، وتكوين الجماعات الإرشادية، أما الثاني فسوسيولوجي يعتمد على المنظور التقليدي في الخدمة الاجتماعية والذي يقوم على التقسيم الشائع لطرق الخدمة الاجتماعية إلى (طريقة خدمة الفرد، طريقة خدمة الجماعة، طريقة تنظيم المجتمع)، فعلى المستوى الفردي يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يستخدم النصح والإقناع والشرح النظري والإيحاء، وعلى المستوى الجماعي يمكن له استخدام ديناميكية الجماعة Group Dynamics لتوجيه وتعديل اتجاهات أعضائها، فضلا عن أساليب المناقشات والندوات والإقناع أثناء اجتماعات الجماعة، وعلى المستوى المجتمعي يمكن استخدام وسائل الإعلام بصفة عامة مع الإلحاح المستمر لتوكيد الاتجاه المرغوب، مع إعطاء أمثلة للسائقين من شخصيات ذات تأثير داخل المجتمع، يسهل عملية تقمص وتقليد أنماطها السلوكية(29).

هوامش البحث

- (1). راضي عبد المعطي السيد الآثار الاقتصادية لحوادث المرور، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض المملكة العربية السعودية، ص 6.
2. راضي عبد المعطي السيد الآثار الاقتصادية لحوادث المرور، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض المملكة العربية السعودية، ص 28.
3. علي بن سعيد الغامدي (2000)، حوادث المرور في المملكة الأسباب والآثار والحلول، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض المملكة العربية السعودية، ص.63
4. المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرقات (2008)، دراسة إحصائية لحوادث المرور في الجزائر خلال سنة 2007، تقرير مقدم إلى وزارة النقل الجزائر، ص.74

5. المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرقات (2008)، دراسة إحصائية لحوادث المرور في الجزائر خلال سنة 2007، تقرير مقدم إلى وزارة النقل الجزائر، ص 15.
6. عبد الرحمان عقيل الجناحي (2006)، البحث العلمي ودوره الإستراتيجية في معالجة حوادث المرور: ورقة مقدمة لندوة "حجم حوادث المرور وسبل معالجتها" المنعقدة عام 1427هـ، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية المملكة العربية السعودية، ص ص (161-187).
7. محمد بن مكرم ابن منظور (د.ت)، لسان العرب، القاهرة مصر، دار المعارف، ص 4775-4777.
8. عبد اللطيف خليفة، محمود عبد المنعم شحاتة (د.ت)، سيكولوجية الاتجاهات: المفهوم القياس التغيير، القاهرة مصر، دار غريب، ص 8.
9. محمد بن مكرم ابن منظور (د.ت)، لسان العرب، القاهرة مصر، دار المعارف، ص 4321.
10. أمر رئاسي رقم 09-03 المؤرخ في 29 رجب 1430 الموافق لـ 22 يوليو سنة 2009، المتعلق بتنظيم حركة المرور عبر الطرقات وسلامتها وأمنها، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية عدد 45، ص ص (4 - 13).
11. سعد القاضي وآخرون (1994)، نحو مفهوم شامل للسلامة المرورية، ورقة مقدمة للندوة الوطنية لسلامة المرور المنعقدة في الفترة 15-18 شوال 1414هـ. الرياض السعودية، ص 464.
12. زايد بني عطا (2008)، بناء مقياس الاتجاهات نحو تنظيم النسل باستخدام النموذج الكشفي التدريجي العام، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، جامعة اليرموك الأردن، مج 4، ع 2، ص ص (89-108).
13. تغريد عبد الرحمان حجازي (2008)، بناء مقياس الاتجاهات نحو الكيمياء، مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية جامعة البحرين، الصخير مملكة البحرين، مج 9، ع 1، ص ص (76 - 91).

14. زايد بني عطا (2008)، بناء مقياس الاتجاهات نحو تنظيم النسل باستخدام النموذج الكشفي التدريجي العام، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، جامعة اليرموك الأردن، مج 4، ع2، ص ص (89-108).
15. خالد محمد هلال (1418هـ)، التنشئة المرورية لدى الطفل العربي، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الوطني الأول للسلامة المرورية المنعقد بتاريخ 20-23 شعبان 1418 هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ص (507-528).
16. رالف شفارتس (1994)، التفاوضية الدفاعية والتفاوضية الوظيفية كشرطين للسلوك الصحي، ترجمة سامر جميل رضوان، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، طرابلس لبنان، العدد 18، ص ص (75-93).
17. رالف شفارتس (1994)، التفاوضية الدفاعية والتفاوضية الوظيفية كشرطين للسلوك الصحي، ترجمة سامر جميل رضوان، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، طرابلس لبنان، العدد 18، ص ص (75-93).
18. محمد أحمد النابلسي (2002)، علاقة حوادث السير بتشوه الدفاعات النفسية، ورقة مقدمة إلى مؤتمر حوادث السير في دول الخليج، المنعقد في مارس 2002 الكويت.
19. محمد أحمد النابلسي (2002)، علاقة حوادث السير بتشوه الدفاعات النفسية، ورقة مقدمة إلى مؤتمر حوادث السير في دول الخليج، المنعقد في مارس 2002 الكويت.
20. محمد سليمان الوهيد (1997)، القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور، ورقة مقدمة في الندوة العلمية الأربعين أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، المنعقدة في الفترة 27-29 / 05 / 1996، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض السعودية، ص ص (43-60).
21. محمد سليمان الوهيد (1997)، القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور، ورقة مقدمة في الندوة العلمية الأربعين أساليب ووسائل الحد من

- حوادث المرور، المنعقدة في الفترة 27-29 / 05 / 1996، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض السعودية، ص ص (43-60).
22. محمد سليمان الوهيد (1997)، القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور، ورقة مقدمة في الندوة العلمية الأربعين أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، المنعقدة في الفترة 27-29 / 05 / 1996، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض السعودية، ص ص (43-60).
23. محمد سليمان الوهيد (1997)، القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور، ورقة مقدمة في الندوة العلمية الأربعين أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، المنعقدة في الفترة 27-29 / 05 / 1996، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض السعودية، ص ص (43-60).
24. محمد سليمان الوهيد (1997)، القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور، ورقة مقدمة في الندوة العلمية الأربعين أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، المنعقدة في الفترة 27-29 / 05 / 1996، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض السعودية، ص ص (43-60).
25. المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرقات (2008)، دراسة إحصائية لحوادث المرور في الجزائر خلال سنة 2007، تقرير مقدم إلى وزارة النقل الجزائر، ص 63.
26. محمد سليمان الوهيد (1997)، القيم الاجتماعية وأثرها في مشكلة المرور، ورقة مقدمة في الندوة العلمية الأربعين أساليب ووسائل الحد من حوادث المرور، المنعقدة في الفترة 27-29 / 05 / 1996، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض السعودية، ص ص (43-60).
27. جوب قووز (2006)، توظيف التعليم والإعلام لرفع مستوى السامة المرورية لدى الأطفال في هولندا، ورقة مقدمة لمؤتمر التعليم والسلامة المرورية المنعقد في الفترة 11-13 / 12 / 2006، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض السعودية، ص 2.

28. خالد محمد هلال (1418هـ)، التنشئة المرورية لدى الطفل العربي، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الوطني الأول للسلامة المرورية المنعقد بتاريخ 20-23 شعبان 1418 هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ص (507-528).

29. عبد العزيز فهمي النوحى وآخرون (1995)، مقياس اتجاهات الشباب الجامعي نحو قيادة السيارات ومدخل نسفي أيكولوجي لتعديلها، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات، السنة العاشرة، العدد 11، ص ص (269-303).

الدراسات التاريخية

دوافع و تبعات مصادرة الإدارة الاستعمارية الفرنسية للأماكن

الوقفية في الجزائر

الأستاذ: سفيان شبيرة

المعهد الوطني المتخصص لتكوين

إطارات الشؤون الدينية و الأوقاف ، غليزان، الجزائر

الملخص:

لقد حرص الاستعمار الفرنسي الغاشم كل الحرص ليس على إحكام سيادته و سيطرته على البلاد و العباد فحسب، بل على قتل كل موروث ثقافي و اجتماعي لدى الشعب الجزائري، فكان الاعتداء على الأماكن الوقفية في الجزائر، و بالأخص على مؤسسات التنشئة الاجتماعية الوقفية و التي تمثلت في المسجد و المدرسة كدلالة قاطعة على أكذوبة المهمة الحضارية التي كان يتغنى بها المستعمر الفرنسي من ناحية، و من ناحية أخرى كان هذا الاعتداء بمثابة قطع الصلة بتلك المراحل التاريخية الزاهرة التي تعاقبت على الجزائر.

Résumé:

Le colonialisme français n'a pas visé seulement à maîtriser sa domination et sa souveraineté sur le pays et les individus mais aussi à exterminer tout patrimoine culturel et social du peuple algérien. Son agression sur les propriétés « EL WAKFS » en Algérie et notamment sur les établissements de l'éducation sociale tels que la mosquée, l'école , zaouia... se présente, d'une part, comme un indice concret engendrant le mensonge de la mission civilisatrice que le colonialisme français évoque souvent, d'une part, elle constitue une rupture avec les périodes prospères qu'a connues l'Algérie .

يعود تاريخ الأوقاف في الجزائر كمؤسسة الاجتماعية و دينية عريقة إلى الفترة الإسلامية التي سبقت مجيء الأتراك إلى الحكم، و استمرت في الانتشار و التوسع طيلة الفترة العثمانية، و اكتسبت أهمية كبيرة خاصة في أواخر العهد العثماني و بداية الاستعمار الفرنسي، حيث استحوذت على نسبة كبيرة من الممتلكات داخل المدن الجزائرية و خارجها مُشكِّلةً بذلك نظاما مستقلا قائما بذاته.

و لعل ما عرفته الأوقاف من تطور و توسع في الفترة العثمانية كفيل بأن يجعل المرء يُطلق على تلك المرحلة من تاريخ الأوقاف في الجزائر مرحلة الإزدهار الوقفي، إذ بلغت الممتلكات الوقفية أوج عظمتها، و شكلت نظاما وافر الإسهام في تلبية حاجات المجتمع، غير أن هذا الكم الهائل من الممتلكات سرعان ما امتدت إليه يد المحتل و عملت على تطويقه و إنهائه، حتى أصبح بالإمكان وصف المرحلة الاستعمارية بمرحلة الاندثار و السقوط الوقفي، و إذا كان من المتفق عليه أن نظام الوقف مؤسسة اجتماعية تتمتع باستقلالية و شخصية معنوية واضحة المعالم، فإن للباحث أن يستشف حالة العلاقة التي كانت بين المستعمر الفرنسي الغاشم و بين هذه المؤسسة الرائدة، و هو الذي كان يحرص كل الحرص على وضع المجتمع الجزائري تحت سيادته و سلطته حتى يتمكن من تجويعه و تجهيله و تغريبه، و هو الهدف الذي نجح في تحقيقه نتيجة قضائه على مؤسسات التنشئة الاجتماعية الوقفية من مدارس و مساجد و غيرها .

و منه فإن الإشكالية الرئيسية المطروحة تكمن فيما يلي :

✓ ما دوافع و آثار مصادرة الإدارة الفرنسية للأموال الوقفية في الجزائر ؟

و يتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات الآتية :

✓ ما هي أهم مؤسسات الوقفية التي كانت أكثر عرضة للمصادرة من قِبَل الإدارة الفرنسية ؟

✓ و كيف كان شكل هذه المصادرة ؟ ، و ما تبعاتها بعد الاستقلال عن المستعمر الفرنسي ؟.

المبحث الأول : ماهية الوقف

المطلب الأول : التعريف بالوقف

إذا أخذنا في الاعتبار أن نظام الوقف نظام إسلامي بحت تناولته النصوص الشرعية من قرآن كريم و سنة نبوية شريفة ، فإنه يمكن القول إن الفقهاء اختلفوا فيما بينهم في بيان معنى الوقف لاختلافهم في طبيعة العقد ذاته من حيث اللزوم وعدمه، وانتقال ملكية المال الموقوف، وهل الوقف عقد تعتبر فيه إرادة المتعاقدين أم أنه إسقاط ؟ فجاء كل تعريف ليعبر عن الوجهة التي اختارها صاحب التعريف محددًا فيه هذه العناصر .

و باستعراض تعاريف مختلف المذاهب الفقهية للوقف فإنه يمكن القول إنها جميعا يدور معناها حول حبس العين و تسبيل الثمرة و جعلها في سبيل الله ، فلا يتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة، ولا تنتقل بالميراث، على أن تُصرف لجهات الوقف بمقتضى شروط الواقف، لذلك يمكن القول إن أجمع و أدقّ و أرجح تعريف من التعريفات السابقة هو التعريف الذي ذكره ابن قدامة المقدسي بقوله إن الوقف هو: تحبّيس الأصل و تسبيل الثمرة، و سبب الترجيح يعود إلى الأسباب الآتية :

إن هذا التعريف مقتبس من الحديث النبوي الشريف ، حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((حبّس الأصل و سبّل الثمرة)) ، و النبي صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم بدهاءة أفصح الناس لسانا و أقدرهم بيانا .

إن هذا التعريف لم يسبق أن اعترض عليه من قبل العلماء كما اعترض على تعاريف المذاهب الأخرى.

امتاز هذا التعريف بأنه اقتصر على ذكر حقيقة الوقف فقط، ولم يدخل في تفاصيل أخرى، ذلك أن دخول هذه التفاصيل من شأنها أن تُخرج التعريف عن دلالته، وإبعاده عن الغرض الذي وضع من أجله .

هذا و لم يختلف تعريف الوقف في قانون الأوقاف الجزائري رقم 90 - 10 الصادر في 27 أبريل 1991 م عن التعريف الفقهي الشرعي كثيرا حيث نصت المادة 03 منه على تعريف الوقف بقولها : (الوقف هو حبس العين عن التملك على وجه التأييد و التصدق بالمنفعة على الفقراء أو على وجه من وجوه البر و الخير)⁽¹⁾.

المطلب الثاني : أنواع الوقف

ينقسم الوقف باعتبار الجهة الموقوف عليها، أو الهدف المرجو منه ابتداء إلى وقف خيري ووقف ذرّي ووقف مُشترك، وهذا التقسيم حديث وضعته الحكومات الحديثة⁽²⁾ ، إذ لم يكن في عهد الصحابة ولا في العصور الأولى تمييز بين الوقف الخيري و الوقف الذري، إذ أنهم لم يفرقوا بين وقف الإنسان على ذرّيته وقربته، وبين وقفه على جهات الخير و البر عامة على اعتبار أن الوقف هو نوع من أنواع الصدقات التي حث الشارع على فعلها و استحباب القيام بها، بل كانت الأوقاف معروفة بالصدقات، و الحديث الذي استدل به الفقهاء على مشروعية الوقف إنما عبر عن الوقف باسم الصدقة، وكذلك كُتِب أوقاف الصحابة كلها عبّرت عن الوقف بالصدقة⁽³⁾ .

فالتقسيم إذاً ليس فقها يبنّي عليه اختلاف في الأحكام، وإنما هو ضرورة الإجراءات القضائية الحكومية المعروفة ، وبتعبير آخر هو تقسيم إداري، ويمكن القول أن هذا التقسيم أول ما ظهر كان في عهد المماليك كما نُقل عن المقرئ في خطه دعت إليه اتساع الأوقاف واختلاف جهة مصارفها، فكان التقسيم باعتبار المُشرفين عليها؛ لأن للأوقاف الأهلية ناظرين منهم ، بخلاف الأوقاف

الخيرية، فإن الناظر عليها هي الدولة، خصوصا بعد وفاة ناظرها، أو واقفها، و كان ذلك حال أغلب الأوقاف الخيرية.

أ- الوقف الخيري (العام): وهو الذي يقصد به الواقف التصديق على وجوه البر، سواء أكان على أشخاص معينين، كالفقراء و المساكين و العجزة، أو كان على جهة من جهات البر العامة، كالمساجد و المستشفيات و المدارس و غيرها مما ينعكس نفعه على المجتمع.

ب- الوقف الأهلي (الخاص) : وهو الذي يوقف في ابتداء الأمر على النفس أي شخص من الأشخاص ، ثم يجعل آخره على جهة خيرية عامة كمدرسة أو مسجد أو غير ذلك من المرافق العامة⁽⁴⁾.

المبحث الثاني : حالة الأوقاف قبل الاحتلال و دوافع الاعتداء عليها

المطلب الأول : حالة الأوقاف قبل الاحتلال الفرنسي

يعتبر الوقف ظاهرة اجتماعية إسلامية عرفتها الجزائر في الفترة الإسلامية التي سبقت مجيء الأتراك ، و استحوذهم على مقاليد الحكم ، و هذا ما دلت عليه المصادر التاريخية و الوثائق الوقفية التي تعود إلى تلك الحقبة الزمنية المتقدمة مثل الوثيقة التي تسجل أوقاف مسجد و مدرسة أبي مدين بتلمسان و التي يرجع تاريخها إلى عام 906 هـ / 1500 م و التي توزع أوقاف أبي مدين على النحو الآتي : 09 بساتين ، 04 مزارع ، قطعنا أرض ، طاحونتان، و حمام واحد داخل تلمسان ، و نصف الحمام القديم بالمنصورة ، بالإضافة إلى نصف بستان و قطعة أرض للحرثة تقدر مساحتها بعشر زُوَيْجات (100 هكتار)، و قطعة أرض صالحة للزراعة تقدر مساحتها بعشرين زويجة (200 هكتار)⁽⁵⁾.

و لقد تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بتكاثر الأوقاف و انتشارها في مختلف أنحاء الجزائر، ذلك لأن الحكام الأتراك رأوا في الرابطة الدينية الإسلامية التي كانت تميز سكان الجزائر آنذاك، و ما تعلق بها من أوقاف عاملا قويا لبط

نفوذهم و كسب تأييد السكان ، فراحوا يوقفون أملاكهم إظهارا للورع و التقوى ، و تقربا للمرابطين ، و اكتسابا لتأييد رجال الدين .

و أحسن دليل على هذا التطور الذي عرفته الأوقاف في الجزائر العثمانية نستخلصه من وضعية أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة التي لم تتجاوز مائة و تسعة و خمسون وقفا طيلة قرنين (1540م حتى 1750 ميلادي) ، ثم ما لبثت أن تزايدت منذ نصف القرن الثامن عشر حتى أصبحت أوقافها سنة 1841 تقدر بـ : 543 وقف أي بزيادة 384 وقف خلال الفترة الممتدة من 1752 م إلى 1841 م ⁽⁶⁾ ، هذا و قد بلغ عدد المساجد التابعة لمؤسسة الجامع الأعظم 92 مسجدا ، يأتي في مقدمتهم المسجد الأعظم (المسجد الكبير) الذي كان يتولى رعايته ثلاثة وكلاء يعينهم المفتي المالكي ، و تصرف مداخيله على إمامين و 19 مدرسا و 18 مؤذنا و 08 حزابين و 13 قِيمًا ⁽⁷⁾ .

و لقد ساعد انتشار الأوقاف و تكاثرها على أن تشمل مختلف أوجه الحياة، بحيث أصبحت تشتمل على الأملاك العقارية و الأراضي الزراعية و تضم العديد من الدكاكين و الفنادق و أفران الخبز، و العيون و السواقي و الحنايا و الصهاريج، و أفران معالجة الجير، هذا بالإضافة إلى الكثير من الضيعات و المزارع و البساتين و الحدائق، حتى أن القنصل الفرنسي (فاليار) لما زار الجزائر العاصمة سنة 1781 م أكد على: " أن مؤسسة الحرمين الشريفين تمتلك جل مساكن مدينة الجزائر و أغلب البساتين المجاورة لها " .

كما لم يقتصر انتشار الأوقاف على مدينة الجزائر العاصمة و ضواحيها، بل شملت أغلب جهات الوطن الجزائري ، ففي مدينة قسنطينة و ضواحيها كان عدد الأملاك الوقفية يزيد على 170 وقفا منها 40 رحي واقعة على وادي الرمال .

و إذا أردنا أن ندلل بالأرقام على المكانة الراقية و الازدهار الملحوظ الذي عرفته الأوقاف الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي، فإننا نقول إن مؤسسة أوقاف

الحرمين الشريفين كانت تملك عشية الاحتلال الفرنسي ما بين 1357 و 1558 ملكية عقارية⁽⁸⁾.

هذا بالإضافة إلى عدة مؤسسات أخرى كمؤسسة أوقاف سبل الخيرات التي كان يقدر مدخولها السنوي بـ : 72515.61 فرنك ، و مؤسسة أوقاف أهل الأندلس التي قدر مدخولها السنوي سنة 1841 م بـ : 2775.20 فرنك فرنسي .

المطلب الثاني : دوافع الاعتداء على الأملاك الوقفية

إن الدافع الرئيسي من الاستيلاء على الأملاك الوقفية كان يتمثل في نظرنا في الرغبة في الاستحواذ على الأموال لتضخيم و دعم ميزانية الدولة الفرنسية، و هو أمر واضح من مبدأ الاستعمار نفسه، إذ هو الاشتهار على حساب الشعب المستعمر، و يفتخر الفرنسيون بأنهم وجدوا في خزينة الدولة الجزائرية من المال ما عوضهم عن حملتهم بل فاض عليه، و اعتبروا ذلك من نوادر حملاتهم.

و لم يكتفوا من الاستيلاء على ما كان في الخزينة العامة الرسمية، بل مدوا أيديهم و أعينهم للأوقاف العامة أيضا، فأضافوا مداخيلها إلى مداخيل الدولة الفرنسية، و حرموا منها المسلمين أصحاب الحقوق فيها .

و أما الدافع الثاني فهو ما أشار إليه بعض المؤرخين، و هو الخوف من أن يستعمل المسلمون المال الذي عندهم لاسترداد سيادتهم على البلاد و التحكم في مصيرها و طرد الفرنسيين منها .

فالمال قوام الأعمال كما يقولون، و الفرنسيون الأوائل كانت لا تغيب عنهم هذه الفكرة، و قد تجسسوا على المفتي ابن العنابي و حصلوا منه على تصريح بأنه مستعد لجمع جيش و إعلان الجهاد ضد جيش الاحتلال الفرنسي، كل هذا جعل من الفرنسيين يبادرون بوضع أيديهم على هذه الأملاك منذ المهلة الأولى دون مراعاة معاهدة و لا ذوي الحقوق و لا حرمة الدين، و هذا ما أكده المارشال فيان وزير الحربية في الحكومة الفرنسية، حيث ذكر أن طريقة تسيير الوقف تجعل من السهل تهريب ريعه و عوائده بعيدا عن أعين السلطة و أعين

الرقباء عموماً، و من جهة أخرى (حسب المارشال) كان التعصب على أشده ، فكان من الخطورة في نظر الوزير أن تُترك فرنسا مبالغ مالية ضخمة في أيدي أعدائها مما يمكنهم من استعمالها في حرب ضدها⁽⁹⁾.

المبحث الثالث : مراحل تعدي الإدارة الفرنسية على الأملاك الوقفية و تبعات ذلك

المطلب الأول : مراحل تعدي الإدارة الفرنسية على الأملاك الوقفية

بمجيء الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر، تغير تسيير الأوقاف تغيراً ملحوظاً، و ذلك لكونها وقفت حجرة عثرة في طريق المعمرين، و حدثت من سياستهم التوسعية، مما أدى بالحكم الفرنسي إلى انتهاج خطة محكمة للقضاء على هذا المشكل العويص، عن طريق المراحل الآتية :

المرحلة الأولى : الاستيلاء على بعض الأملاك الوقفية

إن أول قرار أصدرته الإدارة الفرنسية فيما يخص موضوع الأوقاف هو قرار 08 سبتمبر 1830 الذي تضمن بنوداً تنص على أن للسلطات الفرنسية الحق في الاستحواذ على أملاك موظفي الإدارة التركية السابقة، و بعض الأعيان من الكراغلة و الحضر ، بالإضافة إلى بعض الأوقاف التابعة لمؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين⁽¹⁰⁾.

و بعد ثلاثة أشهر أصدر كلوزال قراراً آخر بتاريخ 07 ديسمبر 1830، أكد في مادته الأولى على أن كل المنازل و المتاجر و الدكاكين و البساتين و المحلات و المؤسسات مهما كان نوعها المشغولة من قبل الداوي و البايات و الأتراك الذين خرجوا من الجزائر، أو التي كانت مسيرة لحسابهم تعتبر في حكم الأملاك المصادرة، و هذا ما نص عليه القرار المؤرخ في 08 سبتمبر 1830، لكن الجديد في هذا القرار هو نصه على الاستحواذ الكلي على الأملاك التي كانت موجهة للحرمين الشريفين، بعدما نص في القرار السابق على الاستحواذ الجزئي لها، حيث أدخلها بموجب هذا القانون في عموم الأملاك العامة أو ما يسمى بالدومين العام⁽¹¹⁾.

كل هذا مكن السلطات الفرنسية من الاستيلاء على كل المباني الضرورية لإسكان جماعات من الأجانب و تحويل البعض منها إلى مكاتب و مصالح ، هذا ما جعل الباحث "جيرار دي جانسن" يقرُّ بصعوبة تحديد عدد المباني التي استولت عليها الإدارة الفرنسية في تلك الآونة، غير أنه - حسب كلام الباحث - يستند إلى ما أتى به الكاتب "بيشون" الذي يصرح على أن الجيش الفرنسي في سنة 1832 م شغل 55 بناية كانت تابعة لمؤسسة الحرمين الشريفين و للمسجد الكبير ، كما حُولت عدة مساجد إلى مصالح أخرى و ذلك ابتداء من 1830 م، و لعل من أبرز الأمثلة على ذلك مسجد "علي بشين" الذي أصبح مقرا للصيدلية المركزية للجيش الفرنسي، و مسجد "بن كمخة" ، و مسجد : الشمعين" ، و مسجد "ابن نيقور" التي حولت إلى خدمات عسكرية سنة 1833م ، كما تمَّ تحويل مسجد "علي خوجة" إلى محل تجاري، أما المساجد العديدة الأخرى فإن الكثير منها حُوّل إلى مساكن⁽¹²⁾.

و الملاحظ على هذين القرارين أن الإدارة الفرنسية عملت على القضاء على الأوقاف ذات الطابع الدولي، فأوقاف الأتراك فيها عنصر أجنبي و هو الواقف ، و أوقاف الحرمين الشريفين فيها أيضا عنصر أجنبي و هو الموقوف عليه، و ربما هذا كان تفاعلا لثورة السكان عليها، فمؤسسة الحرمين الشريفين لا ينتفعون منها ، إذ كانت كل مداخيلها تذهب إلى الحرمين الشريفين، و أوقاف الأتراك هي لأشخاص غير جزائريين ربما أساءوا في آخر أيامهم معاملة السكان الأصليين⁽¹³⁾.

المرحلة الثانية : التدخل الكلي في تسيير الأملاك الوقفية

إن من بين الثغرات التي مكنت الإدارة الفرنسية من التدخل أكثر فأكثر في تسيير الأوقاف هو سوء التسيير الذي عرفته بعض المؤسسات الوقفية من قِبل الوكلاء، و تعتبر هذه الثغرة من الحجج التي تمسك بها المسؤولون الفرنسيون، و لما تكررت هذه الأفعال المنسوبة للوكلاء و عدم معاقبتهم، ثار غضب رجال الدين ففي 29 أوت 1835 م اتصل المفتي المالكي مصطفى بن محمد بالماريشال "كلوزال" و قدم له رسالة يطلب فيها باستبقاء الوكلاء المخلصين و استبدال الآخرين، و

صرح على أن توزيع الصدقات لابد أن يكون بطريقة ملائمة و حسب الضرورة و حاجة الأشخاص .

و بتاريخ 09 سبتمبر 1835 م طلب " كلوزال " من مدير المالية القيام بإجراءات سريعة قصد إعادة النظام الإداري للمؤسسات، و عند الضرورة لابد من استشارة المفتي ، و بعد أسبوع من هذا القرار، و باقتراح من " بلوندا ل " أصدر الوالي العام قرار يتضمن الإجراءات الآتية :

- تعيين مراقب مسلم يوضع بجانب وكيل الحرمين الشريفين .
- القيام مباشرة و على الفور بمجرد الدفاتر و التأكد من المبالغ الموجودة في الخزينة و ذلك بحضور المفتي و مراقب الأملاك .
- يتكفل هذا المراقب بالمداخيل و المصاريف لحين إشعار جديد⁽¹⁴⁾ .
- و بذلك تمكنت الإدارة الفرنسية من الوصول إلى السيطرة على الأوقاف عن طريق تسييرها .

و في 21 أوت 1839 حصل تعديل في مفهوم الملكية إذ قسم هذا القانون أملاك الدولة إلى ثلاثة أصناف هي: الدومين الوطني، الدومين الكولونيالي، الأملاك المصادرة .

و على إثر هذا القانون تم إدراج الأملاك الوقفية ضمن الصنف الثاني، كما نصّ على التعويض للمستحقين في حالة الهدم⁽¹⁵⁾ . و ابتداء من 01 جانفي 1841 م أصبحت حسابات المؤسسات الدينية تخضع كلية لقواعد فرنسية، مما سمح بعد ذلك بوضع ميزانية للمؤسسات الدينية سنة 1842، ثم تم ربط مداخيل و مصاريف المؤسسات الدينية بالميزانية الفرنسية ، و هذا الربط كان بمقتضى قرار وزاري مؤرخ في 23 مارس 1843 م، حيث ورد نص المادة الأولى على أن المصاريف مهما كانت طبيعة المؤسسات الدينية تكون مربوطة بالميزانية الاستعمارية⁽¹⁶⁾ .

المرحلة الثالثة : الاستيلاء الكلي على الأملاك الوقفية

لم تكثف الإدارة الفرنسية بالسيطرة التامة على إدارتها و ربط ميزانيتها بميزانية الإدارة الفرنسية ، بل اتجهت إلى القضاء النهائي على ما يسمى بالوقف الإسلامي. فقد جاء في نص المادة الثالثة التي تستخلص من القرار 01 أكتوبر 1844 م ما يدل على القضاء عن المناعة التي تميزت بها الأملاك الوقفية، و إدخالها في إطار المعاملات العقارية، مما مكن الأوروبيين من الاستحواذ على الأراضي الموقوفة، حيث أن إدخال الأوقاف في إطار المعاملات العقارية جعلها قابلة للبيع و الشراء و كل أنواع التصرف الأخرى، و بالتالي خرق القاعدة الشرعية التي تنص على أن الوقف لا يباع و لا يوهب و لا يورث⁽¹⁷⁾ .

و هكذا أصبحت الأوقاف تتناقص كما أصبحت عوائدها تقل بسبب مختلف القرارات الصادرة بشأنها. و لم تكثف المادة الثالثة من القرار السابق برفع المناعة عن الأملاك الوقفية، بل أنها جاءت لتثبيت نفي صفة الوقفية عن الأوقاف عند انتقالها للأوروبيين حيث عبّرت هذه المادة بصريح العبارة على أنه لا يمكن الاحتجاج بكون هذه الأوقاف لا يمكن التصرف فيها⁽¹⁸⁾ .

و في الثالث من أكتوبر 1848 م صدر قرار تنص المادة الأولى منه على أن المباني المنسوبة لمساجد المرابطين و للزوايا و لكل المؤسسات الدينية التي لازالت استثناء مسيرة من طرف الوكلاء ، تسلم و تسير من طرف مصلحة أملاك الدولة و فقا للنصوص التنظيمية⁽¹⁹⁾ ، و بتاريخ 30 أكتوبر 1858 م صدر مرسوم ليوسع من مفهوم القرار السابق باعتبار أنه لم يقتصر على السماح للأوروبيين بامتلاك الأوقاف فقط، و إنما سمح لليهود أيضا بامتلاك هذه الأوقاف، و بذلك أصبحت الأوقاف تخضع لأحكام الملكية العقارية المطبقة بفرنسا⁽²⁰⁾ .

المطلب الثاني : تبعات اعتداء الإدارة الفرنسية على الأملاك الوقفية

أولا : تقلص عدد المساجد

لقد كان من تبعات السياسة العدائية التي انتهجتها الإدارة الفرنسية تجاه مؤسسات التنشئة الاجتماعية و على رأسها المساجد تقلص عدد المساجد في الجزائر، حيث سُجل تراجع رهيب في عدد المساجد التي لم تكن أماكن للعبادة فقط، بل كانت أماكن للوعظ و الإرشاد و توجيه الناس لتعاليم الدين الإسلامي، و كمثال عن الهمجية الفرنسية البربرية كانت مدينة الجزائر تضم و حدها 176 مسجدا قبل الاحتلال الفرنسي لينخفض هذا العدد سنة 1899 ليصل إلى خمسة فقط، ولعل من أهم المساجد التي عث بها الاحتلال:

جامع القصبه تحول إلى كنيسة الصليب المقدس، جامع علي بتشين تحول إلى كنيسة سيده النصر، جامع كتشاوة حول إلى كنيسة بعد أن أباد الجيش الفرنسي حوالي 4000 مصلي اعتصموا به⁽²¹⁾.

و كان الحال نفسه في باقي المدن الجزائرية، خاصة الكبيرة منها و التي كانت تشهد حراكا علميا و دينيا لافتا قبل الاحتلال الفرنسي مثل: قسنطينة، و تلمسان، و وهران، و البليدة، و عنابة، و غيرها من المدن الأخرى .

ثانيا : تراجع عدد المؤسسات التعليمية و انتشار الأمية

لقد كان لاعتداء المستعمر الفرنسي على المؤسسات التعليمية الأثر البالغ و العميق على تراجع عدد هذه المؤسسات، و من ثم انتشار الأمية على نطاق واسع، فقد تعرضت الزوايا إلى نفس أعمال الهدم و البيع و التحويل، و لقيت نفس مصير المساجد و الجوامع، و حسب الإحصائيات الفرنسية، فقد تعرضت 349 زاوية إلى الهدم و الاستيلاء، و من أشهر الزوايا التي اندثرت من جراء هذه السياسة زاوية القشاش و الصباغين و المقياسين و الشابرلية، و قد شعر الساسة الفرنسيون بخطورة ما يمثله التعليم العربي، فاتجهت أنظارهم إلى المدارس التعليمية فيها، ثم قطع التمويل المالي، الذي كان يأتيها من الإيرادات الوقفية.

وقد عرفت المدارس نفس المصير، كمدرسة الجامع الكبير و مدرسة جامع السيدة وكمثال عن التدمير الذي تعرضت له هذه المؤسسات، نذكر أنه في مدينة

عناية ، كان بها قبل الاحتلال 39 مدرسة إلى جانب المدارس التابعة للمساجد ، لم يبق منها إلا 3 مدارس فقط، ولقد لخص أحد جنرالات فرنسا في تقريره إلى نابليون الثالث إصرار الإدارة الفرنسية على محاربة المؤسسات الثقافية الجزائرية، قائلاً : ((يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية...كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا...و بعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا)) .

و يصف محمد فريد⁽²²⁾ حالة التعليم في الجزائر بعد زيارته لها سنة 1901 م قائلاً : ((إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جدا ، و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما تدرس العربية بالمرّة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى في حفظها، و لا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس... هجرت ربوع العلم، و خربت دور الكتب و صارت الديار مرتعا للجهل و الجهلاء...))⁽²³⁾ .

ثالثا : الإشكالية استرجاع الأملاك الوقفية

إن من التبعات العويصة التي ترتبت عن اعتداء المستعمر على الأملاك الوقفية هي إشكالية استرجاع هذه الأملاك، حيث تشير إحصائيات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف إلى أن نسبة الأراضي الوقفية المسترجعة لم تصل حتى إلى 20 بالمائة، وذلك رغم الجهود التي تبذلها مصالح الوزارة عبر الوطن بغية استعادتها، في حين لم تباشر بعد عملية استرجاع الأملاك الوقفية المهملة بالخارج، مع العلم أن الجزائر تملك نحو 9000 ملك وقفي بقيمة مداخل تقارب الـ 14 مليار سنتيم أكثر من 50 بالمائة منها أملاك غير مستغلة وتحتاج إلى صيانة، وتمثل السكنات الوقفية من إجمالي هذه الأملاك الوقفية ما نسبته 60 بالمائة من العقارات، وحوالي 8 بالمائة أراض بيضاء(غير مستغلة)، وما يزيد عن 14,9 بالمائة محلات تجارية.

هذا و قد أكدت المصالح الوزارية في موضع آخر أن حجم الأراضي المسترجعة بلغ أزيد من 1200 هكتار من أملاكها الوقفية على مستوى التراب

الوطني، تقع على مستوى ولاية قسنطينة كما تم استرجاع أراضي أخرى على مستوى مدينة خرايسية (الجزائر العاصمة) و كذا ولاية معسكر.

هذا و قد أكدت وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف أن ما يمثل 95 ٪ من الأملاك الوقفية تفتقر إلى وثائق رسمية بسبب تدمير أو تهريب هذه الوثائق من قبل الإستعمار الفرنسي الغاشم، و لم تتوقف مشكلة الاسترجاع على صعوبة هذه العملية فقط، بل امتدت إلى العبء المالي المترتب على رفع القضايا أمام المحاكم المختصة لغرض استرجاع الأملاك الوقفية، فقد سطرت وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف برنامجا لاستعادة ما ضاع من الأوقاف منذ الحقبة الاستعمارية مبلغا ماليا قُدر 14 مليار سنتيم⁽²⁴⁾.

خاتمة :

في الختام هذه أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا البحث :

إن الذي يطلع على حالة الأوقاف قبل مجيء الاستعمار الفرنسي، و حالها من خلال آخر الإحصائيات الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، يستطيع أن يكتشف حجم الاعتداءات التي تعرضت لها الأملاك الوقفية طيلة قرن و ربع القرن من الزمن .

يمكن القول إن المستعمر الفرنسي تحايل في اعتدائه على الأملاك الوقفية و يظهر هذا من خلال :

أ/ اعتمد في اعتدائه على الأملاك الوقفية الأسلوب الرسمي، أي الأسلوب القانوني، و ذلك بسنّ القوانين، و لم يسلك أسلوب الاعتداء المباشر تفاديا لثورة السكان .

ب/ اعتمد كذلك في بداية الأمر بالاعتداء على الأملاك الوقفية ذات الطابع الدولي (أوقاف الحرمين الشريفين، أوقاف الملوك العثمانيين) و ذلك تفاديا لثورة السكان .

ج/ ثم قبل أن يستولي نهائيا على الأملاك الوقفية و إدخالها ضمن الدومين العام قام بالاستيلاء على تسيير هذه المؤسسات ، و ذلك حتى تبقى إيرادات و نفقات هذه الأملاك الوقفية تحت مراقبة الإدارة الفرنسية .

- لقد كان الدافع الرئيسي لاعتداء الإدارة الفرنسية على الأوقاف الجزائرية هو الخوف من أن تستعمل الأموال الموقوفة لاسترداد السيادة على البلاد و التحكم في مصيرها و طرد الفرنسيين منها .

- لقد كان تبعات الاعتداء على الأملاك الوقفية باهضة على الجزائريين و مازالت إلى يومنا هذا ، و على رأس هذه التبعات تراجع عدد المدارس التعليمية مما ساعد

على ارتفاع نسبة الأمية داخل المجتمع، مع العلم أن هذه الأوقاف كانت تؤدي دورا لا تقوم به اليوم إلا مجموعة كبيرة من الوزارات السيادية .

ملحق :

قائمة المساجد و الزوايا التي استولى عليها الفرنسيون بمدينة الجزائر

خلال العامين الأولين للإحتلال

أ / المساجد

- مسجد الشواش .
- مسجد الشماين .
- مسجد المرسي .
- مسجد سيدي حدى .
- مسجد باب الجزيرة .
- مسجد الكشاش القديم .
- مسجد خضر باشا .
- مسجد سوق اللوح .
- مسجد قاع السور .
- مسجد سوق الكتان .
- مسجد العين الحمراء .
- مسجد صباط الحوت .
- مسجد حسين بالقصبة .
- مسجد القصبة .
- مسجد فرن القشور .
- مسجد ستي مريم .
- مسجد علي بتشين .
- مسجد علي خوجة .
- مسجد كتشاوة .
- مسجد سيدي الرجي .
- مسجد سيدي سعدي .
- مسجد سيدي جامعي .
- مسجد بيدي عامر التنسي .
- مسجد علي باشا .

ب / المصليات :

- مصلى الانكشارية القديمة بالقصبة .

- مصلى الانكشارية الجديد بالقصبة .

- مصلى سيدي عبد الرحمن .

ج / الزوايا :

- زاوية سيدي بتكتة .

- زاوية سيدي الصيد .

- زاوية الكشاش بالمرسى .

- زاوية كتشاوة .

- زاوية تشيكتون .

- زاوية الانكشارية بالقصبة .

- زاوية يزو مورقو .

- زاوية الانكشارية القديمة .

- زاوية المرسى⁽²⁶⁾ .

- زاوية الولي سيدي الغبريني .

❖ هوامش البحث

- (1) سفيان شبيرة : آثار الشخصية الاعتبارية للوقف الاسلامي، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، 2011 ، ص ص 5 ، 15 ، 16 .
- (2) محمد رشيد نوري الديرشوي : شرط الواقف ومدى سلطة ولي الأمر في تعديله، رسالة ماجستير، إشراف : بلال أحمد صفي الدين ، جامعة دمشق ، (1430 هـ - 2009 م) ، ص 48 .
- (3) محمد مصطفى شلي : أحكام الوصايا والأوقاف، الدار الجامعية، بيروت (لبنان)، ط 4 (1402 هـ - 1982 م) ، ص 319 .
- (4) سليم هاني منصور: الوقف و دوره في المجتمع الاسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت (1425 هـ / 2004 م) ، ص 35 .
- (5) ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (2001 م) ، ص 234
- (6) ناصر الدين سعيدوني : دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية ، مرجع سبق ذكره، ص 235 .
- (7) علي العنتري : أوقاف الحرمين الشريفين " مكة و المدينة " في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر و بداية التاسع عشر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ، (2011 م / 2012 م) ، ص 29 .
- (8) ناصر الدين سعيدوني : دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، مرجع سبق ذكره، ص 240 .
- (9) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج 5 ، ص 159 ، 187 ، 188 .
- (10) محمد كنازة : الوقف العام في التشريع الجزائري ، دار الهدى ، الجزائر ، 2006 ، ص 54 .

- (11) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 161 .
- (12) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 161 .
- (13) **G. Busson** : les Wakf dans l' islam , Revue des etudes islamiques , Paris 1951, page 65 .
- (14) نادية ابراهيمي: الوقف و علاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري ، رسالة ماجستير ، معهد العلوم القانونية و الإدارية، جامعة الجزائر ، ص 28 ، 29
- (15) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 167 .
- (16) نادية ابراهيمي: الوقف و علاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري ، مرجع سبق ذكره، ص 31 .
- (17) رمول خالد : الإطار القانوني و التنظيمي للأموال الوقفية في الجزائر، دار هومه ، الجزائر، ط 2 ، 2006 ، ص 15 .
- (18) نادية ابراهيمي : الوقف و علاقته بنظام الأموال في القانون الجزائري ، المرجع السابق ، ص 31
- (19) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 161 .
- (20) المرجع نفسه، ص 102 .
- (21) بني مسجد كتشاوة في العام ، 1612 م ، ليتم توسيعه في العام 1794 م عن طريق الداوي حسن باشا ، وخلال فترة الاحتلال الفرنسي تم تحويل المسجد إلى كاتدرائية تحمل اسم سانت فيليب، وصى المسيحيون فيه أول صلاة نصرانية ليلة عيد الميلاد 24 ديسمبر 1832، وبعثت الملكة إميلي زوجة لويس فيليب هداياها الثمينة للكنيسة ، أما الملك فأرسل الستائر الفاخرة، وبعث البابا غريغور السادس عشرة تمثالين للقديسين، و قد قام الجنرال روفيجو القائد الأعلى للقوات الفرنسية بتحويل الجامع إلى إسطنبول، بعد أن قتل فيه من المصلين ما يفوق أربعة آلاف مسلم كانوا قد اعتصموا فيه احتجاجا على قرار تحويله إلى كنيسة، كما قام بإخراج جميع

المصاحف الموجودة فيه إلى ساحة المجاورة وأحرقها عن آخرها، فكان منظرا أشبه بمنظر إحراق هولوكو للكتب في بغداد عندما اجتاحتها، وتم تحول الجامع إلى كاتدرائية لأكثر من قرن .

(22) محمد فريد (1868م / 1919) : سياسي و أديب مصري ، رئيس الحزب الوطني خلفا لمصطفى كامل (1908م) من كبار المناضلين لاستقلال مصر، من مؤلفاته (تاريخ الدولة العثمانية) ، و (تاريخ الرومانيين) ، أنظر : المنجد في اللغة و الأعلام ، ص 414

(23) أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و أثرها الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985 ، ص 64 .

(24) <http://www.albawaba.com> تاريخ الزيارة : يوم 2013 /10 /22

(25) ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 169 .

**الدراسات النفسية
والتربوية**

إستراتيجية معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة وعلاقتها بصعوبات التعلم

الدكتورة: نجيبة بكيري

جامعة جيجل، الجزائر

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الذاكرة العاملة وأهميتها في معالجة المعلومات وتخزينها وعلاقتها بصعوبات التعلم، أي الأشخاص الذين يعانون مثلاً من ضعف القراءة لديهم ذاكرة عاملة ضعيفة، أي سعة أقل في الذاكرة العاملة للأداء الصحيح للقراءة وللمهام الأخرى. ونستطيع القول؛ أن وجود علاقة قوية بين الذاكرة العاملة وصعوبات التعلم، هذا ما يتطلب منا القيام بالمزيد لتحسين إجراءات التدريس والاستراتيجيات المعرفية كالاستذكار، ومعالجة المعلومات الجديدة مما يؤدي إلى حدوث تحسن عام في الانجاز الكلي للفرد.

Résumé :

Dans cette recherche, nous abordons le sujet de la mémoire de travail et de son importance dans le traitement de l'information, du stockage et de sa relation avec les difficultés d'apprentissage des personnes qui souffrent, par exemple, d'une mauvaise lecture ; leur mémoire de travail est faible donc une faible capacité de cette dernière réduisant les performances de la mémoire pour la lecture et pour d'autres tâches. On peut dire que la présence d'une forte relation entre la mémoire de travail et des difficultés d'apprentissage, Cela nous oblige à faire plus pour améliorer les méthodes d'enseignement et des stratégies cognitives tel le Remembering , et le traitement de nouvelles informations qui conduisent à une amélioration du rendement globale de l'individu.

رغم اهتمام الإنسان بموضوع المعرفة COGNITION وتحليل طبيعتها منذ ما يزيد على ألفي عام فإن هذه المعرفة لم تخضع للدراسة العلمية المنظمة في علم النفس إلى منذ سنوات قليلة نسبياً ومن ثم فقد تبين أن الذاكرة هي جهاز معالجة المعرفة والمعلومات على اختلاف مشاريعها وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الذاكرة بصفة عامة ولاسيما الذاكرة العاملة بمثابة القلب في جسد علم النفس المعرفي المعاصر.

وتحتل الذاكرة العاملة لدى الإنسان مكانة شديدة الأهمية، بوصفها أكثر مكونات الذاكرة التي حظيت باهتمام الباحثين في هذا المجال لما لها من دور أساسي في عملية معالجة المعلومات وهي إحدى أبنية الذاكرة العاملة التي تعالج المفاهيم والقواعد العلمية ومواقف المعلومات على العالم الخارجي والبيئة المحيطة للإنسان، كما تمثل الذاكرة العاملة المكان الذي يحتفظ به الفرد بكل ما يمر به من خبرات سابقة ومن ثم استرجاعها وقت الحاجة إليها.

تعد عملية التذكر Remembering من أهم الوظائف النفسية لدى الإنسان، وهي تعني استحضار الشخص خبراته الماضية من خلال استعادته للمعلومات والمعارف التي سبق تعلمها وتؤدي الذاكرة Memory دوراً مهماً في مختلف مجالات السلوك الإنساني، في الحديث والكتابة والقراءة وفي ممارسة الأعمال والمهارات المختلفة.

وقد حاول الباحثون على مدى العشرين عاماً الماضية البحث عن تسمية جديدة للذاكرة قصيرة المدى، وترجع هذه الجهود إلى جورج ميللر (Miller,1956) الذي أشار إلى أن الأفراد يستطيعون أن يستدعوا بسهولة الأعداد التي تقل عن خمسة أرقام وتزداد الصعوبة كلما زاد عدد الأرقام حتى يصل إلى تسعة أرقام، وقد أطلق على ذلك إسم الذاكرة العاملة، و تمثل الذاكرة العاملة المكوّن المعرفي العملياتي الأكثر تأثيراً في تنشيط المعلومات داخل الذاكرة الإنسانية

والاحتفاظ بها للقيام بالعديد من الاستخدامات المعلوماتية لاسيما التحصيلية، ويتم ذلك من خلال النظم المعرفية المتصلة به إلى الدور الوظيفي للذاكرة العاملة في المعرفة الخاصة بالتعلم والتفكير المنطقي والفهم، إذن الذاكرة العاملة هي نظام محدود القدرة، يسمح بتخزين المعلومات تخزيناً مؤقتاً ويعالجها.

وقد ركزت عليها الدراسات الخاصة⁽¹⁾ بالأطفال الذين يعانون صعوبات التعلم وقد توصلت الأبحاث الفرعية لصعوبات التعلم أن العجز في الذاكرة العاملة يكمن وراء الصعوبات التي تواجه الطلاب الذين يعانون صعوبات القراءة .

قدم العديد من علماء النفس مختلف النماذج التي تحاول تفسير عملية اكتساب المعلومات وتخزينها واسترجاعها ووفقاً لبعض العلماء، فإن عملية الحصول على المعلومات يمر عبر ثلاثة مجالات رئيسية هي: ذاكرة المدى القصير، والذاكرة العاملة، وذاكرة المدى الطويل، وذاكرة المدى القصير يمكنها تخزين المعلومات لفترة قصيرة جداً من الزمن (في ثوان) علاوة على ذلك، تفقد المعلومات ولا يمكن أن تسترد مرة أخرى، لكن بعض المعلومات تصل إلى الذاكرة العاملة التي تعد "محنة الذاكرة التالية"⁽²⁾ .

ويرتبط عمل الذاكرة في وقت واحد مع تخزين المعلومات ومعالجتها بصورة مؤقتة، وترتبط مختلف مكونات الذاكرة العاملة مع وظائف مختلفة، وبالتالي الذاكرة العاملة ومكوناتها هي المسؤولة عن الإدراك، والانتباه والحفاظ على المعلومات واسترجاعها، وتنفيذ مختلف الوظائف البصرية/ المكانية، مثل: المحافظة على الاتجاه في المكان، والمحافظة على تتبع التغيرات في المجال البصري بمرور الوقت، ويحدث هذا بفضل هذا المكون، وهكذا بعد أن تعالج المعلومات فإنها تصل إلى ذاكرة المدى الطويل، حيث يتم تخزينها.

وتشير عقود من البحوث حول صعوبات التعلم وخلل الوظائف المعرفية إلى أهمية الذاكرة العاملة في معالجة المعلومات وتخزينها، وأن هناك ارتباط قوي بين كفاءة عمل الذاكرة العاملة وقدرة الفرد على معالجة المعلومات، كما أن لدى

الأشخاص الذين يعانون ضعف القراءة ذاكرة عاملة ذات سعة صغيرة، وهذه القدرة ليست محددة تماماً للقراء وبالتالي نرى أن لدى ضعاف القراءة ذاكرة عاملة ضعيفة مقارنة بالقراء الماهرين وليس نتيجة لضعف مهارات القراءة ولكن لأن لديهم سعة أقل في الذاكرة العاملة للأداء الصحيح للقراءة وللمهام الأخرى.

وتشير النتائج التي توصلت إليها البحوث على (3) مدى عقدين من الزمن إلى الارتباط بين الخلل في الذاكرة العاملة وبين المشكلات الأساسية للأطفال والبالغين الذين يعانون صعوبات التعلم، حيث تهدف هذه الدراسة إلى نشر التوعية ومساعدة ذوي الإعاقات التعليمية، وإفادة الباحثين في مجال التربية وعلم النفس والمعنيين بالنواحي المعرفية ولا سيما إستراتيجية معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم وفهم أعمق لكثير من العمليات المعرفية والعقلية وكيفية تناول المعلومات ومعالجتها.

عامة نستطيع القول أن وجود علاقة قوية بين الذاكرة العاملة وصعوبات التعلم، يتطلب منا القيام بالمزيد للتحسين من الاستراتيجيات المعرفية مثل: فن الاستذكار، ومحفزات الذاكرة Mnemonies والكلمات الرئيسية والتي ثبتت فعاليتها في تخفيف عبء العمل على الذاكرة وهذا يساعد الأفراد لاستعادة تذكر المعلومات القديمة بسهولة، وأن يركزوا اهتمامهم على معالجة المعلومات الجديدة، كما يمكن أن يكون لذلك تغذية راجعة إيجابية وأساليب الدعم لتعزيز إنتاجية الذاكرة العاملة، ويؤدي إلى حدوث تحسن عام في الإنجاز الكلي للفرد⁽⁴⁾.

وتعد هذه الدراسة هامة في مجال علم النفس المعرفي بصفة خاصة ومجال البحث بصفة عامة وذلك بإلقاء الضوء على كيفية ترميز ومعالجة المعلومات في الذاكرة العاملة وإستعادتها لدى ذوي صعوبات التعلم وكونها تفتح مجالاً واسعاً أمام الدارسين والباحثين من أجل إجراء المزيد من الدراسات والبحوث في هذا الموضوع.

و تبرز مشكلة هذه الدراسة في الكشف عن العلاقة بين كيفية معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة وعلاقتها بصعوبات التعلم الذي يدفعنا إلى طرح التساؤل الرئيسي التالي: "ما هي علاقة إستراتيجية معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة بذوي صعوبات التعلم؟"

2- الإطار المفاهيمي للبحث:

أ. مفهوم معالجة المعلومات:

تشير كلمة معالجة **Processing**: إلى أي نوع من التحول يحدث للمعلومات التي تأتي من خلال الأحداث الحسية، وتتضمن هذه الأحداث ما يدخل الجهاز العصبي، وأيضا ما مثل مسبقاً وما عولج في الجهاز العصبي.

وبذلك يعرفها **الشرقاوي (1974)**: أن معالجة المعلومات هي مجموعة من الإجراءات أو العمليات التي تحدث منذ تعرض الفرد للمثير حتى ظهور الاستجابة، وينظر إلى كل عملية عقلية على أنها إجراء ناشئ عن المعلومات التي توصل إليها سواء من الإجراءات السابق حدوثها داخل إطار هذه العملية العقلية أم من المثيرات ذاتها.

ويعرف **فضل (1999)** معالجة المعلومات بأنها " مجموعة من العمليات المعرفية التي تحدث بين المدخلات (المثيرات) والمخرجات (الاستجابات) التي تتأثر بالعديد من العوامل سواء منها البيولوجية أو العصبية أو السيكلوجية لاسيما المعرفية منها التي يمكن تضمينها في مجموعة مراحل المعالجة المختلفة"⁽⁵⁾.

مفهوم الذاكرة العاملة:

وقد عرض مفهوم الذاكرة العاملة للمرة الأولى على يد "ميلر وجالانتر" (Miller&Galanter,1960) في كتاب "تخطيط السلوك وبناءه" وقد استخدم هذا المفهوم في علوم الحاسبات والدراسات الخاصة بتعلم الحيوان، وانتقل هذا المصطلح بعد ذلك إلى علم النفس المعرفي ليشير إلى النظم المعينة بحفظ المعلومات ومعالجتها، ثم طبق **تكسون وشيفرين (1968)** المصطلح نفسه على المخزن قصير

المدى الذي أطلق عليه المخزن الوحيد، وعد الذاكرة نظاماً وحيداً لا يشمل على أي أجهزة فرعية، ويرى كل، من (Alan, Susan, Martin&Petor,1993) أن مفهوم الذاكرة العاملة يرجع إلى سنين عدة حينما اهتم بها علماء علم النفس المعرفي من أجل تطويرها مفترضين أن الأطفال لم يستخدموا الاسترجاع اللفظي حتى سن سبع سنوات، وأن هذا الافتراض أثر تأثيراً قوياً في أفكار المتخصصين⁽⁶⁾ مثل "فيجوتسكي" (Vygotsky, 1962) الذي وصف عملية التطور خلال الكلام المعلن الذاتي مثل الكلام الداخلي في أثناء الطفولة .

وأنه يمكن عدّها جهازاً واحداً لمصادر متعددة الأغراض تستخدم في العمليات المعرفية المتنوعة في المجالات المختلفة، ولحفظ الصور العقلية للمعلومات عن أي مهمة مؤقتة .

وقد عرفها باديلي (1986): بأنها مصدر للمعالجة المحدودة السعة تتضمن الاحتفاظ بالمعلومات في الوقت الذي تعالج فيه معلومات أخرى أي مواصلة لبعض⁽⁷⁾ المعلومات في أثناء معالجة معلومات أخرى.

ج . مفهوم صعوبات التعلم:

قدم المجلس الأمريكي الوطني المشترك لصعوبات التعلم National Joint (Council fo Learning Disabilities) في سنة(1994) تعريفاً ينص: على أن صعوبات التعلم هي مصطلح عام يشير إلى مجموعة غير متجانسة من الإضطرابات تعبر عن نفسها من خلال صعوبات دالة في إكتساب قدرات الإستماع أوالحديث أو القراءة أو الكتابة أو الإستدلال أو القدرات الرياضية وإستخدامها.

وتعرف صعوبات التعلم: بأنها مجموعة من الاضطرابات النمائية المختلفة وغير المتجانسة الموجودة لدى بعض الأفراد، ترجع هذه الاضطرابات الذاتية (الموجودة داخل الأفراد) إلى قصور وظيفي في الجهاز المركزي، ويؤثر سلباً على قدرتهم في استقبال المعلومات والتعامل معها والتعبير عنها مما يسبب لهم صعوبات

في القدرة على الكلام والإصغاء والقراءة والكتابة والفهم، والتهجئة والاستدلال والحساب، كما تؤثر تلك الصعوبات سلباً على جوانب⁽⁸⁾ أخرى مثل: الانتباه، والذاكرة، والتفكير، والمهارات الاجتماعية، والنمو الانفعالي.

3. مراحل معالجة المعلومات:

معالجة أي معلومة يتضمن مرورها بعدد من المراحل، فبينما يقدم مثير ما فإنه يبقى فترة قصيرة في مخزن الذاكرة الحسية، ثم ينتقل إلى مخزن الذاكرة قصيرة المدى، وتحتاج المعلومة الموجودة في هذا المخزن إلى بعض العمليات الخاصة مثل التنظيم والحفظ حتى تنتقل إلى مخزن الذاكرة طويلة المدى. وفيما يلي شرح للمكونات الأساسية لهذا النظام.

3-1- استراتيجيات تجهيز المعلومات في الذاكرة العاملة

أولاً: استقبال المعلومات وتمثل في (التسجيل الحسي والإدراك):

1- التسجيل الحسي Sensory Store:

تدخل المعلومات أو المثيرات، إلى مركز التخزين الحسي الذي لا يمثل مطلقاً وحدة مستقلة، فهناك تسجيل حسي لكل نوع من المثيرات أو المعلومات (تسجيل خاص بالمثيرات البصرية وآخر بالسمعية وثالث باللمسية... الخ)⁽⁹⁾ والألم... الخ.

وحتى إذا لم ينتبه الشخص فإن المعلومات التي تتلقاها حواسه تدخل في مخزن حسي يتمثل في أعضاء الحس (البصر، الأذن، الجلد، الأنف)، والصورة الحسية التي ترسم لدينا نتيجة كل نوع من الخبرة الحسية (البصرية والسمعية... الخ) تبقى جزءاً من الثانية ثم تبدأ بعدها في التلاشي. وقد أوضح بعض الباحثين حديثاً أن معالجة المعلومات التي تتم بسرعة شديدة (بين أقل من 0.25-0.50 من الثانية) تتم معاً بالتوازي، أما معالجة المعلومات⁽¹⁰⁾ التي تجري في وقت أطول تتم في مراحل متتابعة.

وتنحصر أهم وظائف نظام التسجيل الحسي في نقل صورة العالم الخارجي بدرجة كبيرة من الدقة والكمال كما تستقبلها حواس الإنسان، ومدة بقاء هذه الصورة العالم الخارجي بدرجة كبيرة من الدقة والكمال كما تستقبلها حواس الإنسان، ومدة بقاء هذه الصورة في العادة تتراوح ما بين 0.1:0.8 ثانية.

وهكذا يمكن القول إن التخزين الحسي يستطيع أن يستوعب قدراً كبيراً من المعلومات في فترة وجيزة، ولكن هذه المعلومات⁽¹¹⁾ تضعف وتتلاشى بسرعة بالإضافة إلى أن المعلومات التي يجري تخزينها في الذاكرة الحسية يمكن أن تستبدل بأية معلومات أخرى جديدة، بحيث تزيح هذه المعلومات الأخيرة تلك المعلومات السابقة لها لكي ندرکہا.

2- الإدراك Perception:

القارئ لقوانين الإدراك عند معالجة نظرية الجشطالت يجد أن هناك قوانين تنظم عملية الإدراك، مما يمكن للإنسان أن يدرك بعض المثيرات دون الأخرى، فإختلاط صوت المذيع في المذيع مع بعض الذبذبات الأخرى يعيق عملية الإدراك، وهذا الأمر مشابه لاختلاط الشكل والأرضية، كما أن مطابقة بعض المثيرات مع مألدى الإنسان من خبرة فيها ييسر عملية الإدراك.

وهذا يفسر عملية استجابة الأم لصياح ابنها الصغير في وسط ضجيج الأطفال الآخرين، وهكذا نلاحظ أن الإدراك عنصر مهم في انتقال الرسائل الخارجية.

ثانياً: تخزين المعلومات

1. الذاكرة قصيرة المدى Short Term Memory:

تجري فيها عملية تخزين المعلومات الواردة إليها من المثيرات التي يتعرض لها الفرد في المواقف السلوكية المختلفة للاستفادة منها في المواقف التالية، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه العملية محدودة في إمكاناتها حيث إنها تمثل الفترة الزمنية بين تقديم المثير واستدعائه التي لا تتعدى دقيقة واحدة، ويكون التخزين فيها تخزيناً مؤقتاً.

وأول من تحدث عن وجود ذاكرة قصيرة المدى وهو "ميلر" (Miller, 1967) حيث يرى أنه يمكن بسهولة تعرف طبيعة الذاكرة قصيرة المدى إذا فكرت فيما يحدث عندما يذكر لك رقم هاتف مرة واحدة، وربما تستطيع أن تحفظ الرقم من خلال التكرار، وإذا أردت أن تحتفظ به فترة أطول فعليك أن تستمر في التكرار من دون توقف، لأنك لو توقفت أو وجهت انتباهك لشيء آخر، ستجد أنك فقدت الرقم، ويرى كل من (Shiffrin & Atkinson) أن الذاكرة قصيرة المدى لا تستطيع الاحتفاظ بأكثر من 7 مقاطع من المعلومات، ولكن يمكن الحفاظ على هذه المقاطع فترة طويلة من خلال عملية التكرار أو التسميع الذاتي.

ويختلف نظام الذاكرة قصيرة المدى عن نظام التخزين الحسي، حيث يتحدد دور نظام الذاكرة قصيرة المدى التفسير أو الإدراك الفوري للأحداث التي يستقبلها الجهاز الحسي، بينما في النظام الحسي لا يتمكن الفرد من إدراك الصورة الكاملة للأحداث وللمثيرات، كما أن المعلومات تبقى في الذاكرة قصيرة المدى فترة زمنية غير محددة بواسطة عملية التكرار أو عملية التسميع، بينما لا يوجد ممارسة للتكرار أو التسميع في النظام الحسي.

الذاكرة قصيرة المدى تحمل المعلومات فقط للحظات قصيرة، غالباً أقل من 30 ثانية مالم يبذل الفرد نشاطاً قصدياً للاحتفاظ بهذه المعلومات، وهناك عدد من عمليات الضبط أو التحكم التي تحدث داخل الذاكرة قصيرة المدى التي يتوافر لها قدر من المرونة خلال معالجتها للمعلومات، وهذه العمليات تسهم في تركيز الانتباه، والتعامل مع المعلومات، وتنظيمها واسترجاعها، وبعض هذه العمليات تحدث حدوثاً ألياً والبعض الآخر شعورياً من الفرد.

كما أن عملية تحويل المعلومات إلى رمز أو شكل لتصبح أكثر استقراراً قد يكون لها أساس عصبي، وبالتالي فإن المعالجة التي تجري على المعلومات الموجودة في الذاكرة قصيرة المدى تستهلك بعضاً من سعتها وقدرتها، وبالتالي تصبح سعتها محدودة وعلى هذا فإنها تمثل عنق الزجاجة في نظام معالجة المعلومات.

ويستطيع الأشخاص عادة استرجاع الكلمات التي سمعوها فوراً، حتى إذا كانوا غير منتبهين لها تماماً، ومع ذلك فهم لا يستطيعون استرجاع⁽¹²⁾ الكلمات القليلة التي سمعوها منذ دقيقة أو أكثر.

وتوصي دراسات التذكر التي تعتمد على منهج الاستنباط (وصف الشخص لخبرته الذاتية) بأنه يمكن للأشخاص تخزين المعلومات ذات المعنى، أو الاحتفاظ بها لعدد من الثواني التالية لعرضها عليهم دون أي جهد، أي يمكن الاحتفاظ بها في مستوى التذكر قصير المدى.

الذاكرة طويلة المدى Long Term Memory:

ذاكرة المدى الطويل هي ذلك المخزن الكبير الذي يحتوي على الخبرات التي يحتفظ بها الإنسان طوال حياته يؤكد (Pavio) أن القيام بعملية ترميز المعلومات لتخزينها في الذاكرة طويلة المدى ترجع إلى مصادر فسيولوجية وسيكولوجية وعملية تخيلية غير لفظية بمعنى تخزينها على هيئة (صورة - صوت) وعمليات رمزية لفظية بمعنى تخزينها على هيئة (معاني كلمات)، ويمكن تخزينها واسترجاعها إما كصورة بصرية أو جملة لفظية.

وقد أكدت الأبحاث التي أجريت على الدماغ أن هناك اختلافاً بين الجانب الأيمن والجانب الأيسر من الدماغ، فالجانب الأيمن يختص بالعمليات التخيلية، والجانب الأيسر خاص بالعمليات اللفظية، ويعتمد وصول المعلومات إلى الذاكرة طويلة المدى على عوامل عدة تتعلق بالمعلومات وهي:

1. طول المعلومة.
2. محتوى المعلومة.
3. فرصة التعلم الأولى.
4. النشاط الحادث بين وحدات المعلومات المتعاقبة.

كما أن المعلومات التي تخزن في الذاكرة طويلة المدى ثم تنسى يرجع ذلك إلى وجود صعوبة في الاسترجاع أو يرجع إلى فقدانها. والتذكر طويل المدى يمكن الأشخاص من استدعاء عدد كبير من المعلومات ساعات وأياماً وأسابيع وسنوات، وأحياناً تذكر المعلومات دائماً وهذا المستوى لحدود لإتساعه، وإن كان العلماء يرون أنها محددة بمستوى العمر، فالطفل يمكنه أن يودع الخبرات في مخزن ذاكرته طويلة المدى كل المعلومات التي تبقى في الذاكرة أكثر من دقائق معدودة تدخل في نطاق نظام الذاكرة طويلة المدى، يشمل ذلك الخبرات المتعلمة كلها بما فيها قواعد اللغة التي يمارسها الفرد، مما جعل عملية تكوين المعلومات ومعالجتها على جانب كبير من الأهمية في تفسير كيفية اتصال الفرد بالعالم المحيط به والتعامل معه، حيث يتعلم الفرد في بعض المراحل الكثير من المعلومات والاحتفاظ بها في الذاكرة ثم استرجاعها في الموقف المناسب من خلال المسجل الحسي.

فمخزن الذاكرة المباشرة، تظل خاضعة لإدارة الإنسان وتحكمه، وتخضع لما نسميه الترشيح والترشيد، وقد تستبعد نهائياً من الذاكرة.

ثالثاً: استرجاع المعلومات Retrieval:

بعد أن تخزن المعلومات يتطلب من الشخص استرجاعها وجعلها جاهزة للاستعمال، وهذا ما نطلق عليه التذكر، وتنقسم عملية التذكر إلى نوعين هما:

1. التعرف Recognition:

هو قدرة الشخص على استرجاع المعلومات من دون عناء وجهد بسبب الاستعانة بما يعرض عليه منها في أثناء تعرفها مثال: (لاستطيع تذكر اسم زميل لك كان يقعد بجوارك في المرحلة الابتدائية، ولكن المهمة تكون سهلة عندما تقدم لك بضعة أسماء، هو واحد منها، ويطلب إليك تحديد اسم هذا الزميل).

2. الاستدعاء Recall:

هو القدرة على استحضار المعلومات المخزنة عندما تستدعي عن طريق الاستعانة بمواد ترتبط يطلق عليها اسم "هاديات"، ويذكر "مهدي" (1993) أن الاستدعاء

يقصد به القدرة على تذكر معلومات على وجه السرعة، ومرتبطة بما يسمى مفتاحاً.

ويتضمن الاستدعاء نوعين:

أ. الاستدعاء المتسلسل **Serial Recall**: وهو تذكر مادة معينة بالترتيب نفسه.

ب. الاستدعاء الحر **Free Recall**: وهو تذكر مادة معينة بأي ترتيب المتوقع أن عناك فروقاً فردية في تذكر المعلومات المتاحة واستدعائها لدى الفرد، وقد انضح أن هذه الفروق ترجع إلى الفروق في الاستراتيجيات الخاصة بمعالجة المعلومات لا إلى قدرة الذاكرة.

وفي كثير من الأحيان يجري الاستدعاء بعيداً عن المثيرات الأصلية من العوامل المساعدة على الكيفية التي أدخلت فيها المعلومات إلى الذاكرة الطويلة المدى.

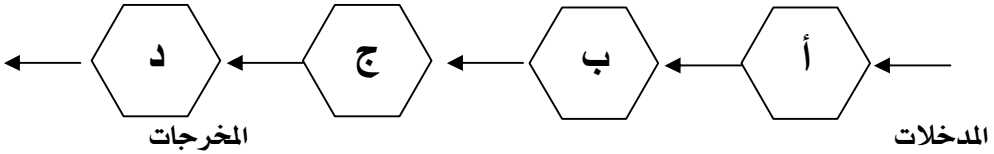
3-2- أنظمة معالجة المعلومات:

المعلومات التي تخزن في الذاكرة إما أنها معلومات منبثقة عن اللغة وتبادل الحديث بين الفرد والآخرين، **Processing** (التحليلية) في مقابل المعالجة الحسية وتتطلب المعالجة المعلوماتية وجود تنظيمات مختلفة للمراحل أو للمكونات التي يتألف منها تتوافق مع مرونة السلوك الإنساني، وتوجد ثلاثة أنواع من هذه التنظيمات:

أولاً: نظام المعالجة المتتابعة **Serial Processing System**:

هو أبسط نظام لمعالجة المعلومات، حيث يفسر عملية معالجة المعلومات بوصفها مراحل متعددة ترتبط معاً في شكل خط مستقيم يربط بين المدخلات والمخرجات، وكل مرحلة تؤدي دورها في سلسلة متتابعة بحيث لا يمكن

الإطلاع (3) (Corsini, R. J. 1994, :13) على المعلومات في آن واحد ويوضح الشكل التالي نموذج المعالجة المتتابعة.

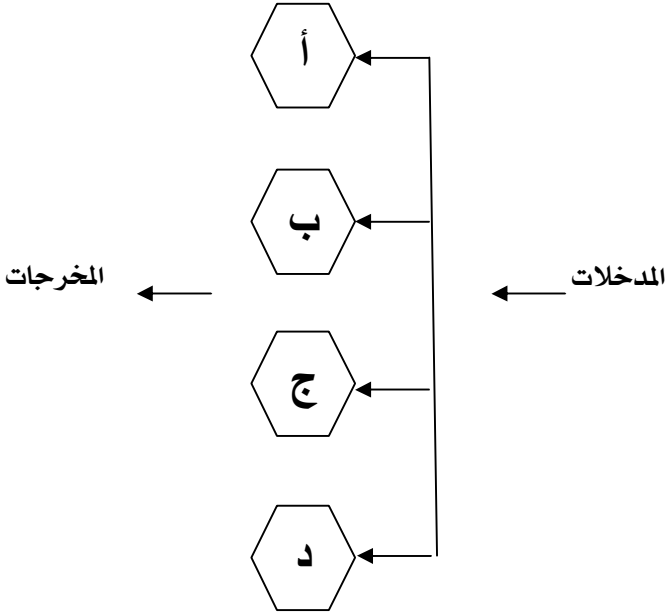


شكل (1) تنظيم المعالجة المتتابعة

ثانياً: نظام المعالجة المتآني (المتوازي) Parallel Processing:

يعرف (Townsend) النظام المتآني: بأنه نظام يعالج العناصر معالجة متوازية، وتستمر المعالجة بهذا الشكل المتوازي، ولكن ربما تجري عملية معالجة بعض العناصر الفردية في أوقات مختلفة. ويصور هذا النظام عملية المعالجة على اعتبار أن كل مرحلة من المراحل تحصل على المخرجات حصواً متوازيماً من دون انتظار لما ينتج عن المراحل السابقة من مخرجات.

ولقد فرق (Kant, 1933) بين المعالجة المتآنية والمعالجة المتتابعة، ففي المعالجة المتتابعة يستطيع الفرد التفكير في بعد واحد فقط، ولكنه يستطيع التفكير في أكثر من بعد الوقت نفسه في المعالجة المتآنية. كما يكمن الفرق بين نظام المعالجة المتآنية والمتتابعة في أن العامل الأساسي في نظام المعالجة المتآنية هو أن عملية تكوين المعلومات وتناولها تعتمد على عملية مسح شامل يقوم بها الفرد في الحال للمثيرات المقدمة إليه من دون اعتبار لموضع الجزء بالنسبة للكامل، لأن الهدف الأساسي لدى الفرد يتمثل في تسجيل أكبر عدد ممكن من وحدات المعلومات التي تعرض عليه، في حين نظام العرض المتتابع للمثيرات، على أن تكوين المعلومات وتناولها يجري في ترتيب تسلسلي، مما لا يمكن الفرد من إجراء عملية المسح الشامل للمثيرات كما يحدث في النظام المتآني (14).



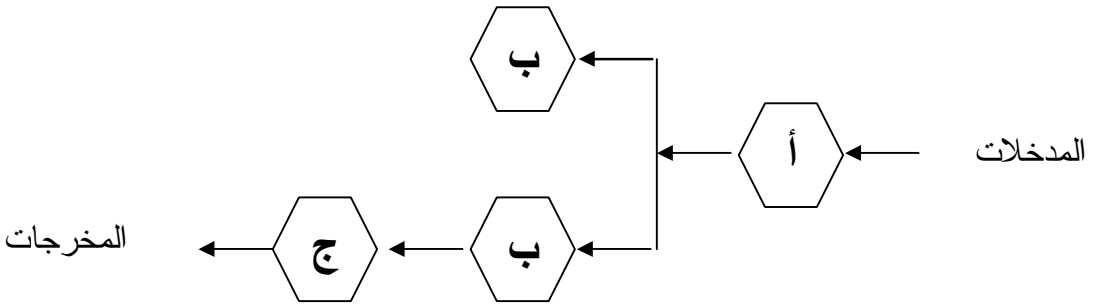
شكل (2) نموذج المعالجة المتأنية

ثالثاً: نظام المعالجة المزدوج Hybrid Processing System:

يعتمد هذا النظام على كل من النظام المتتابع والمتأني، ويعد هذا النموذج أقوى من النظامين السابقين، إلا أن ذلك يؤدي إلى صعوبة في قابلية هذا النظام في الفهم والتحليل.

ويفترض "نظام معالجة المعلومات" أن المعرفة يمكن تحليلها إلى سلسلة من المراحل أو الخطوات المتتابع، بحيث يمكن النظر إلى كل منها بوصفه فرضاً مستقلاً، تحدث خلاله مجموعة من العمليات الإجرائية الفريدة في نوعها بحيث تترك بصماتها على المعلومات الواردة من العالم الخارجي، ومن أمثلة هذه العمليات:

الإدراك، وترميز المعلومات، واستدعاؤها من الذاكرة، وتكوين المفاهيم، والحكم، وإنتاج اللغة، وتستقبل كل⁽¹⁵⁾ مرحلة المعلومات من المراحل السابقة عليها، ثم تقوم بموظيفتها الفريدة.



الشكل (3) نظام المعالجة المزدوج

العلاقة بين إستراتيجيات معالجة المعلومات في الذاكرة العاملة وعلاقتها بصعوبات التعلم:

إن ذوي صعوبات التعلم يعانون قيوداً على عمليات نوعية لتجهيز المعلومات المرتبطة بمجالات معرفية محددة، بالإضافة إلى أن المتتبع للدراسات المعرفية المعاصرة يلاحظ أنها تؤكد على أن عمليات تجهيز المعلومات أكثر حساسية للمحتوى المعرفي⁽¹⁶⁾.

إن عملية التعلم تجري في مستويات متتابعة يعتمد كل منها على الآخر، وهذه المستويات تبدأ بالانتباه ثم الإدراك ثم الذاكرة، فبعد الانتباه يدرك المثير، ويتعرف، ويسجل في الذاكرة العاملة التي تستدعي الخبرات السابقة المتصلة بالموضوع من الذاكرة طويلة المدى، حيث تجري عملية المقارنة والمعالجة للمثير بإعطائه معنى بناء على الخبرات السابقة، فكل هذه المكونات تعمل معاً في علاقة⁽¹⁷⁾ ديناميكية تفاعلية، وهذا ما يفقده الطلبة ذوي صعوبات التعلم ولا سيما

الذين يعانون اضطرابات الانتباه الانتقائي والمتواصل للمعلومات، وكذلك اضمحلالاً واختفاءً للمعلومات من الذاكرة العاملة ويكون نتيجة لذلك عدم قدرتهم على مواصلة التحصيل الدراسي .

أشارت نتائج الدراسات إلى وجود فروق دالة إحصائية بين الطلبة ذوي اضطراب الانتباه والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، وليس لديهم (18) (Stolz 11) اضطراب انتباه في نظام تجهيز سعة الذاكرة العاملة اللفظية وكفاءتها واستمرارها في اتجاه الطلبة ذوي صعوبات التعلم الذين ليس لديهم اضطراب في الانتباه. إن ضعف الانتباه يكون أحد المشكلات الأساسية لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم، وقد حلل (Vance, 1980) .

صعوبات التعلم من منظور العجز في الانتباه للمعلومة، وبين أنه من الممكن أن يعاني بعض الأطفال ذوي صعوبات التعلم وليس كلهم لديهم مشكلات في الانتباه، وأن هذا التصنيف للمشكلات يقود إلى مساعدة أكثر فاعلية للأطفال ذوي صعوبات التعلم⁽¹⁹⁾ ، أضيف إلى ذلك فإن الدراسة العلمية تدعم وجود علاقة بين اضطرابات الانتباه والمشكلات التعليمية، فمشكلات الانتباه تشكل عاملاً أساسياً من العوامل التي تكمن وراء تدني التحصيل لدى الأطفال، وهكذا فإن لم يكن الانتباه الانتقائي يعمل جيداً فسوف يواجه الطفل صعوبات في التعلم.

واهتمت أيضاً دراسة أخرى بالمقارنة بين الطلبة ذوي صعوبات التعلم والعاديين في الأداء على مهام الذاكرة العاملة والذاكرة قصيرة المدى، وذلك للتحقق مما إذا كان القصور لدى ذوي صعوبات التعلم له علاقة بعجز معين في الذاكرة العاملة، وذلك على عينة بلغت في مجملها (206) تلميذ وتلميذة طبق عليهم أربع مهام للذاكرة العاملة (التتابع البصري، ورسم الخرائط، واسترجاع القصة، وتعاقب الأرقام السمعي)، وخمس اختبارات لقياس الذاكرة قصيرة المدى، وبعد معالجة البيانات إحصائياً أشارت النتائج إلى أن أداء الذاكرة العاملة اللفظية

لدى الطلبة والتلميذات ذوي صعوبات التعلم أدنى من العاديين كما أن لدى الطلبة ذوي صعوبات التعلم قصوراً في الذاكرة العاملة والذاكرة قصيرة المدى.

وكانت دراسة⁽²⁰⁾ بهدف بحث الفروق بين ذوي صعوبات التعلم والعادين في الذاكرة العاملة والذاكرة قصيرة المدى وذاكرة الجمل، حيث تكونت عينة الدراسة من (30) طالباً منهم (15) ذكور ذوي صعوبات التعلم (15) من العاديين طبق عليهم الاختبار الفرعي لقياس الذاكرة قصيرة المدى المأخوذ من قياس الذاكرة ومقياس اتساع القدرات لقياس الذاكرة العاملة والاختبار الفرعي لقياس ذاكرة الجمل، وتوصلت الدراسة إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.50 في أداء الذاكرة قصيرة المدى والذاكرة العاملة في اتجاه العاديين، وأشارت الدراسة إلى أن الذاكرة العاملة اللفظية تعد إحدى الصعوبات التي تواجه ذوي صعوبات التعلم مقارنة بالعادين.

ودراسة هدفت إلى المقارنة بين مجموعتين من الطلبة ذوي اضطراب الانتباه وذوي صعوبات التعلم وليس لديهم اضطراب انتباه في نشاط الذاكرة العاملة اللفظية المرتبطة بمحل المشكلات الرياضية اللفظية، حيث بلغت مجموعة ذوي اضطراب الانتباه (38) تلميذاً، أما مجموعة ذوي صعوبات التعلم ليس لديهم اضطراب انتباه فبلغت (50) تلميذاً، وبعد معالجة البيانات إحصائياً، أشارت⁽²¹⁾ النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائية في نظام تجهيز الذاكرة العاملة اللفظية وسعتها في اتجاه ذوي صعوبات التعلم الذين ليس لديهم اضطراب في الانتباه، وأوضحت النتائج أن عملية الانتباه لدى الطلبة ذوي اضطراب الانتباه تؤثر وتتأثر تأثراً واضحاً بكفاءة الذاكرة العاملة.

وفي هذا الصدد أيضاً يوضح كل من أن ضعف عمليات تركيز الذاكرة لدى ذوي صعوبات التعلم تتمثل في استراتيجيات المعالجة والتشفير التي تعد من المحددات الرئيسية لتشخيص صعوبات التعلم، وذلك لأن المعالجة الجيدة والتشفير المنظم يمكن الفرد من زيادة قدرته على تخزين المعلومات وإمكان استرجاعها، أي أنها دالة للإستراتيجية التي يجهز ويعالج بها الفرد الوحدات المعرفية.

كما أوضحت دراسة⁽²²⁾: وجود اضطرابات في الذاكرة العاملة لدى ذوي صعوبات التعلم تبدو من خلال معالجتهم لمعظم المهام المعرفية من حيث سعة الذاكرة وكفاءة المعالجة، وأن 10٪ من ذوي صعوبات التعلم تتراوح أعمارهم بين (10-12) عاما ويظهرون صعوبات خاصة بالأداء في مهام سعة الذاكرة، وأن 33٪ من هؤلاء الأطفال يعانون ضعف سعة الذاكرة إلى جانب مشكلات في عمليات الذاكرة الأخرى، لذا فهو يوجه الاهتمام إلى ضرورة دراسة الذاكرة لدى ذوي صعوبات التعلم والتركيز على جوانب العجز والقصور في الاستراتيجيات الضرورية للمشاركة بنشاط في عملية التعلم كونه عجزا في الاستراتيجيات المستخدمة وليس عجز القدرات.

كما تؤكد هذه النتائج ما أشار إليه (Lynn et , 1984) من وجود عيوب في سعة الذاكرة لدى ذوي صعوبات التعلم ترجع إلى عدم استخدامهم استراتيجيات تشفير فعالة، وأيضا ما وجدته (Swanson, 1993) من أن الفرق بين الأطفال العاديين وذوي صعوبات التعلم يكمن في قيود عمليات تجهيز المعلومات وتخزينها في الذاكرة العاملة، وتشير (فوقية عبد الفتاح) إلى اعتماد الأنشطة المعرفية على الذاكرة العاملة، ومن ثم يتأثر مستوى التحصيل لدى ذوي صعوبات التعلم لمستوى كفاءة الذاكرة العاملة لديهم بعدها المسؤولة عن كفاءة التشفير للمعلومات ومنها القدرة على الاستخدام الواعي للإستراتيجيات المعالجة بما يتلاءم وطبيعة المهام، فهي تمثل نظاما يعمل على تشفير المعلومات وتجهيزها، وتحويلها إلى ذاكرة طويلة الأمد، لذلك فإن أي ضعف أو اضطراب في عمليات الذاكرة العاملة (تشفير، تخزين، واسترجاع) من المتوقع أن يؤدي إلى صعوبات في عدد من الأنشطة الأكاديمية على اختلاف صورها⁽²³⁾.

من هنا تتضح أهمية الذاكرة العاملة في التنبؤ بالفروق الفردية بين ذوي صعوبات التعلم والعاديين، ويوضح (baddeley) أن دائرة التوظيف في الذاكرة العاملة هي المسؤولة عن استبقاء المعلومات المقروءة أو المسموعة حيث أنها تتكون من مكونين ثانويين الأول هو مخزن الملفوظ حيث تحفظ المعلومات المقروءة أو

المسموعة حيث أنها تتكون ثم تتحلل ما لم تنشط بال تكرار، وهذا ما يشير إلى وجود عملية ثانوية معرفية من أجل استبقاء المعلومات الملفوظة داخل مخزن الملفوظ في حالة نشطه، ومن ثم فإن هذا المخزن يعتمد على مكون مستوى ثانوي آخر هو منظومة تسميع الملفوظ (Articulatory rehearsal system).

ويبدو أن هذا المكون الثانوي هو الذي يؤدي دورا جديا ومهما في صعوبات تعلم القراءة، حيث تحتاج هذه المهارة إلى أن يتنبه المتعلم إلى الكلمات التي يقرأها ثم يستخدم التكرار الداخلي الهمسي (subvocal rehearsal) لاستبقاء الكلمة التي قرأها نشطة في المخزن الملفوظ بالذاكرة العاملة، ثم يضيف إليها كلمة أخرى حتى تتم الجملة فيستطيع بناء معنى كامل لها، ويبدو أن الصعوبة تحدث لفقد الكلمات بمخزن الملفوظ لعدم استبقائها نشطة فيه حتى يربط بينها وبين الكلمات التالية فتصبح الكلمات منفصلة وعديمة المعنى فيما يتعلق بالمتعلم.

بشكل عام إن كل الدراسات السابقة بإختلاف عدد عيناتها ووسائلها تشير إلى أن إستراتيجيات تجهيز المعرفة ومعالجتها تشكل طريقة معالجة الشخص للمعلومات وكيفية إستقباله وتجهيزه وتخزينه لها ومن الملاحظ أن الذاكرة قصيرة المدى لذوي صعوبات التعلم أقل كفاءة وفاعلية بسبب الإفتقار إلى إشتقاق الإستراتيجيات الملائمة المتعلمة بالتسميع والتنظيم والترميز وتجهيز المعلومات ومعالجتها والإحتفاظ بها وتنفيذها حيث يستخدم ذوي صعوبات التعلم إستراتيجيات أقل فاعلية وكفاءة في إسترجاعهم للمعلومات من الذاكرة طويلة المدى، كما يفتقرون إلى مهارات الضبط والمراجعة الذاتية لتقويم فاعلية هذه الإستراتيجيات، كما أن أغلب الدراسات السابقة تناولت العلاقة بين سعة الذاكرة العاملة والفهم ولم تتناول المقارنة بين من يعانون صعوبة في الفهم وبين العاديين في سعة الذاكرة العاملة وأيضا الدراسات التي تناولت سعة الذاكرة العاملة وعلاقتها بالفهم عند الأطفال كانت قليلة.

خاتمة :

إن إستراتيجيات تجهيز المعرفة ومعالجتها تشكل طريقة معالجة الشخص للمعلومات وكيفية استقباله وتجهيزه لها أهمية كبرى في التذكر أو الاسترجاع التالي للمعلومات، وتتم عملية تجهيز المعلومات ومعالجتها بعدة مراحل (استقبال المعلومات وتجهيزها، والانتباه الإنتقائي، والترميز، والتسميع، والتنظيم، الاستعادة، والاسترجاع)

إن تجهيز المعلومات ومعالجتها يسهم في تسيير عملية التعلم، والتذكير الأسرع للمعلومات المتعلمة، كذلك فإن اشتقاق روابط بين أجزاء المادة المتعلمة، وبينها وبين المعلومات الماثلة في الذاكرة، والخبرات الجديدة، كل ذلك يجعل عملية التعلم ذات معنى، ويزيد من التذكر التالي للمعلومات.

وترتبط القدرة على التعلم إرتباطا مرتفعا بالذاكرة العاملة وهي واحدة من القدرات المعرفية الحاسمة والضرورية لمواصلة الإنتباه فالخلل في الذاكرة العاملة يرتبط إرتباط وثيق بخلل في التعلم ومن دون التدخل المبكر لا يمكن القضاء على خلل الذاكرة العاملة بمرور الوقت وسيستمر التدهور في الأداء، وإذا كان لدى الطفل صعوبة في معرفة المعلومة السمعية والبصرية واللمسية والحركية أو إستدعائها سوف يتأثر بهذا التصور وهكذا فإن الأساليب المفيدة لفهم مشكلة الذاكرة عند ذوي صعوبات التعلم ذلك الأسلوب الذي يركز على جوانب القصور في الإستراتيجيات الضرورية للمشاركة بنشاط في عملية التعلم.

❖ هوامش البحث

- (1) Baddeley, A. D, Exploring the central executive, **Quarterly Journal of Experimental Psychology**, 1996, P 05.
- (2) Johnston, R. Children's arithmetical difficulties: Contributions from processing speed, item indent Wcation, & short - term memory. **Journal of Experimental Child Psychology**, 1997, P 65.
- (3) Engle, R. W. Cantor, J., & Carullo, J. Engle, Individual divergences in working memory & comprehension: A test of four hypotheses. **Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, & Cognition**, 1992, P 18.
- (4) Swanson, L. and Siegel, L. Learning disabilities as a working memory deficit. **Issues in Education**, 2001, P07.
- (5) مسعد نجاح أبو الديار، الذاكرة العاملة وصعوبات التعلم، مركز تقويم وتعليم الطفل، الكويت، 2012، ص 49.
- (6) Colom, r&, shil, p,c. is working memory fractioned onto different components of intelligence, 2004, P 32.
- (7) Colom, r&, shil, previous reference, P 106.
- (8) مسعد نجاح أبو الديار، مرجع سبق ذكره ، ص 63.
- (9) مسعد نجاح أبو الديار، مرجع سبق ذكره ، ص 49 .

(10) السمادوني السيد، الإنتباه السمعي والبصري لذوي فرط النشاط الزائد دراسة ميدانية، المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري، تشثته ورعايته، مركز دراسات الطفولة ، 1990، المجلد الثاني، ص 936.

(11) إبراهيم زكي قشقوش، مدى فاعلية مفهوم المسؤولية في تناول الاضطرابات النفسية، وجهة نظر إنسانية في العلاج النفسي، حولية كلية التربية، الدوحة، كلية التربية جامعة قطر، 1985، العدد(4)، ص 281.

(12) الشرقاوي أنور، علم النفس المعرفي المعاصر، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 2003، ص 146.

(13) Corsini, R. J. (1994). *Encyclopedia of Psychology* 2nd ed., New York, p 3.

(14) الصبوة محمد نجيب، اضطرابات الذاكرة لدى الأطفال مراجعة نقدية، مجلة دراسات نفسية، 1999، ص 89.

(15) الحسانين محمد، العلاقة بين المعالجة المعرفية للمعلومات وبعض المتغيرات الشخصية والديموجرافية، دراسات نفسية، 1999، ص 09.

(16) السيد لطفي عبد الباسط، ، دراسة لبعض مسببات اضطراب نظام التجهيز لدى ذوي صعوبات التعلم، المجلة المصرية للدراسات النفسية، 2000، ص 10.

(17) Rohl, M. & Pratt, C., Phonological awareness, verbal working memory & the acquisition of literacy. *Reading & Writing: An*,1995,P 07.

(18) Stolz enberg, J. B. & Cherkes, - Julkowski, M: ADD, LD & extended information processing. *Memory & Cognition*, 1991,P11.

- (19) Swanson, H. L. & Berninger, V: The role of working memory in skilled & less skilled reader's comprehension. **Journal of Intelligence**,1995,P 21.
- (20) Isaki, E. & plante, E.. Short - term & working memory differences in language / Iwarning disabled & normal adults. **Journal of Communication Disorders**, 1997, P30.
- (21) Siegel, L. S., & Ryan, E. B, The development of working memory in normally achieving & subtypes of learning disabled children, **Child Development**, 1999, P 60.
- (22) Torgeson, J. k.. Studies of children with learning disabilities who perform poorly on memory span task, **J. learning disabilities**, 1988 , P 12.

(23) عبد الفتاح فوقية، سعة الذاكرة واستراتيجيات ومستويات التشفير لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية من ذوى صعوبات تعلم القراءة والعادين، المجلة المصرية للدراسات النفسية، 2004، ص 14.

التكنولوجيات الحديثة والبحث في علم النفس العصبي

-صعوبات تعلم الرياضيات نموذجا-

الدكتور: عبد الحفيظ زتشي ، الأستاذ: محمد أمين حجاج، جامعة الجزائر

الملخص:

إن التنوع في مناهج و أساليب البحث في العلوم النفسية يجعلها تزيد متانة من أجل الوصول إلى الأهداف المرجوة من الدراسة و التقصي في مختلف الظواهر النفسية، والتي تحتاج باستمرار إلى الكشف و التشخيص و التحليل و المعالجة، لكن الأهم من ذلك هو مدى التطوير و التحديث الذي يجب أن تحظى به هذه الأساليب حتى تسير العلوم الاجتماعية و العلوم الطبية و التي تبادلها المعلومة في مختلف مراحل البحث المشار إليها آنفا، فضلا عن أنها تعتبر شريكا مهما كونها تدرس العنصر البشري.

Résumé:

La multiplicité des approches et des méthodes de recherche en psychologie rend l'étude plus efficace, l'aide à atteindre les objectifs souhaités et à explorer les divers aspects psychologiques qui ont, sans cesse, besoin d'être diagnostiqués, analysés et traités. Mais, le plus important de tout cela, c'est le taux du développement et de modernisation dont devraient bénéficier ses méthodes pour pouvoir avoir une synergie avec les sciences médicales et les sciences exactes, qui échangent avec elle l'information à différents stades de la recherche mentionnées précédemment, ainsi qu'elles sont considérés comme un partenaire important qui étudie l'être humain.

1. مقدمة:

إن تعدد مناهج و أساليب البحث في علم النفس يقرب سبل الوصول إلى الأهداف المرجوة من الدراسة و التقصي في مختلف الظواهر، والتي تحتاج باستمرار إلى الكشف و التشخيص و التحليل و المعالجة، لكن الأهم من ذلك هو مدى التطوير و التحديث الذي يجب أن تحظى به هذه الأساليب حتى تساير العلوم الاجتماعية و العلوم الطبية التي تبادلها المعلومة في مختلف مراحل البحث المشار إليها آنفا، فضلا عن أنها تعتبر شريكا مهما كونها تدرس العنصر البشري.

و من أهم و احدث مظاهر التبادل هو ذلك الذي يجري بين علم النفس العصبي و العلوم الأخرى كطب الأعصاب و العلوم العصبية و المعلوماتية و يتعلق الأمر بالإثراء المتواصل بتفاصيل الحالات العيادية بما يخدم خطوات التشخيص و من ثمة القراءات الموسعة لنتائج الاختبارات النفسية وصولا إلى تقديم البرامج العلاجية الملائمة للحالات أو للاضطراب محل البحث.

و في هذا السياق أنجز هذا البحث للفت انتباه الدارسين في العلوم النفسية العيادية و خاصة على المستوى المحلي إلى أهمية إدراج تقنيات الكشف الطبية العصبية و كذا تكنولوجيا المعلوماتية في دراسة الحالات، لما في ذلك من أهمية في تسريع و تدقيق الوصول إلى التشخيص الملائم و الصحيح للحالات المدروسة و إعطائها صبغة أكثر علمية و موضوعية.

و إضافة إلى التفاصيل المتعلقة بشرح طرق البحث و التشخيص سواء في علم النفس العصبي أو في العلوم الطبية و العصبية، سنقدم جملة من الاضطرابات النفسية التي ترافق فيها التصوير الطبي و الفحص النفسي لتوضيح الأهمية البالغة لاستغلال هذه المعطيات في الوصول الأسرع و الأكثر موضوعية للاستنتاجات الملائمة حول الكثير من الأمراض النفسية.

2. إشكالية البحث:

يعتبر علم النفس العصبي من العلوم الحديثة والذي ظهر كعلم مستقل فقط خلال السنوات الأخيرة ففي أوائل الثمانينات لم يكن هذا العلم أحد التخصصات المحددة. ويتداخل هذا العلم مع العلوم العصبية neuroscience وهو الحقل الذي يدرس ويتعامل مع البنى العصبية والوظائف العصبية والتطور العصبي باستعمال علوم الحاسوب والإحصاء والفيزياء.

ويدرس علم النفس العصبي العلاقة بين السلوك والجهاز العصبي، ونحن ندرك صعوبة دراسة هذه العلاقة لتعقد السلوك البشري من جهة وتعقيدات الدماغ البشري من جهة أخرى، وعند تناول الباحثين العصبيين ودراساتهم للسلوك البشري وعلاقته بالجهاز العصبي باستعمال أدوات البحث المتداولة في العلوم الاجتماعية والإنسانية كالاختبارات والاستبيانات، وجدوا في كثير من الحالات قصور هذه الأدوات وعدم قدرتها على الإجابة على كثير من التساؤلات المطروحة، وعجزها على تفسير بعض الاضطرابات المعرفية كاضطراب الوظائف العليا من الإدراك والذاكرة والوظائف التنفيذية وغيرها.

من ناحية أخرى فمن المعروف لدى الباحثين أن الاختبارات وهي أهم أداة مستعملة في المجالات الإكلينيكية والمعرفية لها عيوب كتأثير الحالة المزاجية والخبرات السابقة للمفحوص وعدم دقة التقنين ومشكلات الاستخدام في مجال الطب النفسي، ومنها كذلك تأثير عامل المستوى العلمي العالي للمفحوص ومشكلات صدق وثبات الاختبار إلى غير ذلك من العيوب والتي تحد من قدرة هذه الأدوات والأساليب على تقديم صورة كاملة ودقيقة لميكانيزمات الوظائف المعرفية والاضطرابات العصبية.

ومن ناحية أخرى فإن أطباء الأعصاب Neurologues وعلماء النفس العصبي يعملون على الدراسة والبحث في هذه الوظائف والاضطرابات أثناء حدوثها (Observation in vivo) كدراسة الانتباه والإدراكات السمعية

والبصرية الذاكرة والوظائف التنفيذية وملاحظة التغيرات الدماغية أثناء ذلك ومعاينة الأنشطة الفيزيولوجية العصبية بشكل مباشر كما تحدث في الدماغ. ومن ثم استخلاص الاضطرابات السلوكية وعلاقتها بالإصابات في بعض المناطق الدماغية. فلا يمكن للوسائل التقليدية المعروفة أن تؤدي هذا الدور الرئيسي وتلي متطلبات البحث في هذه المجالات الدقيقة.

من ناحية ثانية فإن برامج الحاسوب أصبحت في الآونة الأخيرة تأخذ مكانة خاصة في أدوات البحث والتشخيص الإكلينيكي وخاصة مع دخول ما يعرف بالذكاء الاصطناعي Intelligence artificiel وقدرته على صياغة برامج حاسوبية متطورة لها القدرة على التعامل مع كثير من الأفراد بصورة مميزة وناجحة.

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هو: ما مدى ضرورة استغلال الصور الطبية العصبية و وسائل التكنولوجيا المعلوماتية كأحد أساليب البحث في علم النفس العصبي؟

3. تقنيات التصوير الدماغية:

3-1- التصوير العصبي المقطعي:

وتعرف أيضا بالتصوير العصبي التشريحي. تسعى إلى التعرف وتحديد وقياس أجزاء مختلفة من تشريح الجهاز العصبي المركزي. ومن جهة الممارسة الطبية، يمكنها تحديد موقع ومدى الضرر في الدماغ من أجل التشخيص أو الجراحة. ويمكن تقديم بعض أنواع أجهزة التصوير العصبي المقطعي:

1- التصوير بالرنين المغناطيسي (Magnetic resonance imaging MRI) : شكل

(01)

وهي وسيلة تصوير طبي لتوضيح التغييرات الباثولوجية في الأنسجة الحية. ويعتبر من الأجهزة الأكثر دقة ، حيث تستخدم هذه الأجهزة موجات إشعاعية ومجال مغناطيسي قوي أقوى من الأشعة السينية لتقديم صور واضحة ومفصلة للأعضاء والأنسجة الداخلية. وتعتبر تقنية التصوير بالرنين المغناطيسي من الوسائل المكلفة وغير متوفرة بشكل دائم في كثير من المستشفيات والمراكز الطبية.



شكل (01) جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي

على خلاف التصوير بالأشعة السينية فإن التصوير بالرنين المغناطيسي لا يستخدم أي نوع من الأشعة المؤينة وبالتالي فإنه لا يتصاحب مع مخاطر صحية، حيث أنه ليس من المعروف وجود أي مخاطر صحية على المستوى البعيد للتعرض إلى حقل مغناطيسي ساكن قوي ولكن هذا الأمر لا يزال موضع جدال وبحث علمي. ولذلك لا يوجد أي تحديد لعدد المرات التي من الممكن للمريض أن يتعرض لها للتصوير بالرنين المغناطيسي على خلاف التصوير بالأشعة السينية.

2- التصوير المقطعي المحوسب Tomodensitométrie (TDM) ويعرف كذلك بـ scanographie أو (CT = Computed Tomography):

وهي تقنية للتصوير الطبي التي تعتمد على الأشعة السينية (أشعة إكس) تستخدم في تكوين صورة ثلاثية الأبعاد لأعضاء الجسم الداخلية. وتتكون عن

طريق عدة صور ثنائية الأبعاد 2D أو ثلاثية الأبعاد 3D تلتقط حول محور ثابت للدوران.

3- تصوير طبي بأشعة جاما, tomographie d'émission monophotonique (TEMP) أو التصوير الطبي باستخدام فوتون واحد:

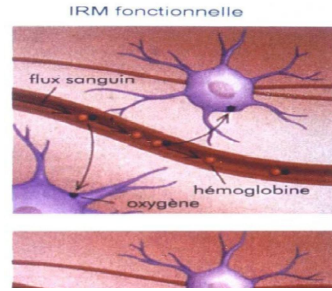
وميزة هذه الطريقة هي إعطائها صوراً مجسمة باستخدام كاميرات أشعة جاما. وتتكون تلك المعلومات عن طريق تصوير مقاطع من المريض، ويمكن تدوير الصورة الناتجة بعد ضم صور المقاطع أو الشرائح بالحاسوب لإظهار الصورة من جوانب مختلفة على شاشة الحاسوب.

3-2- التصوير العصبي الوظيفي:

تهدف تقنية التصوير الوظيفي إلى دراسة الدماغ وهو في حالة النشاط أو العمل. فباستعماله يمكننا معرفة المناطق النشطة التي تدخل في عمل وظيفة أو سلوك معين. ويمكن تقديم بعض أجهزة التصوير العصبي الوظيفي:

1- التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي: imagerie par résonance magnétique fonctionnelle (IRMf)

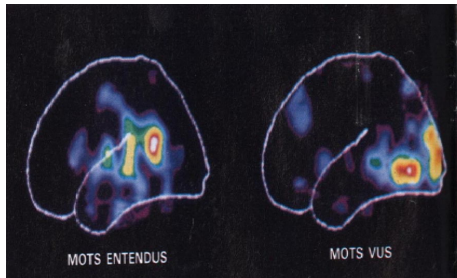
تمكننا هذه التقنية من الملاحظة بشكل مباشر النشاط الدماغي وهي تعتمد على تسجيل التغيرات في تدفق الدم في المناطق الدماغية المنبهة. وتحديد المناطق الدماغية النشطة يعتمد على تقنية تأثير BOLD (Blood Oxygen Level Dependant) وهي مغنطة خضاب الدم hémoglobine والموجود في كريات الدم الحمراء. شكل (02)



شكل (03) جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي

2- جهاز الأشعة المقطعية بالانبعاث البوزيتروني: TEP : Tomographie par Emission de Positrons

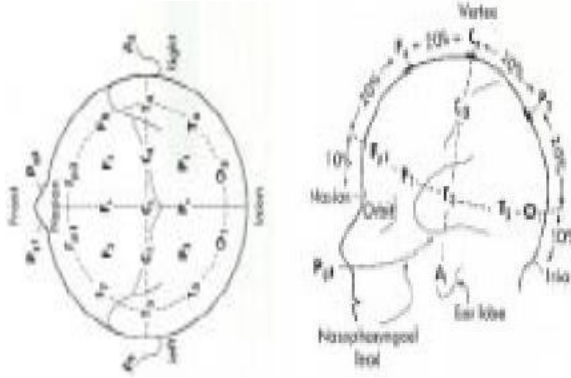
يمكن للأطباء استخدام الأشعة المقطعية بالانبعاث البوزيتروني للنظر لما هو أكثر من شكل وتركيب عضو ما . فبالنظر إلى النشاط الكيميائي والأضي (الوظيفي) للأنسجة، وبخاصة في داخل المخ، يمكن لهذا الأسلوب التصويري أن يقيم مدى جودة أداء العضو لعمله. يستخدم التصوير بإشعاع البوسيترون بشكل خاص في التحري عن أمراض الدماغ والقلب. شكل (04)



شكل (04) صور لجهاز TEP للكلمات المسموعة والمرئية

3- جهاز تخطيط أمواج الدماغ EEG (Electro-encephalographie) :

هي عملية تسجيل النشاط الكهربائي للعصبونات ضمن الدماغ. يستخدم تخطيط أمواج الدماغ في تطبيقات عديدة من أهمها تشخيص الصرع. شكل (05)



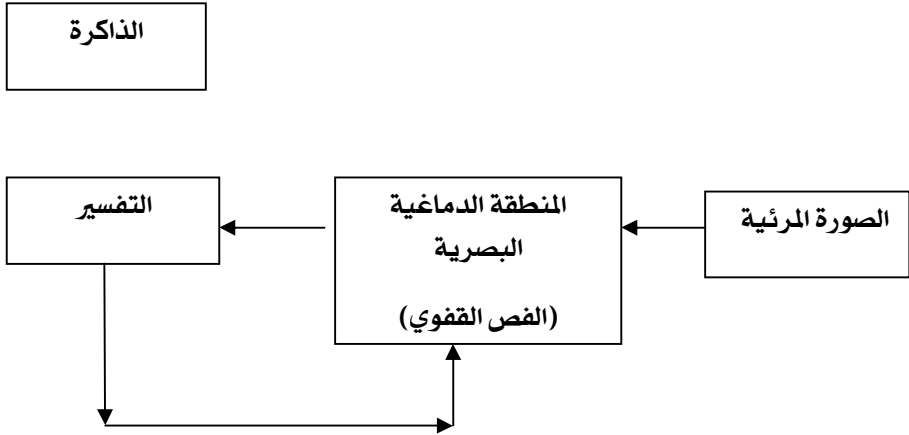
شكل (05) نوع من أنواع جهاز EEG ذات 10-20 قطب

4. الأسس العصبية لبعض الوظائف المعرفية :

1- الإدراك البصري:

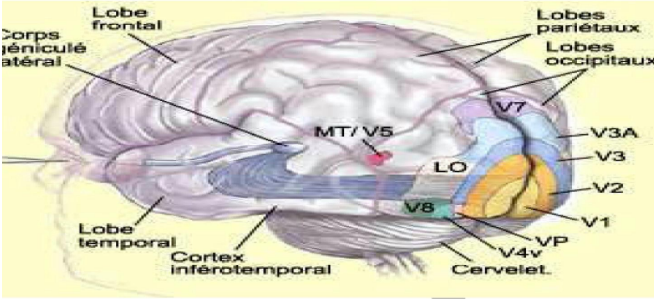
الإدراك البصري عملية مركبة من استقبال، دمج وتحليل المثيرات البصرية بواسطة فعاليات عقلية مركبة. فهو يتمثل عملية استيعاب، تنظيم وتحليل المعطيات الحسية البصرية مثل: الأشكال والأحجام والمسافات والصور. (شكل 06)

أما فؤاد بهي السيد فيعتبر أن " انطباع صور المرئيات على شبكية العين إحساس واتصال مؤثرات هذه المرئيات بالجهاز العصبي المركزي وتفسيره لها من ناحية الشكل واللون والحجم وتقديره لمعناها إدراك بصري" (بهي، 1998، ص123).



شكل (06): مراحل الإدراك البصري

بعد رؤية جسم معين تنتقل المثيرات البصرية الخارجية التي هي عبارة عن إشارات أو موجات كهرومغناطيسية (Ondes électromagnétiques) إلى العين، ثم ومن خلال مسارات عصبية بصرية التي تربط بين أجزاء من العين والدماغ تنتقل هذه الأمواج إلى الفص القفوي (Lobe occipital) من الدماغ وبالضبط إلى عدة باحات دماغية قد يصل عددها إلى 30 باحة. يتم استقبال المعلومات ومعالجتها بواسطة الباحات الأساسية V1 أو ما يسمى بالمنطقة الأولية رقم 17 (حسب تقسيم برودمان للمناطق الدماغية) ثم الباحات الثانوية (V2; V3) ... وفي هذه الباحات يكون إدراكنا البصري وهذا بإعطاء تفسيرات للجسم المرئي. شكل (07)



شكل (07): المناطق الدماغية المسؤولة عن الإدراك البصري

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن عملية الإدراك البصري تتدخل فيها عدة عمليات معرفية أخرى كالذاكرة - بشتى أنواعها - والانتباه والتركيز ... ومن هذا يأتي اختلاف إدراكنا للأشياء فهي عملية معرفية خاصة، فما يراه شخص جميل قد يراه غيره غير ذلك لتدخل الذاكرة في هذه العملية والتي تحوي على كل مخزوننا الحسي والوجداني والمعرفي. ومن هذا تأتي اختلاف ادراكاتنا البصرية.

من ناحية أخرى فإن كل هذه العمليات المعرفية يمكن متابعتها أثناء حدوثها باستعمال تقنيات التصوير الدماغية. ومن ثم يمكننا كذلك اكتشاف الخلل إن وجد اضطراب في الإدراك البصري عند بعض الحالات.

2- الذاكرة:

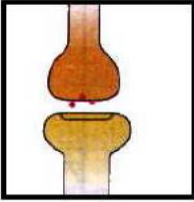
تعتبر الذاكرة من أهم الوظائف المعرفية الحاضرة في كل النشاطات المعرفية الأخرى. ولقد لاقى اهتمام واسع لدى الباحثين في مجال العلوم العصبية والمعرفية وعند المختصين في علم النفس العصبي. وتتم الذاكرة بمراحل ثلاثة معروفة: مرحلة الاكتساب أو التسجيل ثم مرحلة الاحتفاظ وأخير مرحلة الاسترجاع أو الاستعادة. وهناك عدة تقسيمات لأنواع الذاكرة أهم هذه التقسيمات ما يلي:

- Mémoire sensitive الذاكرة الحسية
 - Mémoire court terme الذاكرة قصيرة الأمد:
 - Mémoire long terme الذاكرة طويلة الأمد
- وفي الدماغ مناطق معروفة لدى الباحثين لها دور في الذاكرة نذكر تمت مراقبتها باستعمال وسائل وتقنيات التصوير الدماغية أهمها:
- الجهاز الطرفي : الجزء الداخلي من القشرة الصدغية
 - الجزء الأمامي من القشرة الجبهية: وتلعب هذه المنطقة دورا أساسيا في الذاكرة العاملة.
 - الجزء الخلفي من الهيپوتلاموس وله دور في ذاكرة الأحداث القريبة.
 - الأجسام الحلمية.
- وهناك أجزاء أخرى من الدماغ لا تقل أهمية عن الأجزاء السابقة كدور حصان البحر (Hippocampe) في الربط بين الذاكرة والزمن، وإصابة هذه المنطقة يعني عدم القدرة على بناء ذكريات جديدة متسلسلة زمنيا.
- من ناحية أخرى فإن الميكانزمات العصبية للذاكرة تتمثل في تغيرات تركيبية عصبية وكيميائية تحدث على مستوى الدماغ البشري. فإكتسابنا للمعلومات سواء كانت في الذاكرة قصيرة أو طويلة الأمد يكون مصحوبا بنشاط كهربائي كيميائي خلال مراحل الذاكرة الثلاث. وعملية تثبيت المعلومات وانتقالها من ذاكرة قصيرة المدى إلى طويلة المدى عن طريق التكرار يعني عند علماء الأعصاب تكون تراكيب عصبية جديدة بواسطة تكوين مشابك عصبية Synapse جديدة تربط بين مسارات عصبية لم يكن بينها اتصالات سابقة أو كانت هناك اتصالات لكنها ذات فعالية ضعيفة. شكل (08)
- ويمكننا أن نحدد أربعة تغيرات في الدماغ أثناء عملية اكتساب المعلومات:

- تغيرات في الخلايا العصبية.
- تكون أو زوال لمشابك عصبية.
- تغيرات في كمية الناقلات العصبية neurotransmetteurs
- تغيرات في سرعة وقوة السيالة العصبية بين ما قبل وما بعد المشابك (Force synaptique).

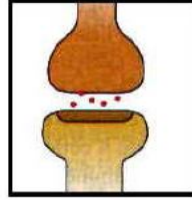
Avant l'apprentissage

Changements structuraux

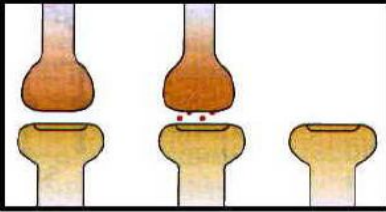


Après l'apprentissage

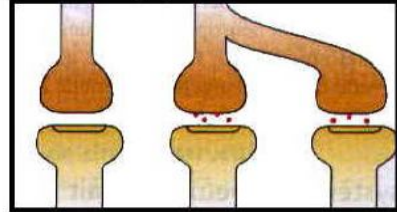
Aires pré- et postsynaptiques plus grandes



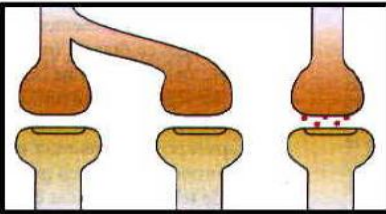
Changements structuraux



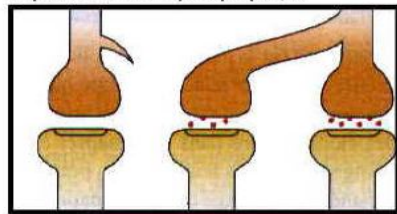
Des nouvelles synapses sont formées



Changements structuraux



Déplacement de l'input synaptique



شكل (08): التغيرات التي تحدث على مستوى المشابك أثناء عملية اكتساب المعلومات

بمعنى آخر فإن اضطرابات الذاكرة عند بعض الحالات يمكن الكشف عنها عن طريق تقنيات التصوير الدماغية ويمكن أحيانا معالجتها عن طريق تحفيزات وتنبيهات كيميائية أو تدريبات وتأهيل معرفي. ولهذا فإن هناك شبه إجماع عند الباحثين في هذا المجال أن الذاكرة طويلة الأمد عبارة عن تشكل دوائر عصبية دماغية، واضطراب هذه الذاكرة يعني تلف بعض العصبونات في الدماغ مما يصعب في كثير من الأحيان استرجاع مثل هذه الذاكرة، كما في حالات العته ومرض ألزهايمر.

ولهذا فمن الضروري على الباحث والمختص في العلوم الإنسانية إدراك أهمية استعمال تقنيات لتصوير الدماغ الحديثة وخاصة الدقيقة منها التي تعمل على مستوى المشابك العصبية. لأنها الوسائل الأنجع لدراسة بعض الحالات النفسية التي تعاني من اضطرابات الذاكرة.

5. التفسير العصبي لبعض الاضطرابات النفسية واستعمالات مختلف تقنيات التصوير الدماغية لذلك:

1- الاضطراب التوحدي: Autistic Disorder

بينت عدة أبحاث باستعمال أجهزة التصوير الدماغية علاقة اضطرابات التوحد باختلالات وتشوهات عصبية مختلفة يمكن أن نلخص أهمها:

أ- مشكلة النضج العصبي:

بينت العديد من الدراسات التي اعتمدت على التصوير المقطعي بالرنين المغناطيسي IRMF أن الكثير من الأطفال الذين يشخصون كتوحيدين لديهم بعض التشوهات التركيبية و التي تلحق بالمراحل العادية للنضج العصبي في المراحل النمائية الأولى للطفل، و قد تم التركيز على النمو العصبي للطفل منذ بداية التكوين الجنيني إلى آخر مراحل الرشد كعنصر مهم جدا لاضطراب التوحد.

ب- موت الخلايا المبرمج: L'poptose

اقترح العديد من الباحثين أن التوحد ناتج عن عملية تكوين عصبي غير عادية و أن هذا الاختلال هو الذي يفسر الاضطراب السلوكي، و منه أيضا يمكن تفسير انفرادية كل طفل في حالات التوحد، و حسب هؤلاء الباحثين فان حذف التفريعات التي تتسبب في أخطاء الاتصال العصبوني أو التي لم تهاجر إلى المناطق المسؤولة عنها، يؤدي إلى عدم ظهور العصبونات التي تحل محلها، و بالتالي فان هذا من أسباب ظهور الأعراض التوحدية.

ج- تكون مادة الميلين أو الملية *la myélinisation*:

إن الأبحاث المتعلقة بتطور الملية في مراحل الطفولة بينت أن أي اضطراب في عملية الملية تتسبب في تأخر و بطء جد مهم في النضج العصبي و ينجر على ذلك تأخر أو انقطاع في وصول السيالة العصبية في بعض الشبكات، و قد بينت أبحاث أخرى أن عمق الإصابة بالتوحد ذات ارتباط وثيق بمسار نمو مادة الميلين لدى العصبونات.

د- كبر حجم جذع الدماغ:

إن الدراسات التي أجريت بالتصوير بـ IRM لثمانية عشر طفلا توحديا متوسط أعمارهم ثلاثة سنوات و ثمانية أشهر، بينت أن هؤلاء الأطفال لديهم كبر نسبي في حجم جذع الدماغ، و هذا ما وافقته دراسة لنفس الفريق أجريت في سنوات موالية.

2- صعوبات التعلم الرياضيات:

2-1 تعريف:

الرياضيات حسب John Dewey " لغة المنطق وأن الرموز والعلاقات والأرقام تساعد على سرعة التفكير المنطقي ودقته ". (خير الله، 1980: ص384).

أما كول Cole فيعرف الرياضيات بأنها القدرة على استخدام النشاطات التجريدية والرموز. (خالد زيادة، 2005: ص 13).

فالرياضيات علم عقلي يعتمد على التجريد وعلى عمليات الاستدلال والتفكير فتتناول الأرقام على أنها رموز وتتناول الأشكال الهندسية على أنها مساحات وعلاقات. فتعلم الرياضيات أسلوب مهم من أساليب تنمية الإبداع والتفكير وتوسيع الخيال ودقة الملاحظة، كما تعمل على النضج المعرفي والإدراكي للفرد.

وقد تكون الطبيعة المجردة للرياضيات سبب من أسباب صعوبتها لدى البعض فتتطلب عملية تعليم مفاهيم الرياضيات كونها عمليات عقلية مجردة، ربطها بالحسوسات (أسامة محمد البطاينة وآخرون ، 2005: ص171).

أما صعوبات تعلم الرياضيات Mathematics Learning Disabilities أو العجز الرياضي أو العجز الرياضي النمائي Dyscalculia Développement فهي صعوبة بالغة في أداء العمليات الحسابية والاستنتاجات الرياضية أو في كيليهما، أو صعوبة تذكر الحقائق الحسابية من الذاكرة طويلة المدى وصعوبة حل المسائل الحسابية البسيطة والمعقدة. (خالد زيادة، 2005، ص13).

وبالرجوع إلى الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية DSM IV فقد أعطى ثلاثة مميزات لذوي صعوبات الحساب:

1- تأخر يظهر في الاختبارات المعيارية في الرياضيات بالنسبة للعمر.

2- هذا التأخر تدعمه النتائج المدرسية والنشاطات اليومية.

3- صعوبات الرياضيات ليست ناتجة عن خلل في الحواس.

2-2 البعد العصبي لصعوبات تعلم الرياضيات:

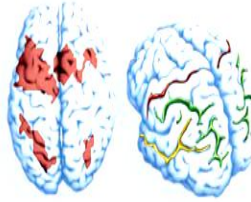
أوردت مجلة La recherche في عددها 379 أكتوبر 2004 دراسة حول صعوبات تعلم الرياضيات استخدمت فيها التصوير الدماغى باستعمال جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي IRMF لمعرفة المناطق الدماغية المسؤولة عن الحساب (أنظر الرسم رقم(09)) وأظهرت الصور الإشعاعية أن مناطق

موزعة بين الفص الجبهي و الجداري تكون نشطة أثناء أداء للعمليات الحسابية التالية: المقارنة، الجمع، الطرح، الضرب.

هناك منطقتين دماغيتين تتدخلان في عملية الحساب الذهني:

الأولى: غير لفظية مسؤولة عن إعطاء معنى للأرقام ومعالجة القيم وهي تشمل تجاعيد المنطقة الجدارية الداخلية (Sillon intrapariétal) وهي نشطة في كلا القصين .

الثانية: لفظية مسؤولة عن التخزين عند العمليات الحسابية (الجمع العادي وجداول الضرب).



شكل رقم (09): صورة للدماغ باستعمال IRMF

تبين أهم المناطق المسؤولة عن الحساب

وذكر طبيبياً الأعصاب Delavence Stanislas و Nicolas Molko وآخرون في دراسة عن صعوبات تعلم الرياضيات أن النمو غير الطبيعي للفص الصدغي نتيجة لعوامل وراثية أو بيئية قد يكون سبب لصعوبات تعلم الرياضيات عند الطفل .

وقد يؤثر هذا النمو غير الطبيعي على مسارات عصبية مما يفسر المصاحبة المتكررة لصعوبات تعلم الرياضيات مع اضطرابات نمائية أخرى .

2-3 استعمالات تقنيات التصوير الدماغية لتشخيص صعوبات تعلم الرياضيات:

انطلاقاً من التفسير العصبي لصعوبات تعلم الرياضيات عند كثير من الباحثين في علم النفس العصبي وأطباء الأعصاب، عمد هؤلاء إلى استعمال التقنيات الحديثة في التصوير الدماغية لتشخيص صعوبات التعلم ومنها صعوبات تعلم الرياضيات. ولقد لاقى هذه الدراسات نجاحاً ملحوظاً في التشخيص والتفسير وحتى في العلاج. ومن هذه الدراسات نذكر ما يلي:

أظهرت الصور المأخوذة بالتصوير بالرنين المغناطيسي IRM للشباب (J.S) ذو 18 سنة يعاني من صعوبات حادة في تعلم الرياضيات تشوه في المنطقة الجدارية السفلى اليسرى . (Stanislas Dehaene et autre,2004: P46)

تظهر نتائج دراسة مخبر التصوير-العصبي المعرفي neuro-imagerie cognitive في أورساي Orsay (بارسس) أن صعوبات تعلم الرياضيات النمائية التي تظهر عند الأطفال ذوي ذكاء عادي ويعيشون في وسط اجتماعي مستقر أن السبب في ذلك يعود إلى اضطراب إدراك الأرقام (Stanislas Dehaene et autre,2004: P42)

و تذكر Anna J.Wilson أن دراسات عديدة في التصوير الدماغية أظهرت دور جزء من القشرة الدماغية للفص الجداري و العمليات الحسابية مثل المقاربة و التقديرات العددية، الجمع والطرح،.....هذا الجزء يكون غالباً مصاب عند ذوي صعوبات تعلم الرياضيات نتيجة الإصابات الدماغية الوعائية (Anna J.Wilson, p33)

من هذه الدراسات وغيرها يتبين لنا جلياً دور التقنيات الحديثة و الوسائل التكنولوجية وخاصة تقنيات التصوير الطبي في تشخيص والكشف عن صعوبات تعلم الرياضيات. وهذا الدراسات سيكون لديها تأثير مباشر على أساليب العلاج

والتأهيل لذوي صعوبات التعلم وكذا الكشف المبكر لهذه الصعوبات مما يؤدي إلى يساعد على العلاج.

6. استعمالات التصوير الدماغية في علم النفس:

يقول الدكتور اسماعيل علوي: إن التطور الذي عرفه علم الأعصاب في السنين الأخيرة، وما ترتب عنه من توظيف واستخدام لتقنيات التصوير الدماغية، ساهم بشكل فعال في ابتعاد السيكلوجيا العلمية عن التأويل وملاحظة الأعراض ومن ثم، تأكيد مصداقيتها العلمية والمنهجية وإيجاد أرضية مناسبة للتعاون المشتركة والاستفادة بين علم النفس وعلم الأعصاب.

إن استعمالات التصوير العصبي المقطعي في مجال العلوم العصبية يقدم دليلا لتفسير الملاحظات السلوكية في علم النفس العصبي، وهذا بتحديد منطقة الإصابة الدماغية المسؤولة عن اضطراب وظيفة معرفية معينة.

ومؤخرا ونتيجة للزيادة المذهلة في دقة تقنيات التصوير العصبي المقطعي، استطاع الباحثون الربط بين حجم منطقة دماغية (أو حجم النيرونات العصبية) مع سلوكيات أو وظائف معرفية. فمثلا أظهرت دراسة أجريت في العاصمة البريطانية لندن أن المنطقة الدماغية المسؤولة عن الذاكرة الفضائية (la mémoire spatiale) وبالتحديد حصان البحر تكون أكبر عند سائقين سيارات الأجرة من المعدل العام.

إن التطور الذي شهدته العلوم العصبية وعلم النفس العصبي والتطور السريع في تكنولوجيات التصوير العصبي والدماغية أصبح بالإمكان تفسير كثير من السلوكيات والاضطرابات بالعودة إلى ميكانزمات عمل الدماغ والجهاز العصبي. وحتى يمكننا بعد عملية تشخيص الاضطرابات تأهيل أو علاج الحالات انطلاقا من فكرة الليونة أو المرونة العصبية التي يتميز بها الدماغ البشري.

فالأنشطة المعرفية والاجتماعية والوجدانية التي تصدر عن الفرد (الانفعال، اللغة، التواصل، الإدراك، الانتباه، الذاكرة، معالجة المعلومات، التعلم...) مرتبطة، على نحو وثيق بالأنشطة العصبية التي تحدث على مستوى

بنيات الدماغ، أي بكيمياء الدماغ والطريقة التي بموجبها تنتقل الإشارات العصبية بين مناطقه والتفاعل الذي يحدث بين وظائف تلك المناطق.

7. الخاتمة:

إن البحث في مجال العلوم الإنسانية ومنها علم النفس بجميع فروعِهِ يشهد تغيرات جذرية سواء في تقنيات البحث أو نظرنا للاضطرابات وتفسيرها ومعالجتها. والتطورات الحديثة التي تشهدها تقنيات البحث في علم النفس وإدخال التكنولوجيات الحديثة من شأنه أن يعمل على انتقال بعض فروع علم النفس من العلوم الإنسانية إلى العلوم المعرفية والعلوم العصبية. بمعنى آخر تصبح النتائج التي يتوصل إليها الباحثون والمختصون في هذه الفروع من علم النفس تتميز بأكثر دقة وأكثر مصداقية لاستعمالها وسائل وتقنيات دقيقة وفعالة. فكل العلوم التي استطاعت أن تدخل وسائل دقيقة أي أنها استعملت مفاهيم ووسائل تعتمد على الرياضيات والفيزياء انتقلت من علوم اجتماعية إلى علوم دقيقة كما حدث في بعض فروع الاقتصاد والتسيير.

إن على الباحثين في مجال علم النفس تجديد تقنيات البحث المستعملة حاليا وإدخال تقنيات ووسائل أكثر موضوعية ومصداقية ومنها تقنيات التصوير الدماغية وبرامج الحاسوب المتنوعة للتشخيص والعلاج وخاصة التي تستعمل الذكاء الاصطناعي وكذا وسائل الفحص الطبي. ويستلزم الأمر قبل هذا تجديد نظرتهم لعلم النفس وإحداث نوع من الثقلة النوعية للمنطلقات الفكرية والنظرية لأسباب الاضطرابات النفسية. مما يمكن هذا المجال من العلوم الانتقال من العلوم الإنسانية إلى العلوم الطبيعية والدقيقة وبذلك يقترب أكثر من عموم الناس وتصبح مفاهيم هذا العلم أكثر بساطة ووضوحا بعيدا عن المصطلحات الغامضة والعامية التي قد تكون سبب مباشر في عزوف كثير من الناس عن ولوج هذه العلوم أو التقرب إلى مخصيها للاستشارة أو العلاج.

المراجع:

- 1- محمد عبد الرحمان الشقيرات: (2005) مقدمة في علم النفس العصبي، دار الشروق.
- 2- أسامة محمد البطانية، مالك أحمد الرشدان: (2003) صعوبات تعلم النظرية والممارسة دار المسيرة.
- 3- اسماعيل العلوي، السيكلوجيا البيولوجية النوروبولوجية.
- 4- جمعية الطب النفسي الأمريكية: (2004) المرجع السريع إلى الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع المعدل للاضطرابات النفسية.
- 5- خالد زيادة: (2005) صعوبات تعلم الرياضيات (الديسكبوليا).
الدوريات والمجلات باللغة العربية :

- 1- زتشي عبد الحفيظ، حجاج محمد الأمين (2013): السيطرة الدماغية و علاقتها باضطراب الإدراك البصري لدى تلاميذ يعانون صعوبات تعلم الرياضيات. مجلة عالم التربية - العدد 42، الجزء الأول، السنة الرابعة عشرة - ابريل 2013، القاهرة.
الدوريات والمجلات باللغة الأجنبية:

6- ANNA J. WILSON - **Dyscalculie Développementale: L'Approche « Neurocognitive »**- FONDATION FYSSSEN -ANNALES N° 20

7- Stanislas Dehaene (2009) : **Origins of Mathematical Intuitions** - INSERM, Cognitive Neuro-imaging Unit, Annals of the New York Academy of Sciences, pp 232 – 259.

8-Stanislas Dehaene, Nicolas Molko et autre (2004) : **dyscalculie : le sens perdu des nombres**, LA RECHERCHE, OCTOBRE N° 379, pp 42-49.

9- Stanislas Dehaene, Nicolas Molko et autre (2004) : **arithmetic and the brain**, Current Opinion in Neurobiology, pp 219-224.

10-Eric R. Kandel, (2003) : La biologie moléculaire de la mémoire:un dialogue entre gènes et synapses, University, New York State.

الرسائل الجامعية:

10- حجاج محمد الأمين: (2011) -العلاقة بين السيطرة الدماغية واضطراب الإدراك البصري لدى تلاميذ من ذوي صعوبات تعلم الرياضيات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر-2.

مواقع الأنترنت:

<http://www.resodys.org/>
www.gulfkids.com
<http://www.web-us.com/>
<http://www.unicog.org/>
<http://www.ifr49.org/>

الدراسات الإعلامية

الاتصال الشخصي في عصر شبكات التواصل الاجتماعي

ضرورة اجتماعية في عالم متغير

الدكتور : جمال العيفة

جامعة عنابة، الجزائر

الملخص:

إن الحديث عن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي للتواصل بين الشعوب والأمم والثقافات سواء المتشابهة أو المتقاربة يظل في حاجة إلى مزيد من الاهتمام والدراسة، وإلى تجميع المعلومات وربطها وتنسيقها، ذلك أن مثل هذه التكنولوجيات حديثة العهد، لكنها عميقة التأثير، لواحقها وتطبيقاتها متسارعة الظهور والتطور، لذلك وجب عدم تفويت منافع الخدمات الجليلة التي تقدمها، والتي أضحت تتعدى في أدوارها ووظائفها العديد من المؤسسات التقليدية، لكن دون إغفال الأخيرة، حيث نجد الاتصال الشخصي الذي لا يخفى دوره في المجتمعات التقليدية والانتقالية التي تهيمن فيها الثقافة الشفوية والروابط الشخصية والعائلية التقليدية، حيث تتوفر مساحات واسعة داخل المجتمع لتوظيف هذا النمط الفعال من الاتصال، كالحملات الإعلامية وحملات التوعية والتحسيس وغيرها.

Abstract:

Talking about the use of social networks for communication between peoples, nations and cultures, whether similar or convergent remain in need of more attention and study, so that such technologies are newly, but it has a profound influence and applications emerge and evolve rapidly. So we should not miss the benefits of the great services its provide, and which has become beyond the roles and functions of many traditional institutions, but without losing sight of traditional institutions, where we find personal contact has an important role in traditional societies dominated by oral culture, personal and family ties, where spaces are available and wide within the community to employ this effective style of communication, such as media, awareness campaigns and others.

ظهر في السنوات الأخيرة على المستوى العالمي والعربي مصطلحات ما يسمى بالإعلام الجديد مقابل الإعلام التقليدي، مما جعل العديد من المهتمين والإعلاميين والخبراء يتفائلون بطريقة حذرة، ويتساءلون حول هوية هذا المولود الاتصالي الجديد، و دوره في توطيد العلاقات الاجتماعية، ومستقبله في القريب المنظور...؟.

حيث أصبحت هذه الوسائط تقدم للفرد العادي سلطات لم يكن ليطمح إليها سابقا، فنرى سلطة الاختيار وأسلوب الاستقبال، والتحقق من المصادقية والشفافية، وإنتاج مواد إعلامية مكتملة أو بديلة للإعلام التقليدي.

ووفقا للإحصائيات الدورية، وصل عدد مستخدمي الفايبروك في المنطقة العربية حتى منتصف العام 2012، إلى زهاء 45 مليون شخصاً، بما في ذلك صحفيين وقادة سياسيين وناشطين، في حين وصل عدد المدونين في المنطقة إلى 40 ألفاً⁽¹⁾.

من جهة أخرى نجد الاتصال الشخصي الذي لا يخفى دوره في المجتمعات التقليدية والانتقالية التي تهيمن فيها الثقافة الشفوية والروابط الشخصية والعائلية التقليدية، حيث تتوفر مساحات واسعة داخل المجتمع لتوظيف هذا النمط الفعال من الاتصال، كالحملات الإعلامية وحملات التوعية و التحسيس وغيرها... على الرغم من توفر هذه المجتمعات على أحدث التكنولوجيات التي تستخدم من خلالها شبكات التواصل الاجتماعي.

هل ستساهم الشبكات الاجتماعية في توطيد العلاقات الاجتماعية، وهل يمكن أن تحل محل الاتصال الشخصي التقليدي؟.

سنعالج هذا التساؤل من خلال العناصر التالية:

* تحديد مفهوم الاتصال الشخصي.

* مميزات الإعلام الجديد.

* دوافع استخدام الشبكات الاجتماعية على الإنترنت.

* استعراض كيفية تكييف عملية الاتصال الشخصي من خلال الوسيط التكنولوجي.

أولاً: الاتصال الشخصي

1. مفهوم الاتصال الشخصي:

الاتصال بين البشر ظاهرة إنسانية بدأت وتطورت مع نشأة الحياة الإنسانية وتطورها، فمنذ أن وُجد الإنسان بدأ الاتصال بزميله أو جاره أو زوجته أو صحبه أو أولاده وغيرهم من أعضاء الأسرة أو القبيلة أو المجتمع الموجود في ذلك الوقت. ويذهب بعض التخصّصين في الاتصال الإنساني إلى أن التطور الإنساني والحضارة بصفة عامة يرجع إلى عاملين أساسيين هما تطوير مهارات الاتصال وقدرة الإنسان على التنظيم⁽²⁾.

والاتصال الإنساني في أبسط أشكاله يعني نقل المعلومات والأفكار والاتجاهات من شخص إلى آخر، مرسل يرسل رسالة من خلال وسيلة إلى جمهور متلق بغرض تأثير ما⁽³⁾.

ويرى محمد عودة أن الاتصال الشخصي يعني التبادل الشخصي للمعلومات و الأفكار والأخبار التي تتم بين الأشخاص دون عوامل أو قنوات وسيطة، وفي هذه العملية يمثل أحد الشخصين دور المرسل، بينما يمثل الآخر دور المستقبل⁽⁴⁾.

ويرى دين بارنلاند Dean Barnland أن الاتصال الشخصي هو: "تفاعل الأفراد وجهها لوجه من خلال التبادل اللفظي وغير اللفظي للرموز في المواقف الاجتماعية غير الرسمية"⁽⁵⁾.

أما بيتر هارتلي Peter Hartley فيرى أن الاتصال الشخصي هو: لقاء يتضمن مشاركة اتصالية بين اثنين وجها لوجه⁽⁶⁾.

ويعرفه كل من نورمان ارنست.ج و بورمان نانسي Ernest.G. Bormann, Nancy. Bormann بأنه: "حوار بين عدد صغير من الأشخاص المتصلين مباشرة ببعضهم لتحقيق أهداف معينة"⁽⁷⁾.

وتشير جاكلين كار Carr, j إلى أن الاتصال الشخصي يتكون من عناصر ثلاثة هي:

أ- الأفراد: (مرسلون ومستقبلون) بما لديهم من اتجاهات ومعتقدات وقيم ومدركات وتقديرات لذاتهم.

ب- وسائل هؤلاء الأفراد: (لفظية وغير لفظية).

ج- البيئة: التي تشمل كل المؤسسات والمواقف الاجتماعية، وبما تنطوي عليه من ثقافة تؤثر في المواقف الاتصالية الشخصية⁽⁸⁾.

و يتصف الاتصال الشخصي عموما بوجود مجموعات صغيرة من الناس في ساحة صغيرة نسبيا، بحيث توجد الفرصة للتبادل الاتصالي للرسائل بين المصدر والمستقبل، وفيما بين المستقبلين أنفسهم⁽⁹⁾.

من خلال التعريفات السابقة يمكننا التأكيد على أن الاتصال الشخصي، يحدث داخل البيئة الاجتماعية التي تحتضنه ويتأثر بها، ويكون مرتبطا بالسياقات الاجتماعية المختلفة.

2. خصائص الاتصال الشخصي:

يتضمن الاتصال الشخصي مواجهة مباشرة بين المرسل والمستقبل دون وجود قنوات وسيطة، ومن أهم مميزاته:

أ- المرونة: تتجلى المرونة في عملية الاتصال الشخصي في كون التأثير المرتد أو رجع الصدى فيه كبير⁽¹⁰⁾.

ذلك أن رجوع الصدى لديه دور بالغ الأهمية، حيث يحيط المرسل علما بأن رسالته قد لاقت تفسيرا، كما أنه يحقق الانسجام بين المرسل والمستقبل، ويترك للمرسل فرصة لتعديل رسالته، مما يزيد من كفاءة هذا النمط من الاتصال في تحقيق درجة عالية من الإقناع.

وفي ضوء المرونة التي يتصف بها الاتصال الشخصي يرى روجرز أن المصادر الشخصية للمعلومات تكون هامة جدا في مرحلة التقييم الداخلة في نطاق عملية التبني للأفكار المستحدثة لعدة أسباب منها:

* أن الاتصال الشخصي يسمح بتبادل الأفكار من ناحيتين و الشخص الواقع عليه الاتصال (المتلقي) قد يحظى من القائم بالاتصال بمعلومات إضافية أو بتمحيص لهذه المعلومات التي تدور حول الفكرة المستحدثة.

* إمكان تصديق ما تأتي به المصادر الشخصية من معلومات، حيث أنه عندما يكون المصدر معروفا على نطاق واسع، فمن الأمور المتوقعة أن يُنظر إليه باعتباره جديرا بالثقة.

* قد يكون للاتصال الشخصي فاعلية أكبر في مواجهة أي معارضة للفكرة المستحدثة أو كره لها من جانب الشخص المتلقي، وذلك على العكس من المصادر غير الشخصية أو الجماهيرية التي يمكن أن تكون أكثر قابلية لأن يتحاشاها الإنسان أو يتجاهلها من المصادر الشخصية⁽¹¹⁾.

ب- التلقائية:

حيث يتم الاتصال الشخصي بشكل عفوي، غير مقصود وغير رسمي، أي لا تنظمه قواعد أو تقاليد أو سلطة، وعليه فالاتصال الشخصي يتميز بالخصائص التالية وفق هذا العنصر:

* عدم تقيده بقواعد وإجراءات مسبقة، إذ أن العملية بأكملها تتم عبر الاتصالات الشخصية اليومية للأفراد.

* أن الاتصال الشخصي يعتمد على وعي الفرد المشترك في العملية الاتصالية ومدى تقييمه للأمر.

* أن لقادة الرأي دور هام في هذه العملية التي تتم على مستوى كل الطبقات ولا تقتصر على طبقة محددة⁽¹²⁾.

غير أن العفوية لا تعني إطلاقا الصدفة، بل يمكن أن تخضع عملية الاتصال الشخصي للتخطيط المسبق.

2. نطاق الاتصال الشخصي:

إن فعالية الاتصال الشخصي بحكم طبيعته يرتبط بصغر حجم الجماعة التي يتم في إطارها الاتصال، وإذا ما تجاوز حجم جماعة الاتصال حدا معيناً تحول نمط الاتصال إلى الشكل الأقرب إلى الجماهيري، أو تُفتت الجماعة إلى جماعات اتصالية أصغر تمارس الاتصال الشخصي، وهذا ما أكدته العديد من تجارب علم النفس الاجتماعي.

وتشير نتائج بحوث علم النفس الاجتماعي أنه يصعب جدا إقامة تفاعل شخصي مباشر بين أفراد جماعة يزيد عدد أفرادها عن خمسة عشر فردا، وكلما قل العدد عن ذلك كان التفاعل أفضل.

وإذا زاد حجم الجماعة حدا معيناً لاحظنا أحد أمرين:

➤ إما أن تقسم الجماعة إلى أصغر، يتحادث أفراد كل شلة مع بعضهم البعض في موضوع أو آخر.

➤ أما إذا كان ثمة موضوع هام يجذب اهتمام أفراد الجماعة جميعا، وقد يكون هذا الموضوع هو السبب المعلن لاجتماعهم، فإنهم عند بلوغ الجماعة حدا معيناً يكفون عن الحديث معا ويبدؤون في الانتظام وفقا لقواعد اتصالية معينة: كالاستماع إلى محاضرة أو الموسيقى أو غير ذلك...

ذلك أن الاتصال الشخصي بحكم طبيعته يقتضي أن يتواجد أفراد جماعة الاتصال معا بحيث يتبادلون التأثير الاتصالي عن قرب⁽¹³⁾.

لكن مع ظهور شبكات التواصل الاجتماعي أصبح بإمكان التواصل المرئي عبر الهاتف أن يحاكي إلى حد بعيد عملية الاتصال الشخصي.

3. أهمية الاتصال الشخصي:

مما لا شك فيه أن الاتصال الشخصي يعتبر الأساس لأغلب العمليات الإعلامية والاتصالية في أي مجتمع. وتؤكد اتجاهات البحوث الحديثة أهمية الاتصال الشخصي، وتنسب إليه مقدرة عظيمة على التأثير في الأفراد قد تفوق أكثر بكثير وسائل الإعلام العامة.

وتعتبر المقدرة على ممارسة الاتصال الشخصي شرطا في نجاح العمليات الإعلامية المختلفة. وقد أجرى كانتريل وألبورت عدة تجارب لقياس قوة التجاوب لكل وسيلة من وسائل الاتصال، فكانت النتيجة هي فوز الاتصال الشخصي بالمرتبة الأولى.

ونستطيع القول بناء على هذه النتيجة أن الاتصال الشخصي يتمتع بقوة نفوذ وفاعلية في توجيه الأفراد قد تفوق قوة ونفوذ وفاعلية وسائل الاتصال الأخرى، وإن كان هذا لا يعني بأي حال من الأحوال التقليل من أهمية وتأثير وسائل الاتصال العامة، وذلك لأنها تؤدي دورا مكملًا لدور الاتصال الشخصي في توجيه الرأي العام.

ويحصر كل من أ. كاتز E.Katz و ب. ف لازارسفيلد Paul.F.Lazarsfeld العوامل التي تجعل من الاتصال الشخصي قوة لها تأثيرها وفعاليتها في توجيه الرأي العام فيما يلي:

أ. من السهل أن ينصرف الفرد عن المواد الإعلامية التي لا تتفق مع آرائه وميوله التي تنشرها أو تذيعها وسائل الاتصال الجماهيرية، بينما ليس من السهل أن يتجنب الفرد الحديث مع زميل أو قريب أو صديق له.

ب. يتيح النقاش المباشر مرونة أكبر في عرض وجهات النظر والتأثير في الأفراد.
ج. في حالة الاتصال الشخصي المباشر، يصبح من السهل تقدير رد الفعل مباشرة وتغيير أسلوب المواجهة تبعاً لذلك.

د. من السهل أن يقتنع الأفراد بوجهات نظر أفراد معروفين لديهم وموضع ثقة، بينما ليس من اليسير أن يقتنعوا بما يقوله أفراد مجهولين لديهم عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية.

هـ. يستطيع القائم بالاتصال الشخصي أن يحقق أهدافه بتصرفه النموذجي مع الفرد الذي يتصل به، دون حاجة إلى استخدام أسلوب التحريض المباشر الذي قد ينفر منه بعض الأفراد⁽¹⁴⁾.

وتبدو أهمية الاتصال الشخصي في ما تشير إليه الإحصائيات من أن هناك عشرون مليون اجتماع يوميًا بالولايات المتحدة الأمريكية؛ يتم فيها نقاش مختلف القضايا والآراء بين الأفراد والجماعات لاتخاذ القرارات المناسبة والوقوف على كل المستجدات، والتعرف على البيئة المحيطة⁽¹⁵⁾.

وقد أثبتت الدراسات أن 70٪ من اتصالاتنا اليومية تتم بالاتصال الشفوي المباشر، وأن من بين كل عشر دقائق نقضها في حالة يقظة هناك سبع دقائق نمارس فيها الاتصال الشخصي بشكل كبير⁽¹⁶⁾.

كما خلصت الدراسات إلى أن أكثر أنواع الاتصال تأثيراً هي الاتصال الشخصي المتمثل في المحادثات الشخصية في المرتبة الأولى، يليها المناقشات الجماعية، ثم الاجتماعات غير الرسمية في المرتبة الثالثة، وفي المرتبة الرابعة التلفزيون، يليه الاجتماعات الرسمية في المرتبة الخامسة، وكانت السينما والتليفون والإذاعة في المرتبة السادسة والسابعة والثامنة على التوالي.

ومما يزيد من قدرة الاتصال الشخصي التأثيرية تتمعه بقدرة فريدة على تحريك كل حواس الإنسان بخلاف الوسائل الأخرى⁽¹⁷⁾. كما تتأتى أهمية الاتصال الشخصي؛ ليس فقط من عجز الاتصال الرأسي الهابط عن الإقناع،

ولكن لأنه يتيح الفرصة المتكافئة أمام جميع الأفراد للتعبير عن آرائهم، حيث ينطوي الاتصال الشخصي على الحق في الاتصال وهو ما ورد في الفقرة (19) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، حيث أشار إلى أن كل فرد له الحق في حرية التعبير، وهذا الحق يشمل الحرية لاعتناق الآراء بلا تدخل، وكذلك الحرية في البحث عن المعلومات واستقبالها⁽¹⁸⁾.

كما يمكن رصد أهمية الاتصال الشخصي في ميدان العلاقات العامة لكسب العملاء والأصدقاء، ذلك أن الاتصال الشخصي يفتح مجالات للأخذ والرد بين أخصائي العلاقات العامة والشخص الذي يتصل به، ولذلك ينبغي عليه أن يقيم اتصالات شخصية لبقاة بقاء الرأي في المجتمع الذي تخدم في إطاره المؤسسة التي يعمل بها، كرجال الفكر والإعلام ورجال الدين والمعلمين ورؤساء الاتحادات العمالية وغيرها...

لأن هؤلاء لهم تأثير على عدد كبير من الجماهير، ويكونون العمود الفقري لاتجاهات المجتمع.

ولذلك يظل أقصى أمل لأخصائي العلاقات العامة أن يتصل بأفراد جمهوره فردا فردا لمعرفة اتجاهات وآراء كل واحد منهم تجاه المؤسسة التي يعمل بها، وعرض الحقائق عليه ومحاولة إقناعه والتفاهم معه⁽¹⁹⁾. أما في المجال السياسي فتبرز أهمية الاتصال الشخصي في عديد المواقف، منها ما أشارت إليها دراسة لازارسفيلد وزملائه سنة 1940 و التي أشارت إلى تفوق الاتصال الشخصي وقدرته التأثيرية على الناخبين، وأنه كان أكثر تأييدا وإقناعا في تأييد المرشحين.

وهو ما حدا بالرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون إلى زيادة كمية مناقشاته مع أفراد الشعب الأمريكي، وعقد لقاءات مستمرة معهم يتم من خلالها عرض الآراء والأفكار ومناقشتها قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية لسنة 1992.

4. قدرة الاتصال الشخصي على تغيير الاتجاهات والسلوك:

لا يماري أحد في أن التغييرات في الاتجاهات والأفعال مسألة في غاية الأهمية، ويؤدي الاتصال الشخصي دورا في هذا المجال، حيث يؤكد ويلبور شرام أن الاتصال المباشر من شخص لشخص حتى في أكثر الدول رقيا وتقدما يحظى بالأولوية على الوسائل الجماهيرية، ويرجع ذلك إلى أن عملية اتخاذ القرارات تحتاج في حالات كثيرة إلى حدوث تغييرات جذرية في الاتجاهات والمعتقدات والقواعد الاجتماعية التي يتمسك بها الأفراد، ويشدد تمسكهم بها، وليس هناك في بحوث الإعلام ما يثبت أو يشير إلى فاعلية وسائل الإعلام الجماهيرية في تغيير الاتجاهات الراسخة لدى الأفراد، بل أن دافيد ماننج وايت D.M.White يؤكد أن النتائج التي تراكمت من الحرب العالمية الثانية وحتى الآن أوضحت أن الآثار التي تمارسها الاتصالات الجماهيرية من حيث التغييرات في الآراء والاتجاهات والأفعال ضئيلة جدا على خلاف ما كان متوقعا⁽²⁰⁾.

وفي بعض الأحيان تعتبر لغة الاتصال الشخصي بين شخصين انعكاسا لنواياهما، وتنقل انطبعا لأحاسيس الفرد وقدرته على التصرف في الموقف، وقد أشارت بعض التجارب إلى أن الفرد في عملية الاتصال الشخصي، يكون تأثيره في التفاعل الاجتماعي وجها لوجه أكثر من الأشكال الأخرى للاتصال⁽²¹⁾. وفي السياق ذاته يرى بعض العلماء أن الاتصال الشخصي يؤثر على الأفراد ليس عن طريق ما يقال، ولكن أيضا عن طريق النفوذ الشخصي، عندما يكون مصدر التوجيه لا يقل في الأهمية عن المضمون ذاته⁽²²⁾.

من خلال ما سبق يمكننا التأكيد أن الاتصال الشخصي، تظل فاعليته وقدرته في تغيير السلوك نسبية، حسب الأشخاص والمواقف ومضامين الاتصال، وغيرها من المحددات التي يمكنها ضبط هذا النوع الهام من الاتصال.

ثانياً: شبكات التواصل الاجتماعي

إن شبكات المحادثة يمكن وصفها بأنها، تساعد على إنشاء صداقات وعلاقات بين الناس لهم هوايات متقاربة، وتشكل منهم تجمعات صغيرة تؤدي بدورها نشاطات مهمة لهم ولمن حولهم.

فمثلاً: متتدى قسم الإعلام يجمع في صفوفه مستويات متقاربة من الإعلاميين، يبحثون ويناقشون في مواضيع ذات اهتمام مشترك، وتنمي بالتالي قدراتهم المهنية والمعرفية، وكذلك شبكات النساء الإلكترونية التي غالباً ما تناقش هموم الأمومة والطفولة وشؤون المرأة، والعنف المنزلي ضدها في مختلف المجتمعات، وكذلك المنتديات الرياضية التي تعمل على تنمية طاقات الشباب وتسخيرها في رياضات متعددة، وتزيد من ثقافتهم الرياضية.

ولا يمكن إغفال حقيقة أن شبكات التواصل قربت المسافات بين الشعوب، وأصبح العالم بفضلها أقل من قرية صغيرة، فتدفقت المعلومات والأخبار من شتى أنحاء المعمورة، وازدهرت الثقافات والمعارف والعلوم، وساهمت في إنشاء علاقات حقيقية بين الناس⁽²³⁾. غير أن هذه القضايا تظل نسبية حسب توفر كل مجتمع على شبكة الانترنت ودرجة نفاذه فيها.

1. دوافع استخدام الشبكات الاجتماعية على الإنترنت

من المتعارف عليه أنه بظهور أي وسيلة إعلامية جديدة فإنها تساهم في خلق دوافع جديدة وإشباع جديدة وسط جماعات الجمهور المتنوعة، وبالتالي يتعين على الباحث تحديد هذه الأبعاد الجديدة لدوافع المستعملين وإشباع حاجاتهم، وبالرغم من أن دوافع استعمال الإنترنت - والشبكات الاجتماعية بصفة خاصة- قد تتنوع وسط الأفراد المستعملين والوضعيات والحركات الإعلامية، إلا أن معظم دراسات الاستعمالات و الإشباعات تبحث انطلاقاً من بعض أو كل الأبعاد التالية: الاسترخاء، والمرافقة، والعادة، وتمضية الوقت، الترفيه والتفاعل الاجتماعي، والمراقبة الإعلامية، والإثارة، والهروبية....⁽²⁴⁾.

يمكن حصر أهم الحاجات التي تدفع الأفراد لاستخدام مواقع الشبكات الاجتماعية في الآتي:

أ. اكتشاف الذات: بمعنى البحث عن كيف يكون رد فعل الآخرين خاصة عند الإنانث، وكيف يظهرن في عيون الناس، وهذا بفضل السرية التي يتميز بها استعمال الإنترنت، مما يدفع المستعملين إلى الكشف عن بعض مظاهر ذواتهم، لأن عواقب هذا الكشف منعدمة أو محدودة.

ب. التعويض الاجتماعي: أي تجاوز الخجل ونقائص الشخصية على العموم، وبصفة خاصة عند الإنانث والمنطوين نفسانيا.

ج. التيسير الاجتماعي: ويشير إلى أن استعمال الانترنت يسهل تكوين العلاقات الاجتماعية، وبصفة خاصة عند المراهقين الأكبر سنا، لأن المعروف هو أنه كلما تقدم المراهق في السن قل عدد أصدقائه⁽²⁵⁾.

د. التعلم و توسيع المعارف: هناك من يكون دافعه من المناقشة الإلكترونية تنمية معارفه وتطويرها في مجال معين، من خلال تبادل الخبرات والمعارف بين الأفراد.

هـ. استكشاف الهوية ولعب الأدوار (identity play): هناك من يعتمد إلى تغيير هويته للتعامل مع عدة أشخاص، ويستخدم شخصية مستعارة تختلف من فرد لآخر، لكي يتعرف على نظرة الناس ورأيهم عن تلك الشخصية التي قدمها لهم، وبالتالي فهو يحاول أن يكتشف مختلف الشخصيات، من خلال لعب أدوار مختلفة، فالعوالم الافتراضية تفسح المجال للفرد أن يضع هويته موضع استكشاف وتجريب، وذلك بأن يلعب دورا معيناً مع كل علاقة (...)، ولذلك أطلق بعض علماء النفس على هذه العوالم الافتراضية اسم ورشات هوية (identity work shops)، أو كما يسميها تومبسن "Thompson" مجتمعات كشف الذات "société de révélation de soi"⁽²⁶⁾.

وفي هذا الإطار يشير "Livingstone and Bober" إلى أن المراهقين الأكبر سنا يستعملون الإنترنت في غالب الأحيان من أجل الاتصال بشبكتهم الشخصية

القائمة، بينما المراهقون الأقل سنا فيستعملون الإنترنت من أجل الاتصال بالغرباء، ويلعبون بهوياتهم، بمعنى أنهم قد يؤديون أدوار هويات متعددة أثناء التفاعل مع الآخر.

و. تحقيق الإنتماء الاجتماعي (social involment): بحيث أن الفرد يحاول دائما أن يجد الجماعة التي لها نفس اهتماماته، ولها خصائص تتوافق مع شخصيته، وبالتالي فإن إشباع دافع الانتماء يؤدي إلى إقامة روابط اجتماعية وتوثيقها مع هؤلاء الأشخاص الذين يتصل بهم ويدردش معهم.

ي. التحرر العاطفي (emotional release): أو كما يسميه البعض التنفيس العاطفي، حيث يطلق الأفراد العنان لانفعالاتهم، ويعبرون بجرية عن المشاعر المكبوتة ويوحدون بكل ما كانوا يخفونه ويتسترون عليه.

ك. الاسترخاء والتخلص من الإحباط (relaxation): يمكن الاسترخاء والاستراحة عبر النقاش الإلكتروني، خاصة إذا ما كان الحديث يتم مع أشخاص لهم نفس الانشغالات والمشاكل، فالتعبير الحر يساعد كثيرا على التخلص من القلق والتوتر والإحباط، وتشير بعض المصادر أن هناك حوالي 06% من الأمريكيين المحبطين يمارسون العلاج بواسطة الانترنت (net-therapie) بمدة 10 ساعات يوميا، وهذا لأن النقاش مع أشخاص لهم نفس المشاكل والأسباب التي جعلتهم يصابون بهذا الشعور، يساعد كثيرا في نسيان هذه المشاكل والتخلص من تأثيرها ولو لوقت مؤقت.

ل. الحصول على المعلومات (information seeking): يستطيع الأفراد أن يتحصلوا على معلومات قيمة وهامة من خلال الاتصال مع الآخرين، ...

ف. الانتماء والمرافقة (inclusion/companioship): حيث أن المرء بطبعه الاجتماعي غالبا ما يبحث عن أصدقاء أو الجماعة التي يرافقها ويندمج فيها.

ق- تمضية الوقت (pass time): وهذا يكون في حالة الفراغ والإحساس بالضجر والقلق، مما يجعل الفرد يحاول أن يقتل الوقت بأي وسيلة.

هذا وقد ذهبت "برادلي" "Broadly" إلى تعريف الشبكات الاجتماعية على أنها: "موقع ويب، أو أي نوع آخر من الاتصال عبر الإنترنت الذي يسمح للأفراد بالتفاعل مع بعضهم البعض"⁽²⁷⁾.

2. إقامة علاقات جديدة:

سهل إنشاء الشبكات الاجتماعية على الإنترنت من إمكانية البحث عن صداقات مع أفراد من مختلف أنحاء العالم، إما من خلال الاسم، الوظيفة... وبالتالي بإمكان المستخدم ربط علاقات جديدة، مع أشخاص من مختلف الثقافات يقاسمونهم الأفكار والاهتمامات دون اعتبار لعوامل العرق أو الجنس أو الدين، وهذا ما تؤكدته الفكرة الأساسية التي يقوم عليها عمل الشبكات الاجتماعية على الإنترنت أي "الدرجات الست للانفصال" فهي تتيح إمكانية الاتصال بأي شخص في العالم عبر ست خطوات اجتماعية.

ومن هنا قد تنشأ إما علاقات حميمة تستمر لمدة طويلة أو علاقات عارضة تنتهي بمجرد نهاية اللقاء الأول، فالعلاقات العارضة هي التي يتبادل فيها أطراف العلاقة كلاماً يمكن أن يتبادله أي إنسان مع أي إنسان آخر، فليس فيها ما يوحي بوجود أهمية تذكر لهذه العلاقة بالنسبة لأي من المتحدثين، زد على ذلك أن هذه المحادثة تنقصها الموضوعات التي تتعلق بشخصية المتحدثين أو حتى بموضوع الحديث، أو بمعنى آخر لا يدلي أي من المتحدثين بمعلومات عن شخصيته وآرائه ومعتقداته إلا بشكل سطحي لا يعول عليه، كما نلاحظ بوضوح خلو هذه المحادثة من التعبير عن حقيقة ما يشعر المتحدثون.

ولكننا نلاحظ أن المشاركين في العلاقات الحميمة يتبادلون المعلومات فيما يتعلق بحياتهم الشخصية وآرائهم عن الحياة والموت و المرض، وشعورهم نحو الآخرين ونحو أنفسهم"⁽²⁸⁾.

وغالباً ما يتميز هذا النوع من العلاقات والتفاعلات الافتراضية بالعفوية، وصدق البيانات المتبادلة، خاصة ما كان منها شخصياً، بحيث يتم التعبير بحرية عن

كل شيء يرغب فيه أطراف هذه العلاقة، ومع استمرار الاتصالات بطريقة جديدة بين شخصين، تنشأ نوع من الثقة المتبادلة، والتي تتحول مع مرور الوقت إلى علاقة وطيدة، تنتهي في كثير من الأحيان بالالتقاء المباشر (وجها لوجه)، حتى ولو كانت مسافة طويلة تفصل بينهما⁽²⁹⁾.

وعادة ما تكون العلاقات الحميمة طويلة المدى حيث يسعى الطرفان للحفاظ على العلاقة، بينما العلاقات العارضة هي عادة قصيرة المدى، حتى إذا انتهت "فلن تكون لذلك إلا نتائج محدودة وخسائر شخصية يسيرة لأن هذه العلاقات... لا تحدد بوضوح التصور والأفعال التي يتوقعها الطرف الآخر، فإذا انزعجنا من شخص ما في إحدى اللقاءات الافتراضية فإننا يمكننا تجاهله بسهولة ووقف الاتصال به.

فالشباب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي يستفيد من الأنشطة والبرامج المتاحة له، ويتفاعل مع غيره من الناس من السلوك، ويكتسب خبرات إيجابية من خلال ذلك التفاعل والأنشطة، ويحاول أن ينمي لنفسه الإحساس بالمسؤولية والاعتماد على الذات من خلال هذه العمليات والأنشطة وهو يقوم بذلك من خلال المشاركة مع الآخرين من الجماعات الأخرى على صفحات الفيس بوك⁽³⁰⁾، من خلال هذه الأنشطة المتاحة، وبذلك يتبادل أنواعاً السلوك الإنساني مع غيره فيفيد ويستفيد من غيره.

ثالثاً: الاتصال الشخصي في عصر التقنية: الحقائق والتجليات

إن تحليل وضعية الاتصال الشخصي في مجتمع التقنية تستدعي معرفة السياق العام الذي يتحرك فيه هذا المجتمع، باعتباره ينتمي إلى مصاف مجتمعات العالم الثالث المتسمة بالتخلف في جميع مجالات الحياة.

فمعرفة بعض المؤشرات الاتصالية المتعلقة بالمجتمع العربي عموماً، سيساعدنا على استجلاء واقع وحقيقة الاتصال الشخصي في المجتمع الجزائري، مثل المستوى التعليمي، حجم امتلاك واستخدام وسائل الإعلام خاصة السمعية

البصرية. وفي هذا السياق يميز دانيال ليرنر Daniel Lerner في دراساته عن المجتمعات التقليدية بين ثلاثة أنواع من الأنساق الاجتماعية هي: الأنساق التقليدية والحديثة والانتقالية، واعتبر أن المعيار الحاسم في تصنيف المجتمعات المختلفة هو وسائل الاتصال من حيث:

مدى انتشارها، ونوعية المضمون الذي يروجه بين الناس، وهي الوسائل التي توظف من أجل تحقيق التكامل الاجتماعي، فالمجتمع التقليدي لا يعرف سوى وسائل الاتصال الشفهية، وتتخذ صورة التعليمات (الأوامر والنواهي)، أما النمط الحديث من المجتمعات فلديه العديد من وسائل الاتصال الجماهيرية؛ كالصحافة والسينما والإذاعة والتلفزيون التي تخاطب جمهورا كبيرا، والطابع العام على تلك الوسائل هو الطابع الإخباري وليس الإرشادي والتوجيهي، والمجتمعات الانتقالية تقع على مكان متصل Continuum يربط بين هذين النمطين⁽³¹⁾.

وفي المجتمع الشعبي تسيطر المناقشة على وسائل الاتصال الجماهيري، بينما تكون السيطرة لوسائل الاتصال الرسمية في المجتمع الجماهيري ويصبح الجمهور مجرد أسواق لوسائل الاتصال، فالجماهير تتعرض للمضامين والمحتويات التي تغطيها وسائل الاتصال. وبين هذين النموذجين نجد العديد من المجتمعات تقرب أو تبتعد عن أي منهما بنسب مختلفة⁽³²⁾.

ومن حيث التركيبة الاجتماعية نجد المجتمعات العربية، وعلى الرغم من بعض التحولات تؤدي فيه العائلة والقبيلة والطائفة دورا محسوسا في حياة الأفراد وسلوكهم، إذ تعتبر في بلدان عربية كثيرة واحدا من أهم مصادر التجنيد النخبوي على المستوى المركزي والمحلي⁽³³⁾.

كما أن الإنسان العربي عضو في عائلة أكثر منه فرد مستقل، فهو مسؤول عن تصرفات أفراد عائلته؛ بالإضافة إلى مسؤولياته عن تصرفاته الخاصة، وكون العائلة وحدة إنتاجية اجتماعية اقتصادية، يجعل القرارات شأنا عائليا وليس شأنا فرديا؛ خاصة في القرارات المتعلقة بالزواج والطلاق وتنشئة الأطفال.

كما يُفترض في العلاقات بين أعضاء الأسرة أن تقوم على التعاون والمودة والتضحيات أو الالتزام التام الشامل وغير المحدود في جميع المجالات ودون تحفظ⁽³⁴⁾.

ومن جهة أخرى يحتل الأب التقليدي قمة هرم السلطة في العائلة، فيتوجه إلى أفرادها بالأوامر والنصائح والإرشادات والتهديدات، بينما يتوجهون إليه هم بالاستجابة والتأكيد على الطاعة والاحترام. ومما يلفت النظر أن صورة الأب هذه تعممت في المجتمع، فينظر الناس بالمنظور نفسه إلى الأستاذ وصاحب العمل والقادة والحاكم وغيرهم، ويتصرف هؤلاء في مواقعهم وكأنهم الأب.

أما ما يتعلق بمؤشرات المستوى التعليمي والثقافي وانتشار وسائل الاتصال الجماهيرية، فإذا عقدنا مقارنة بين حالة التربية والتعليم في الدول المتقدمة والدول العربية نجد أن الطلبة في اليابان يدرسون فعليا 220 يوما من أصل 365 يوما وهو عدد أيام السنة، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فيدرسون فعليا 175 يوما من أصل 366 يوما، في حين أن الطالب في الدول العربية يدرس فقط 150 يوما في السنة⁽³⁵⁾.

أما عن مؤشر استهلاك ورق الصحف فقد تراجع في العالم العربي لكل فرد من 3.3 كغ سنة 1985 إلى 207 كغ سنة 1995، وفي الفترة نفسها ارتفع في أوروبا من 55.7 كغ إلى 82.2 كغ. تكشف أحدث الإحصاءات... أن الفرد الأوربي الواحد يقرأ بمعدل 35 كتاباً في السنة، أما في الدول العربية فإن كل 80 شخصاً يقرءون كتاباً واحداً في السنة⁽³⁶⁾.

وهو ما يؤكد ارتفاع نسبة من يعتمدون على سلوك المشاهدة في عالمنا العربي مقابل من يُقبلون على تجربة القراءة. أما عن المنشورات فتشير الإحصائيات إلى أن مصر وحدها تنشر من العناوين ما يعادل منشورات كل البلدان العربية.

وإذا قارنا بين إنتاجنا وإنتاج البلدان المصنفة التي لنا علاقات وطيدة معها، فإننا نلاحظ أن مصر تنشر كتابا لكل واحد وعشرين ألف نسمة (21000) في حين أن المملكة البريطانية تنشر كتابا لكل سبعة آلاف نسمة، أي ثلاثة أضعاف ما تصدره مصر، في حين أن تونس والجزائر والمغرب الأقصى تصدر كلها كتابا واحدا لكل سبعين ألف نسمة، وفرنسا كتابا واحدا لعشرة آلاف نسمة⁽³⁷⁾.

وقد كان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون شخص من العرب في السنوات الأولى من الثمانينيات يساوي حوالي 4.4 كتب أي أقل من كتاب واحد كل سنة، بينما بلغ 519 كتابا في المجر و920 كتابا في أسبانيا. ويؤكد تقرير التنمية البشرية العربية لعام 2011 أن الإنتاج الأدبي العربي يعاني من قلة عدد القراء بسبب الأمية وضعف القدرة الشرائية للقارئ العربي، فلا يتجاوز الإنتاج العربي في مجال الكتب 1.1% من الإنتاج العالمي على الرغم من أن العرب يشكلون 5% من عدد سكان العالم⁽³⁸⁾.

وتبين الإحصائيات التي صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن عدد الأميين في الوطن العربي بلغ 68 مليوناً أي ما نسبته 43% من عدد السكان، وأن المواطن العربي لا يقرأ أكثر من 7 دقائق في السنة، كما أن 90% من الطلبة العرب لا يمتلكون ثقافة معلوماتية.

وفي المقابل لم يكن هناك اهتمام كاف بالعديد من مظاهر الاتصال الأخرى، وفي مقدمتها الاتصال الشخصي وكان من الممكن الاستفادة من تجارب بعض البلدان الإفريقية والآسيوية والأمريكية الجنوبية؛ كمصر ونيجيريا والهند والبرازيل التي اعتمدت في الحملات الإعلامية التي باشرتها على الاتصال المباشر من أجل بلوغ أقصى الأهداف بأيسر السبل وأفضل النتائج، خاصة فيما يتعلق بقضايا مثل تنظيم النسل أو الإقناع بضرورة استخدام المستحدثات التكنولوجية في الزراعة على وجه الخصوص.

قياس التأثير الشخصي عبر الوسائط التكنولوجية الحديثة:

إذا كان قياس التأثير في عمليات الاتصال الشخصي التقليدية له معايير ومستوياته، وحققت بعض الموضوعية، فإن قياس التأثير بدقة داخل الشبكات الاجتماعية ليس أمراً يسيراً. كيف يتم قياسه؟ وكيف يتم التحقق من جدوى هذه القياسات وصحتها؟، البعض يعتمد على عدد المتابعين في تويتر "followers"، أو عدد الذين سجلوا إعجابهم "Like" بصفحة فيس بوك، ولكن قد تكون هذه المقاييس ليست دقيقة وكافية.

توجد الآن العديد من الخدمات والأدوات التي توفر بيئة مناسبة وملائمة للقياس «أعني قياس التأثير داخل الشبكات الاجتماعية»، هذه الأدوات تختصر الكثير من الوقت والجهد فهي تتيح معرفة مدى هذا التأثير على الناس وتبين مواقعهم وتقسيمهم حول العالم، أشار عاصم الشتوي إلى أبرزها⁽³⁹⁾:

* موقع «Klout»:

يقيس مدى التأثير بالاعتماد على استخراج ردود الأفعال، في كل مره تقوم بإنشاء محتوى أو ارتباطات يقوم «klout» بقياس تأثيرها على المتابعين والزوار حسب ردود أفعالهم مبيناً القيمة على مقياس يتراوح بين 1- 100، باستخدام بيانات من تويتر و فيس بوك و لنكدإن و فورسيكوير. بالإضافة إلى مستوى تأثير هؤلاء الأشخاص على متابعيهم ومداهما على ارتباطاتهم. أيضاً مبيناً القيمة على مقياس يتراوح بين 1 - 100، الجدير بالذكر أنه يتوفر إضافة لمتصفح كروم وفيرفوكس من هذا الموقع -.

موقع «PostRank»: يقوم على مبدأ مراقبة ومتابعة وجمع البيانات حول الأحداث وتحليلها، حدوث الارتباطات، حول المحتوى على شبكة الانترنت، متى وأين تمت هذه الارتباطات أو التعليقات. مثل الإضافة إلى المفضلة أو عمل تويت أو النشر على الفيس بوك أو غيرها من مواقع المشاركة التي تشمل أكثر من 20 شبكة اجتماعية.

يضاف إلى ذلك محاولة تتبع مدى تأثير الأشخاص المستقبليين لهذا المحتوى، أين هم وما الذي لفت انتباههم. ومن خلال مجموعة من الأدوات المجانية المعروضة في هذا الموقع يمكن للناشر الحصول على معلومات عن أفضل مقال بشكل عام عن طريق مقارنات بين مواضيع الناشرين وتحليل محتوى مواضيعهم، وأفضل مقال أو خبر متواجد في موقعه بشكل خاص. كما يساعد هذا الموقع في البحث عن أفضل المواقع والمواضيع والأخبار.

الجدير بالذكر أن PostRank انضمت حديثاً لمجموعة Google والذي يترتب عليه تطوير الخدمات التي يقدمها هذا الموقع في مجال إحصائيات الشبكات الاجتماعية. ليس هذا فقط .. يقوم أيضا بتزويدك بتوقعات حول نسبة زيادة أو نقصان المعجبين والمعلقين على حالتك في الفترة المقبلة. كما يمكنه اطلاعك على الأشخاص الذين انضموا لقائمة المتابعين أو الأشخاص الذين فقدت متابعتهم لمواضيعك من خلال عرض هذه النتائج عند دخولك للموقع أو إرسالها إلى بريدك الإلكتروني.

قد تكون هذه الخدمات والمواقع غير كافية لدى البعض، في سبيل الحصول على معلومات ذات تفاصيل ودقة أكثر، أو يفضل آخرون أدوات وأساليب أخرى، فيمكنهم الاستعانة بخدمات أخرى من خلال المواقع التالية: Twylah , Crowdbooster , SproutSocial , EmpireAvenue , PeerIndex , Appinions , MyWebCareer.

كل هذه الأدوات والخدمات يمكن استخدامها في قياس مدى التأثير وقوة الانتشار، المفكرين والكتاب، المدونات، التسويق الإلكتروني للتطبيقات وغير ذلك، من يسعون إلى إيجاد ما يوفر لهم وصولاً وتأثيراً أكبر.

لكن يجب الانتباه إلى الطابع التقريبي والتجريبي لمثل هذه المقاييس، ذلك أن العلاقات الإنسانية مهما حاولنا قياسها بالوسائل التقنية الحديثة، فإن هذه

الأخيرة تظل قاصرة عن تفسير العديد من المواقف والسلوكيات الظاهرية، فضلا عن الغوص في أعماق النفس البشرية.

كما سبق يمكننا التوقف عند النتائج الأولية التالية:

أولاً: إن الاهتمام بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومتابعة آخر صيحاتها التي قد تصل بنا إلى حد الانبهار، لا يجب أن تُثني عن الاهتمام بعملية الاتصال الشخصي، مهما بدت لنا بدائية أو تقليدية أو روتينية، أو هي مجرد تحصيل حاصل، كما يعتقد الكثيرون.

ثانياً: إن المزج بين كل من الاتصال التقليدي والإعلام الجديد، تحتاج دراسته من الناحية الأكاديمية إلى مقاربات جديدة تأخذ بعين الاعتبار الضرورة الاجتماعية لكلا النوعين.

ثالثاً: إن شبكات التواصل الاجتماعي قدمت للاتصال الشخصي خدمات جليلة، أدناها تقليص المسافات، وضمان نسبة كبيرة من الخصوصية في عدم اطلاع العديد الآخرين على ما يدور بين شخصين مثلاً - عدا الشركة التي ترعى الاتصال - التي يمكنها معرفة كل تفاصيل هذا التواصل، سواء كان مرئياً أو مكتوباً، لذا يظل من الواجب الاهتمام بكلا النمطين من الاتصال من أجل الوصول إلى مقاربة تكاملية.

فقد أكد العديد من خبراء الاتصال على أن أقوى أساليب التأثير في الجماهير هي تلك التي تجمع بين الاتصال الجماهيري والاتصال الشخصي، وأن التكامل بينهما يكون أكثر ضماناً للتأثير القوي والإقناع الفعال، حيث يتم التأكيد على أن استخدام أكثر من نوع من الاتصال في الموقف الاتصالي الواحد يتيح لنا مضاعفة عدد المزايا الاتصالية الشخصية، ومن ثم مضاعفة فاعلية عملية الاتصال نفسها.

رابعاً: لا بد من الانتباه إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي، هي نتيجة لتطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، التي هي غريبة المنشأ بالأساس، وبالضرورة

ستحمل في طياتها بعض قيم صانعيها، لذا وجب التفكير في تكييف هذه الوسائط عند استخدامها في مجال الاتصال لتراعي خصوصيات المستخدمين الثقافية، ذلك أن دراسة الاتصال مهما كان نوعها لا يمكن فصلها عن سياقها الاجتماعي والحضاري الذي تحدث فيه.

خاتمة:

إن العملية الاتصالية سواء كانت شخصية أو جماهيرية، ومن خلال ما سبق تتأثر بالتطورات التقنية، وتحاول التكيف معها. إن الحديث عن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي للتواصل بين الشعوب والأمم والثقافات سواء المتشابهة أو المتقاربة، يظل في حاجة إلى مزيد من الدراسات الميدانية، وإلى تجميع المعلومات وربطها وتنسيقها، ذلك أن مثل هذه التكنولوجيات حديثة العهد، لكنها عميقة التأثير، لواحقها وتطبيقاتها متسارعة الظهور والتطور، لذلك وجب عدم تفويت منافع الخدمات الجليلة التي تقدمها، والتي أضحت تتعدى في أدوارها ووظائفها العديد من المؤسسات التقليدية، لكن دون إغفال الأخيرة.

ولا يجب التوقف عند من يقوم بشيطنة هذه الوسائط المهمة، لخدمة أغراض سلطوية أو فتوية أو مصلحة تتجاهل الخدمات الجليلة التي تقدمها مثل هذه التكنولوجيات. كما يجب الابتعاد عن البكائيات التي تصاحب كل ظهور لنوع جديد من التكنولوجيا، والتعامل بإيجابية مع كل تطور تكنولوجي يمكنه تقديم الإضافة التي تختصر الزمان والمكان والجهد والتكلفة.

في الإطار ذاته، ومن الناحية الرسمية، فإن الحكومات العربية ركزت غداة الاستقلال مباشرة على تقوية وسائل الإعلام السمعية البصرية التي لا تزال تحتكرها إلى يومنا هذا عدا بعض الاستثناءات؛ وبدرجة أقل الصحافة المكتوبة، مانحة لها الدعم الكافي مقابل مردود ضعيف في عمومها على مستوى الرسالة والأداء معا.

بالمقابل لم يكن هناك اهتمام كاف بالعديد من مظاهر الاتصال الأخرى، وفي مقدمتها الاتصال الشخصي الذي كان يمكن الاستفادة منه في مجالات الاتصال الاجتماعي والتوعية والتوجيه، ماعدا بعض المحاولات المعزولة في السبعينيات من القرن الماضي، أو استغلال وتجنيد بعض جمعيات المجتمع المدني للترويج لبعض المشاريع المجتمعية الظرفية كالاتخابات وغيرها... وهو ما يتناسب

مع طبيعة هذه المجتمعات التي لا تزال يولي أهمية قصوى للصلات والروابط الاجتماعية والتقليدية، المبنية في أغلبها على الاتصال المباشر بين أفراد المجتمع.

وكان من الممكن الاستفادة من تجارب بعض البلدان الإفريقية والآسيوية والأمريكية الجنوبية؛ كنيجيريا والهند والبرازيل التي استخدمت في الحملات الإعلامية التي باشرتها الاتصال المباشر بواسطة قادة الرأي؛ من أجل بلوغ أقصى الهدف بأيسر السبل وأفضل النتائج، خاصة فيما يتعلق بتنظيم النسل والإقناع بضرورة استخدام المستحدثات التكنولوجية في الزراعة على وجه الخصوص، أين يبرز بشكل جلي الدور الهام لقادة الرأي.

❖ هوامش البحث:

(1) وصول عدد مستخدمي الفيس بوك في الوطن العربي الى 45 مليون 2012 متاح على الرابط التالي:

<http://arabic.arabianbusiness.com/business/technology/2012/jul/17/25>

5715/ تاريخ الإطلاع 10 نوفمبر 2012.

(2) محمد عبد الرؤوف كامل، مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1995)، ص 17.

(3) المرجع السابق، ص 24..

(4) محمد عودة، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998)، ص 111..

(5) وليد وادي النيل مسعد حجازي، علاقة الاتصال الشخصي بين المراهقين باكتساب المعرفة من الصحف: دراسة مسحية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 2000، ص ص 50-51.

(6) Peter Hartley, **Interpersonal Communication**, (London and New York: Routledge, 1993), p5.

(7) Ernest. Bormann, Nancy. **Bormann, Speech communication**, A basic Approach, 4th Ed, (New York: Harper and Row publishers, 1986), pp114-115.

(8) Carr, j.b, **communicating and relating**, (U.S.A: the Benjamin / cumming Publishing, INC? 1979).

(9) فرج الكامل، تأثير وسائل الاتصال: الأسس النفسية والاجتماعية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1985)، ص 106.

(10) فؤادة عبد المنعم البكري، الاتصال الشخصي في عصر تكنولوجيا الاتصال، (القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2003).

(11) جيهان أحمد رشتي، الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1989)، ص ص 99-100.

(12) Wilbur Schramm, The process and effects of Mass Communication, the University of Illinois Press? Urbana, 1961, pp405-406.

(13) قدرى حنفى، الاتصال الشخصي حاجة إنسانية، بحوث الاتصال... ص ص 50-56.

(14) E.Katz and Paul.F.Lazarsfeld, Personal Influence: he part played by people in the flow of mass communication, Glencoe, Illinois: the free press, 1964), pp4-9.

(15) Larry A. Samuar, Jack Mills, "Oral Communication Speaking across Cultures ", 9th Ed, United States American, Brown Denchmark, 1995, pp340-341.

(16) سامي عبد العزيز، مهارات الاتصال الشخصي، مجلة النيل، علمية ريع سنوية، قسم البحوث بمركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب بالقاهرة، السنة العاشرة، أكتوبر 1989، ص ص 67.

(17) محمد كامل الكردي، العلاقات العامة: علم الإعلام وفن الاتصال، (القاهرة: مكتبة عين شمس، 1997)، ص ص 114..

18-O'Sullivan- Rayn and Kaplan, M. (Undated)," **Communication Methods to promote grass- roots participation**", UNESCO: Communication and society: b, p3.

(19) محمد عمر متولي أحمد العطار، الاتصال الشخصي في ميدان العلاقات العامة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أسيوط كلية الآداب بسوهاج، قسم الصحافة، 1980، ص ص 11-10.

(20) محمود عودة، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي... مرجع سابق، ص ص 88-89.

(21) Allan Mazur and Others, **Physiological Aspects of Communication**, University of Chicago press, 1980, p81.

(22) Charles, R.Wright, Mass Communication: A sociological perspective, (New York, INC, 1959), p189.

(23) محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين: دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية العربية أنموذجاً، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال مقدمة إلى مجلس كلية الآداب والتربية الأكاديمية العربية في الدانمارك 2012.

(24) عزي (عبد الرحمن)، بومعيزة (السعيد)، الإعلام والمجتمع، الورسم للنشر والتوزيع: الجزائر، 2010 ص ص 82-83.

(25) المرجع نفسه.

(26) بعزیز (إبراهيم)، متدييات المحادثة والردشة الالكترونية دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، قسم علوم الإعلام والاتصال: جامعة الجزائر، 2008/2007.

(27) Carla Mooney, **Online Social Networking**, Gale: New york, 2009, p 10.

(28) روبن (برنت)، الاتصال والسلوك الإنساني، (ترجمة: نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم)، معهد الإدارة العامة: المملكة العربية السعودية، 1991.

(29) بعزیز إبراهيم، مرجع سابق.

(30) حسني عوض، أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى فئة الشباب: تجربة مجلس شبابي عرار أنموذجاً، 2012: <http://www.qou.edu/arabic/index.jsp?pageId=3469> . تاريخ الاطلاع: 14 أكتوبر 2012.

(31) محمد الجوهري، مقدمة في علم اجتماع التنمية... ص ص 211-213.

(32) حلیم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984)، ص ص 220-280.

(33) المرجع السابق، ص 176.

(34) المرجع نفسه، ص 180.

(35) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2011، تقرير التنمية البشرية 2011، الاستدامة والإنصاف، مستقبل أفضل للجميع، متاح على الرابط التالي:

http://www.un.org/ar/esa/hdr/pdf/hdr11/HDR_2011_AR_Complete.pdf

تاريخ الاطلاع: 13 نوفمبر 2012.

(36) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، متاح على الرابط لتالي:

<http://www.undp.org/content/undp/fr/home/librarypage/corporate/annual-report-2011-2012--the-sustainable-future-we-want.html>

تاريخ الاطلاع: 09 نوفمبر 2012.

(37) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2011... مرجع سابق.

(38) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2011... المرجع السابق.

(39) عاصم الشتوي، لانتشار والتأثير في الشبكات الاجتماعية، أساليب وأدوات قياسه، متاح على الرابط التالي:

<http://www.tech-wd.com/wd/2011/08/28/proliferation-and-influence-in-social-networks>. تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2012 /

دراسات في علوم وتقنيات
النشاطات البدنية
والرياضية

ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية

في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي

الدكتور: عمار رواب، الأستاذ: شوقي قدادرة

جامعة، بسكرة، الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة لمحاولة التعرف على دور ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي والتأكيد على أهمية توجيه الحدث إلى ممارسة الأنشطة الرياضية للتخلص أو التخفيض أو التعديل من مسببات العدوانية فالدراسة تولى اهتماما كبيرا بهذه الظاهرة وربط هؤلاء الأحداث بالإطار الاجتماعي عن طريق ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية.

Résumé:

L'objectif de cette étude est d'essayer de montrer et d'expliquer comment l'activité physique compétitive modifie le comportement agressif des mineurs comme elle souligne l'importance de diriger le mineur vers la pratique des activités sportives afin de réduire ou modifier et pourquoi pas de se débarrasser de toute forme d'agressivité.

Cette étude adresse une grande importance à ce phénomène et s'intéresse à la manière d'encadrer ces jeunes pour les réintégrer au sien de la société par le biais de la pratique des activités physiques sportives compétitives.

إن مشكلة انحراف الأحداث ظاهرة اجتماعية خطيرة حيث تؤثر على أبناء المجتمع بشكل كبير وهي من أكبر المشاكل التي تواجهها المجتمعات وازداد تفاقم هذه المشكلة بسبب انشغال الآباء والأمهات وانصرافهم عن توجيه الرعاية الأسرية والإشراف الدقيق لابنائهم كما يعود إلى ضعف الرقابة الأسرية وفتور سلطان الأسرة.⁽¹⁾

والجزائر من بين الدول التي تعمل جاهدة لبناء وتطوير مجتمعها وعت بخطورة ظاهرة انحراف الأحداث وأولت أهميتها بالجانبين معا الجانب الوقائي والجانب العلاجي. إن السلوك العدواني يلاحظ في سلوك الأطفال وفي سلوك الراشد وفي سلوك الذكر وسلوك الأنثى وفي سلوك الإنسان السوي وفي سلوك الإنسان اللاسوي بغض النظر عن اختلاف الدوافع والوسائل والنتائج.⁽²⁾

وهو سلوك مرفوض من الآباء والمدرسين يجرمه الدين ويحتقره المجتمع وتعاقب عليه القوانين ورغم ذلك فإن أغلب الناس أو كثيرا منهم يحملون في أعماقهم مشاعر العنف والعدوان وان كانوا لا يفصحون عنها وفي هذه الحالة تكون بمثابة قوة تعمل على هدم تكامل الفرد وعدم استقراره وتوازنه وربما تتحول إلى عقد لاشعورية دفينية في أعماقه تسبب له سلوكا منحرفا⁽³⁾.

فالانحراف هو سلوك عدواني من أحد أهم السلوكيات التي يتصف بها الأحداث بدرجات متفاوتة، ويقصد به أي سلوك من شأنه إيقاع الأذى الجسدي أو اللفظي أو الألم بالذات أو بالآخرين وبالأشياء، كذلك التخريب والسرقة وغيرها فالأحداث في خطر معنوي هم الأطفال والمراهقين اللذين تقل أعمارهم عن ثمانية عشر سنة .

وفي هذا الصدد عملت الدولة الجزائرية حسب ما ذكر سابقا اهتماما كبيرا بهذه الفئة ووضعهم في مراكز مختصة لإعادة التربية من أجل العناية بهم من عدة نواحي منها النفسية والاجتماعية والرياضية.

إن هذه الدراسة المتواضعة والتي تنهض من خلال المجال الرياضي تطمح إلي أن تثير قضايا هامة مرتبطة بقضية السلوك العدواني للأحداث في خطر معنوي باعتبارها مشكلة اجتماعية وتربوية كبيرة فالدراسة تولى اهتماما كبيرا بهذه الظاهرة وربط هؤلاء الأحداث بالإطار الاجتماعي عن طريق ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية.

1. الإشكالية:

هل لممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية دور في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي؟.

التساؤلات:

1-2: التساؤلات الفرعية:

✓ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبليّة والقياسات البعدية في نتائج استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة الضابطة؟

✓ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبليّة والقياسات البعدية في نتائج استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة التجريبية لصالح القياسات البعدية؟

✓ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية الأولى في القياسات البعدية لاستبيان السلوك العدواني وتحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية الجماعية (كرة القدم) لصالح المجموعة التجريبية؟

✓ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية الثانية في القياسات البعدية لاستبيان السلوك العدواني وتحليل الذات تعزى لمتغير

الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية الفردية (الكرة الحديدية) لصالح المجموعة التجريبية ؟

2-أهداف الدراسة : يهدف هذا البحث إلي محاولة التعرف علي دور ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي والتأكيد علي أهمية توجيه الحدث إلي ممارسة الأنشطة الرياضية للتخلص أو التخفيض أو التعديل من مسببات العدوانية . كما تحاول الدراسة قياس السلوك العدواني لفئة للأحداث في خطر معنوي والكشف عن واقع مزاوله النشاط الرياضي داخل وخارج المراكز المختصة للإعادة التربية .

3- فروض الدراسة

3-1الفرضية العامة: ممارسة الأنشطة التنافسية دور ايجابي في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي .

3-2 الفرضيات الجزئية

✓/ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلي والقياسات البعدي في نتائج استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة الضابطة .

✓/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلي والقياسات البعدي في نتائج استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة التجريبية لصالح القياسات البعدي .

✓/ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية الأولى في القياسات البعدي لاستبيان السلوك العدواني وتحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية الجماعية

(كرة القدم) لصالح المجموعة التجريبية .

✓/توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية الثانية في القياسات البعدية لاستبيان السلوك العدواني وتحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية الفردية (الكرة الحديدية)لصالح المجموعة التجريبية

4-المصطلحات الرئيسية في البحث :

✓/النشاط البدني الرياضي:كل ما يقوم به الفرد وما يبذله من طاقة بما تساعد على الاشتراك مع الجماعة ويتحقق من خلاله النمو العقلي والانفعالي والجسمي ويشيع عن طريقه ميوله ورغباته وحاجاته ويحقق من خلاله الأهداف التي تعتبرها المؤسسة والمجتمع مرغوبا فيها، ويخدم المستوى الرياضي إذا كان متخصصا ويمارس الترويح عن النفس لدى عامة الناس ويخدم الأهداف التربوية إذا تمت ممارسته في الإطار التربوي." (4)

✓/التعريف الإجرائي النشاط البدني الرياضي:"ويقصد الباحث بالنشاط البدني الرياضي في البحث نشاط جماعي وهو كرة القدم ونشاط فردي الكرة الحديدية .

✓/السلوك العدواني

- تعريف العدوان لغة:ورد في لسان العرب الابن منظور.

إن العدوان في لغة العرب هو الظلم (5).

ومنه قوله تعالى*ولا تعاونوا على الإثم والعدوان* (6) بمعنى لا تعاونوا على المعصية والظلم.

عدا عليه عدوا، عدا،عدونا،أي ظلمه وتجاوز الحد واعتدى عليه بمعنى ظلمه ومنه عدا بني فلان على فلان أي ظلموهم" (7).

✓/تعريف العدوان اصطلاحا:يعرف العدوان في معاجم علم النفس بأنه أفعال ومشاعر عدائية، وهو حافز يستثري الإحباط أو تسببه الغريزية.ويقصد به السلوك الذي يهدف من خلاله إلي محاولة إحداث ضرر أو إيذاء أو إصابة" (8).

✓/ السلوك العدواني إجرائيا: ويقصد به في هذه الدراسة احد مظاهر السلوك المنحرف وقد ياخذ احد أو بعض أو كل المظاهر أو المواقف التالية: الاعتداء الجسدي: ويتمثل في الضرب و التشابك بالأيدي و الخدش و الركل. و الاعتداء اللفظي ويقصد به التناوب اللفظي بمختلف أنواعه خاصة التناوب بالألقاب (الشتيم والسب، الصراخ في وجه الزميل...) والتخريب وهي محاولة مقصودة لتدمير الممتلكات الشخصية أو ممتلكات الغير. والعناد ويتمثل خاصة في مخالفة وتنفيذ الأوامر المفهومة وعدم الطاعة والعصيان و المقاومة و الانتقام والهجوم المؤجل و الهروب والإهانة. والعدوان الرمزي هذا النوع من العدوان يمارس فيه سلوك يرمز إلى احتقار الأفراد أو يؤدي إلى توجيه الانتباه إلى إهانة تلحق به الأذى.

والعدوان الموجه نحو الذات: إن العدوانية عند بعض الأشخاص قد توجه نحو الذات وتهدف إلى إيذاء النفس وإيقاع الضرر بها وتتخذ صورة إيذاء النفس صورا مختلفة مثل تمزيق الشخص لملابسه كتبه لطم الوجه، شد الشعر، ضرب الرأس على الحائط، وجرح الجسم بالأظافر أو بأشياء أخرى. وسرعة الاستشارة: هذا النوع من السلوك عدم التحكم والسيطرة على الانفعالات كما تظهر عليه العصبية بكل سهولة وعدم التوازن والارتباك في المواقف الصعبة.

✓ مفهوم الحدث:

- من الناحية القانونية: هو من لم يتجاوز سنه ثمانية عشر سنة وقت ارتكابه الفعل محل الإساءة أو وجوده في إحدى حالات التشرد⁽⁹⁾.

- المفهوم الإجرائي للحدث: الحدث هو الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد أو السن اللزوم القانوني وهو أيضا بالمعنى الاجتماعي الذي لم يحصل لديه التطبيع الاجتماعي الجيد.

* / الحدث في الخطر المعنوي: نقصد بالحدث في خطر معنوي كافة الحالات التي لا يكون فيها الحدث قد ارتكب جريمة، وإنما يوجد في حالة تعرضه للانحراف و يخشى من تركه على الحالة التي هو عليها فينحرف فعلا. وفي هذه الحالات يمكن القول

بأن الحدث يمثل خطورة اجتماعية قد تؤدي إلى وقوعه في الجريمة. وتقرر غالبية التشريعات تدابير خاصة لمواجهة هذه المرحلة من أجل التغلب على العوامل التي تنبئ بأن هناك احتمال كبير بارتكاب الحدث لجريمة مستقبلا، وتجعل احتمال تعرضه لهذا الخطر على درجة كبيرة من الأهمية. " (10).

وهو ما سار عليه المشرع الجزائري بصدور الأمر 03/72 المؤرخ في 10 فيفري 1972 والذي حدد اختصاص قاضي الأحداث وكيفية إخطاره والأشخاص المؤهلين لذلك والإجراءات الممنوحة له أثناء التحقيق مع الحدث. " (11).

5: منهج الدراسة: استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التجريبي باعتبارها دراسة تجريبية هدفها التعرف على دور ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية (كمتغير مستقل) في تعديل السلوك العدواني (كمتغير تابع). " (12).

6: المجتمع وعينة الدراسة: يتمثل المجتمع الأصلي لعينة البحث الأحداث في خطر معنوي بالمركز المختص لإعادة التربية لولاية الوادي. وتتمثل عينة البحث على الأحداث في خطر معنوي وعددهم أربعة وثلاثون حدث (34) وهم المجتمع الأصلي للدراسة بمعنى عينة قصديه (عمديه).

7: مجالات الدراسة:

(أ): المجال المكاني: يتجلى محيط دراستنا في المركز المختص لإعادة التربية بولاية الوادي وكذلك بالمؤسسات التربوية وهذا حسب البرنامج المسطر من طرف الرابطة الولائية للرياضة المدرسية.

(ب): المجال الزمني: استغرقت الدراسة مدة ثمانية أشهر حيث انطلقت في شهر نوفمبر من سنة 2009 م وانتهت في شهر ماي 2010 م، حيث أجريت الدراسة الاستطلاعية في شهر جانفي 2010 م وتم تطبيق القياس القبلي في شهر فيفري 2010 والقياس البعدي في شهر ماي 2010 .

8: أدوات الدراسة:

8-1: مقياس تحليل الذات (صممه محمد حسن علاوي) والذي يحتوي على قائمة قياس العدوان العام كسمة وتتضمن القائمة أربعة أبعاد العدوان غير مباشر وسرعة الاستثارة والتهمج أو الاعتداء والعدوان اللفظي.

وتتكون القائمة من 40 عبارة كل بعد تمثله 10 عبارات ويقوم الشخص بالإجابة على عبارات القائمة على مقياس خماسي التدرج: (أوافق بدرجة كبيرة جدا، أوافق بدرجة كبيرة، بدرجة متوسطة، بدرجة قليلة، بدرجة قليلة جدا) في ضوء تعليمات القائمة⁽¹⁴⁾.

8-2: استبيان السلوك العدواني للأحداث من وجهة نظر المربين: صمم الاستبيان من طرف الباحث بإتباع مجموعة من الخطوات الضرورية وتم عرضه على محكمين، يتكون من (40) بنداً وهذا بعد استبعاد البنود التي تراوحت نسب اتفاق المحكمين عليها أقل من النسبة المعتمدة من قبل الباحث لقبول البند والمتمثلة في (60٪).

8-3: الدراسة الاستطلاعية: اتصل الباحث بعد حصوله على موافقة قاضي الأحداث وكذلك مدير النشاط الاجتماعي لولاية الوادي بتاريخ 10 جانفي 2010 اتصل مباشرة بمدير المركز من اجل إجراء هذه الدراسة ولقد تم بتاريخ 21/01/2010 قام الباحث بدراسة استطلاعية على مستوى المركز المختص لإعادة التربية بولاية الوادي عرض الباحث على المربين والاختصاصيين النفسانيين والاختصاصيين الاجتماعيين استبان السلوك العدواني وإبداء راءبهم في سلوك الأحداث في خطر معنوي .

8-4: عينة الدراسة الاستطلاعية وزمن إجراءها: لقد شملت الدراسة الاستطلاعية عينة متكونة من خمسة عشرة من فئة الأحداث في خطر معنوي⁽¹⁵⁾ و المربين ثمانية⁽⁸⁾ بالمركز وهذا قصد التعرف على الصعوبات التي قد تقابل الحدث أثناء الإجابة على الأسئلة من المقياس ولقد وضع الباحث بعض الملاحظات قبل تطبيق المقياس والاستبيان.

9:-الدراسة الأساسية

1-9:البرنامج المقترح للأنشطة الرياضية التنافسية (كرة القدم والكرة الحديدية)

1-1-9:محتوى البرنامج الرياضي التنافسي :تم تحديد محتوى البرنامج الرياضي التنافسي المقترح بناءً على الأهداف التي تمّ تحديدها والتي تم الإشارة إليها كمايلي:

- مدة تطبيق البرنامج الرياضي ثلاثة أشهر(12 أسبوع)
- يتكون البرنامج الرياضي المقترح من (24) وحدة تدريبية.
- عدد الوحدات التدريبية في الأسبوع (02) وحدات أسبوعيا.
- زمن الوحدة التدريبية ساعة ونصف (س.30 د).
- إجمالي زمن الوحدات في الأسبوع ثلاث ساعات (3 س).
- إجمالي زمن الوحدات في الشهر اثني عشر ساعة (12س).
- منافسات في كرة القدم تسعة مقابلات.

جدول رقم: (01) يوضح البرنامج المقترح للأنشطة الرياضية التنافسية لفئة الأحداث في خطر معنوي (وحدات تدريبية)

الرقم	نوع النشاط	عدد الوحدات	زمن الوحدة	الزمن الكلي	المجموعة
01	كرة القدم	24	ساعة ونصف	36 ساعة	التدريبية الأولى
02	الكرة الحديدية	24	ساعة ونصف	36 ساعة	التدريبية الثانية

9-2: تنفيذ التجربة: على ضوء ما استخلصه الباحث من خلال قياس التجربة الاستطلاعية تم تنفيذ التجربة من 02/02/2010 وقد شملت التجربة الأساسية تنفيذ النشاط المبرمج للرابطة الذي أعده واقترحه الباحث لتعديل السلوك العدواني للمجموعة التجريبية الأولى والثانية دون الضابطة على القياسات الأساسية التالية:

- * الاختبار القبلي لاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات
- * تنفيذ البرنامج الأنشطة الرياضية التنافسية (كرة القدم والكرة الحديدية)
- * الاختبار البعدي لاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات

9-3: القياس القبلي للعينة: لقد اعتمد الباحث على درجات مقياس تحليل الذات واستبيان السلوك العدواني كقياس قبلي للمجموعة التجريبية والضابطة ..

9-4: تنفيذ أو تطبيق البرنامج: قام الباحث بتطبيق برنامج النشاط المقترح على فئة الأحداث المجموعة التجريبية إما الضابطة فلا تمارس هذا النشاط علما أن نوع الرياضات كان من اختيار ورغبة وميول فئة الأحداث والمربين بالمركز. تجرى المنافسات في نفس الوقت حسب الجدول

الجدول رقم: 02 يوضح رزنامة المقابلات التي تجريها المجموعة التجريبية (1 و2) كرة القدم والكرة الحديدية

التوقيت	المكان	المقابلات	التاريخ
التاسعة صباحا	م. إعادة التربية	م إعادة التربية # ثا. عبد العزيز الشريف	2010/02/02
التاسعة صباحا	ثانوية 19 مارس	ثا. 19 مارس # م إعادة التربية	2010/02/09
التاسعة صباحا	م. إعادة التربية	م إعادة التربية # ثانوية أميه ونسه	2010/02/16

صباحا			
التاسعة صباحا	ثانوية تكسبت	م. إعادة التربية	2010/02/23
التاسعة صباحا	ثانوية عبد العزيز الشريف	م. إعادة التربية	2010/03/02
التاسعة صباحا	م. إعادة التربية	م. إعادة التربية # 19 مارس	2010/03/09
التاسعة صباحا	م. إعادة التربية	م. هالي عبد الكريم # م إعادة التربية	2010/04/06
التاسعة صباحا	ثانوية تكسبت	م. إعادة التربية	2010/04/13
التاسعة صباحا	م. إعادة التربية	م. إعادة التربية # المنتخب (الوادي)	2010/04/20

5-9: القياس البعدي: تم اخذ القياس البعدي للمجموعة التجريبية والضابطة بأسلوب تطبيق مقياس تحليل الذات واستبيان السلوك العدواني وذلك حتى يمكن التعرف على الفرق بين القياس القبلي والبعدي بعد إدخال المتغير التجريبي ولقد قام الباحث بإعادة تطبيق المقياس والاستبيان بنفس الأسلوب الذي اتبع في المرحلة القبلي لان الباحث قام بالقياس لكل حدث لوحده لذا استغرقت فترة القياس البعدي يومين كما تم تصحيح المقياس للمجموعة التجريبية والضابطة وجمع الدرجات تمهيدا للمعالجة الإحصائية .

10: أسلوب التحليل والمعالجة الإحصائية: بعد مرحلة التطبيق تم تفرغ بيانات استمارات الاختبار الصالحة لغايات الدراسة والمستوية الإجابة في الحاسب الآلي بغرض تحليلها ومعالجتها عن طريق البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS)

وهذا من أجل مناقشة الفرضيات في ضوء أهداف البحث، وقد استخدمنا الأساليب الإحصائية التالية:

◀ حساب معامل ارتباط بيرسون Pearson لدراسة الارتباطات بين فقرات محاور الاختبار والمحاور الأربعة مع الاختبار ككل (الصدق).

◀ حساب معادلة ألفا كرونباخ Alpha Cronbach؛ ومعاملات الارتباط في تقنين وتحديد الخصائص السيكومترية لأداة البحث (الثبات).

◀ اختبار "T-test" للتعرف على دلالة الفروق بين متوسط درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة

◀ المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، وذلك للتعرف على درجات الفروق بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية

◀ حساب النسب المئوية لتكرار إجابات عينة البحث على اختبار تحليل الذات. واستبيان السلوك العدواني

11: الخصائص الإحصائية لعينة البحث: تضمنت دراستنا الحالية على التجربة لمجموعتين التجريبية والضابطة أي اختبارين قبلي وبعدي ونوع النشاط المطبق تصف خصائص عينة الدراسة، يفترض أن لها تأثير وأهمية على في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث وفيما يلي استعراض موجز لتوزيع أفراد العينة حسب مجموعة عينة البحث والاختبار القبلي والبعدي ونوع النشاط

جدول رقم "03" يوضح نسب وتكرارات مجموعة عينة البحث

الإحصائيات		العينة
النسبة المئوية %	التكرار	
50	34	المجموعة الضابطة
50	34	المجموعة التجريبية

جدول رقم "04" يوضح نسب وتكرارات نوع النشاط المطبق

النسبة المئوية %	التكرار	العينة
		نوع النشاط
82.4	56	كرة القدم
17.6	12	الكرة الحديدية
100	68	المجموع

12: عرض وتحليل ومناقشة الفرضيات

1-12: عرض وتحليل ومناقشة النتائج الخاصة بالفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلية والقياسات البعدية في استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة الضابطة

جدول رقم (5): نتائج اختبار (ت) لمقياس تحليل الذات المجموعة الضابطة

المحاور	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار t	درجة الحرية	مستوى الدلالة
التهجم	القبلي	25.12	4.14	1.64	32	0.11 غير دال
	البعدي	27.35	3.81			
العدوان اللفظي	القبلي	26.12	6.16	1.54	32	0.13 غير دال
	البعدي	28.88	4.11			
سرعة الاستثارة	القبلي	18.76	4.80	0.56	32	0.58 غير دال
	البعدي	19.65	4.36			

0.44 غير دال	32	0.79	5.78	19.82	القبلي	العدوان الغير مباشر
			5.12	21.29	البعدي	
0.16 غير دال	32	1.43	16.97	89.82	القبلي	تحليل الذات
			12.76	97.18	البعدي	

بالنظر إلى الجدول رقم 5 نجد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" المحسوبة للمحاور الأربعة تبعا للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة لمقياس تحليل الذات وباستعراض قيم مستوى الدلالة المرافق لقيمة "ت" المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.05 نجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور الأربعة على التوالي (التهجم، العدوان اللفظي، سرعة الاستثارة، العدوان الغير مباشر) كانت (0.11-0.13-0.58-0.44) وهي اكبر من 0.05 مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة. قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي هي (0.16) وهي اكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.05) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس. أي انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمقياس تحليل الذات تعزي الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة.

جدول رقم (6) : نتائج اختبار (ت) استبيان السلوك العدواني المجموعة الضابطة

المحاور	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
العدوان الجسدي	القبلي	9.24	3.46	0.54	32	0.59 غير دال
	ألبعدي	8.65	2.83			
العدوان اللفظي	القبلي	10.65	3.53	0.86	32	0.39
	ألبعدي	9.65	3.22			
التخريب	القبلي	8.29	3.10	0.18	32	0.86 غير دال
	ألبعدي	8.12	2.67			
العدوان الرمزي	القبلي	11.00	3.95	0.13	32	0.90 غير دال
	ألبعدي	10.82	3.80			
العدوان الموجه نحو الذات	القبلي	6.18	2.43	0.17	32	0.87 غير دال
	ألبعدي	6.06	1.64			
العناد	القبلي	10.65	2.23	0.15	32	0.88 غير دال
	ألبعدي	10.76	2.31			
سرعة الاستئارة	القبلي	12.35	2.15	0.08	32	0.94 غير دال
	ألبعدي	12.29	2.17			
السلوك العدواني	القبلي	68.35	18.19	0.34	32	0.74 غير دال
	ألبعدي	66.35	16.18			

بالنظر إلي الجدول رقم⁶ يبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة على مستوى استبيان السلوك العدواني بالنسبة للاختبار القبلي يساوي 68.35 والاختبار البعدي يساوي 66.35 ووجدنا أن قيمة^ت 0.34 عند مستوى الدلالة 0.74 اكبر من 0.05 وبالتالي غير دال إحصائيا. أي انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لاستبيان السلوك العدواني تعزي للاختبار القبلي والبعدي. ومن الجدول السابق الذكر نجد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة^ت المحسوبة للمحاور السبعة تبعا للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة للاستبيان وباستعراض قيم مستوي الدلالة المرافق لقيمة^ت المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.05 نجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور على التوالي (العدوان الجسدي، العدوان اللفظي، التخريب، العدوان الرمزي، العدوان الموجه نحو الذات، العناد، سرعة الاستثارة) كانت (0.90-0.86-0.39-0.59-0.87-0.88-0.94) اكبر من 0.05 مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة. وكانت قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة الاستبيان الكلي هي (0.74) وهي اكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.05) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاستبيان الكلي .

1-1-12: تفسير نتائج محاور المقياس والاستبيان للمجموعة الضابطة:

*مقياس تحليل الذات: دلت النتائج في هذا المقياس على أن ليس هناك دلالة إحصائية عند مستوى '0.05' للفرق بين القياس القبلي و البعدي للمجموعة الضابطة في كل المحاور الأربعة "التهجم والعدوان اللفظي وسرعة الاستثارة والعدوان غير المباشر" ومنه فان هذه المجموعة التي لم يطبق عليها البرنامج ظل سلوكهم العدواني ثابتا لم يتأثر.

*استبيان السلوك العدواني: دلت النتائج في هذا الاستبيان على أنه ليس هناك دلالة إحصائية عند مستوى '0.05' للفرق بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة في كل المحاور السبعة" العدوان الجسدي والعدوان اللفظي والتخريب والعدوان الرمزي والعدوان الموجه نحو الذات والعدوان وسرعة الاستشارة " ومنه فان هذه المجموعة الضابطة التي لم يطبق عليها البرنامج ظل سلوكهم العدواني ثابتا لم يتأثر.

12-1-2: الاستنتاجات الخاصة بالفرضية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلية والقياسات البعدية في استبيان السلوك العدواني وهذا في كل المحاور السبعة ومقياس تحليل الذات بمحاورة الأربعة لدى أفراد العينة الضابطة حيث أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي لتحليل الذات هي (0.16) وهي اكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.05) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي . وكذلك أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للاستبيان السلوك العدواني هي (0.74) وهي اكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.05) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس والاستبيان ومنه يمكن القول أن الفرضية الأولى تأكدت صحتها وان المجموعة الضابطة لم تتأثر بالبرنامج بمعنى لم يتغير السلوك العدواني.

12-1-3: مناقشة نتائج الفرضية الأولى: نصت الفرضية الأولى : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلية والقياسات البعدية في استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة الضابطة.

من نتائج الدراسة الميدانية وبعد تحليلها إحصائيا تبين لنا مايلي من الجدول رقم (3) لمقياس تحليل الذات والجدول رقم (4) الاستبيان السلوك العدواني هذه النتائج المتوصل إليها تثبت صحة وتحقق الفرضية الأولى ذلك أن المقياس والاستبيان المطبقان على أفراد العينة الضابطة المتكونة من فئة الأحداث في خطر معنوي والتي تراوح أعمارهم ما بين 15" إلي 18 سنة بالمركز المختص لإعادة

التربية بولاية الوادي ولقد جاءت هذه النتائج شبه موافقة لما ذكره السحيمي إذا توصل إلى أن لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات المجموعة الضابطة في السلوك العدواني في القياس القبلي والبعدي لطلاب الصف الثاني من التعليم الثانوي الصناعي . كما نجد أن العلاقة بين استبيان السلوك العدواني المقدم للسادة المربين وإبداء رأيهم في سلوك الأحداث ومقياس تحليل الذات المقدم للأحداث أن النتائج الاختبارات القبلي والبعدي أنت بنفس النتيجة علما أن كل من المربين وفئة الأحداث قام كل منهما بملاء الاستمارة على حدي، ومنه نتيجة الفرضية الأولى قد تحقق عند كل من المقياس والاستبيان . ونظرا لعدم تطبيق البرنامج على المجموعة الضابطة فان مستوى السلوك بقي ثابتا علما أن هناك عدة عوامل أخرى تساعد على تعديل السلوك داخل المركز، ومنه فان الرياضة عاملا مهما في الاستقرار النفسي و التنشيط الذهني و الإنتاج الفكري للحدث فهي تخفف من ضغوط الحياة اليومية وتقلل من التوتر والمجهود الفكري العصبي وتساعد على الاسترخاء وتكسب الحدث متعة وسعادة وراحة نفسية وثقة بالنفس وتحرر من القلق و الاكتئاب و يعد النشاط الرياضي عملية تنفيس وترويح بحيث تهيأ للمراهقين نوعا من التداوي الفكري و البدني تجعلهم يعبرون عن مشاعرهم و أحاسيسهم التي تتصف بالاضطراب والعنف عن طريق حركات رياضية متوازنة منسجمة و متتابعة تخدم وتنمي أجهزتهم الوظيفية والعضوية والنفسية.

12-2: عرض وتحليل ومناقشة النتائج الخاصة بالفرضية الثانية :

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلي والقياسات البعدي في نتائج السلوك العدواني وتحليل الذات لدى أفراد العينة التجريبية لصالح القياسات البعدي.

جدول رقم: (7): نتائج اختبار (ت) لمقياس تحليل الذات المجموعة التجريبية

المحاور	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبارات	درجة الحرية	مستوى الدلالة
التهجم	القبلي	21.88	3.79	3.54	32	0.00
	البعدي	26.59	3.97			
العدوان اللفظي	القبلي	21.29	3.72	2.39	32	0.02
	البعدي	24.65	4.44			
سرعة الاستنارة	القبلي	18.29	2.78	3.61	32	0.00
	البعدي	21.88	3.02			
العدوان الغير مباشر	القبلي	16.00	2.98	2.73	32	0.01
	البعدي	18.82	3.05			
مقياس تحليل الذات	القبلي	77.47	11.39	3.55	32	0.00
	البعدي	91.94	12.38			

بالنظر إلي الجدول رقم⁷ يبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على مستوى مقياس تحليل الذات وبعد عرض لكل المحور فان للاختبار القبلي يساوي 77.47 والاختبار البعدي يساوي 91.94 ووجدنا أن قيمة ت² 3.55 عند مستوى الدلالة 0.00 اقل من 0.01 وبالتالي فهي دالة إحصائية. أي انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مقياس تحليل الذات تعزي للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية. ومن الجدول السابق الذكر نجد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة ت² المحسوبة للمحاور الأربعة تبعا للاختبار القبلي

والبعدي للمجموعة التجريبية لقياس تحليل الذات وباستعراض قيم مستوى الدلالة المرافق لقيمة "ت" المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.01 تجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور الأربعة على التوالي (التهجم، العدوان اللفظي، سرعة الاستثارة، العدوان غير المباشر) كانت (0.00-0.02-0.00-0.01) وهي اصغر من 0.05 مما يعني توجد فروق ذات دلالة إحصائية للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية.

وكانت قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي هي (0.00) وهي اقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي.

جدول رقم: (8): نتائج اختبار (ت) لاستبيان السلوك العدواني المجموعة التجريبية

المحاور	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
العدوان الجسدي	القبلي	6.88	1.58	2.13	32	0.04
	البعدي	8.06	1.64			
العدوان اللفظي	القبلي	7.00	1.90	2.54	32	0.02
	البعدي	8.59	1.73			
التخريب	القبلي	6.53	0.94	3.34	32	0.00
	البعدي	7.71	1.10			
العدوان الرمزي	القبلي	8.24	1.82	2.42	32	0.02
	البعدي	9.65	1.58			

0.00 دال	32	4.64	0.72	5.53	القبلي	العدوان الموجه نحو الذات
			0.83	6.76	البعدي	
0.03 دال	32	2.29	1.44	8.76	القبلي	العناد
			1.41	9.88	البعدي	
0.13 الغير دال	32	1.56	2.76	10.12	القبلي	سرعة الاستئثار ة
			2.96	11.65	البعدي	
0.00 دال	32	3.62	7.40	53.06	القبلي	استبيان السلوك العدواني
			7.49	62.29	البعدي	

بالنظر إلي الجدول رقم⁸ يبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على مستوى استبيان السلوك العدواني بالنسبة للاختبار القبلي يساوي 53.06 والاختبار البعدي يساوي 62.29 ووجدنا أن قيمة^ت 3.62 عند مستوى الدلالة 0.00 وبالتالي هناك فروق إحصائية للمتوسطات الحسابية للاختبار القبلي والبعدي 0.00 اقل من 0.01 وبالتالي دالة إحصائية. ومن الجدول السابق الذكر نجد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة^ت المحسوبة للمحاور السبعة تبعا للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية للاستبيان وباستعراض قيم مستوي الدلالة المرافق لقيمة^ت المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.01 أو 0.05 نجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور على التوالي (العدوان الجسدي، العدوان اللفظي، التخريب، العدوان الرمزي، العدوان الموجه نحو الذات، العناد)، كانت (0.04-0.02-0.00-0.02-0.00-0.03) مما يعني توجد فروق ذات دلالة إحصائية للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة

التجريبية وان محور سرعة الاستثارة قيمة مستوى الدلالة 0.13 اكبر من 0.05 و0.01 وبالتالي غير دال إحصائيا هذا المحور.

وكانت قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة الاستبيان الكلي هي (0.00) وهي اقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي.

12-2-1: تفسير نتائج محاور المقياس والاستبيان للمجموعة التجريبية:

*مقياس تحليل الذات: دلت النتائج في هذا المقياس على أن هناك دلالة إحصائية عند مستوى '0.05' للفرق بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية في كل المحاور الأربعة ألتهجم والعدوان اللفظي وسرعة الاستثارة والعدوان غير المباشر" ومنه فان هذه المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج تعدل سلوكهم العدواني نسبيا.

*استبيان السلوك العدواني: دلت النتائج في هذا الاستبيان على أنه هناك دلالة إحصائية عند مستوى '0.05' للفرق بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية في كل المحاور السبعة ألعوان الجسدي والعدوان اللفظي والتخريب والعدوان الرمزي والعدوان الموجه نحو الذات والعدوان وسرعة الاستثارة" ومنه فان هذه المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج تعدل سلوكهم العدواني.

12-2-2: الاستنتاجات الخاصة بالفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلية والقياسات البعدية في استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة التجريبية حيث أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي لتحليل الذات هي (0.00) وهي اقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي وكذلك أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للاستبيان السلوك العدواني هي (0.00) وهي اقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) (مما يعني توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي ومنه يمكن القول أن

الفرضية الثانية تأكدت صحتها وان المجموعة التجريبية تأثرت بالبرنامج بمعنى أن هناك تعديل في السلوك العدواني.

12-2-3: مناقشة نتائج الفرضية الثانية: تنص الفرضية على انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في القياسات القبليّة والبعديّة لدى أفراد العينة التجريبية لصالح القياسات البعديّة، ومن نتائج الدراسة الميدانية وبعد تحليلها إحصائياً تبين لنا مايلي من الجدول رقم(5) والجدول رقم(6) لكل من الاستبيان والقياس هذه النتائج المتوصل إليها تثبت صحة وتحقيق الفرضية الثانية وهذا أن المجموعة التجريبية قامت بتطبيق البرنامج المسطر من طرف الباحث ويمكن القول أن السلوك العدواني للمجموعة التجريبية قد تأثر بممارسة النشاط البدني الرياضي التنافسي من سلوك سلبي إلي سلوك ايجابي وهذا ما اتفقت معه الدراسة التي قام بها السحيمي حيث افترض وتحققت فرضيته حيث تنص الفرضية توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات المجموعة التجريبية في السلوك العدواني قبل وبعد تطبيق البرنامج لصالح القياس البعدي .

وبالنظر إلي كل محاور المقياس الأربعة وكذلك استبيان السلوك العدواني بمحاوره السبعة فنلاحظ حسب نتائج الإحصاء أن جل المحاور قد تغيرت في الدرجات بين القياس القبلي القياس البعدي ومنه يمكننا القول أن السلوك العدواني لدي فئة الأحداث في خطر معنوي قد تغيرت من السلبي إلي الايجابي وهذا حسب إجابتهم القبليّة والبعديّة.

12-3: عرض وتحليل ومناقشة النتائج الخاصة بالفرضية الثالثة : توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في القياسات البعديّة الاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية (كرة القدم) لصالح المجموعة التجريبية.

جدول رقم: (9): نتائج اختبار (ت) لمقياس تحليل الذات نوع الرياضة المطبقة كرة القدم

المحاور	المجموعة	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبارات	درجة الحرية	مستوى الدلالة
التهجم	الضابطة	البعدي	25.14	3.61	2.72	26	0.01 دال
	التجريبية	البعدي	28.43	2.71			
العدوان اللفظي	الضابطة	البعدي	23.07	3.20	2.90	26	0.01 دال
	التجريبية	البعدي	26.36	2.79			
سرعة الاستثارة	الضابطة	البعدي	20.29	2.70	1.87	26	0.07 غير دال
	التجريبية	البعدي	22.29	2.95			
العدوان الغير مباشر	الضابطة	البعدي	17.71	1.86	3.61	26	0.00 دال
	التجريبية	البعدي	21.14	3.03			
تحليل الذات	الضابطة	البعدي	86.21	8.79	3.80	26	0.00 دال
	التجريبية	البعدي	98.21	7.88			

بالنظر إلي الجدول رقم⁹ يبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على مستوى مقياس تحليل الذات وبعد عرض لكل المحور فان للاختبار القبلي يساوي 86.21 والاختبار البعدي يساوي 98.21 ووجدنا أن قيمة ت² 0.61 و مستوى الدلالة 0.00 وبالتالي هناك فروق ذات دلالة إحصائية للمتوسطات الحسابية للاختبار القبلي والبعدي 0.00 اقل من 0.01 وبالتالي دالة إحصائيا.ومن الجدول السابق الذكر نجد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة ت² المحسوبة للمحاور الأربعة تبعا للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية لمقياس تحليل الذات وباستعراض قيم مستوي الدلالة المرافق لقيمة ت² المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.01 نجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور الأربعة على التوالي (التهجم، العدوان اللفظي، العدوان الغير مباشر) كانت (0.01-0.00) مما يعني توجد فروق ذات دلالة إحصائية للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية إلا في المحور سرعة الاستثارة فإنها غير دالة إحصائيا.و كانت قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي هي (0.00) وهي اقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي .

جدول رقم: (10): نتائج اختبار (ت) لاستبيان السلوك العدواني نوع الرياضة المطبقة كرة القدم

المحاور	المجموعة	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار ت ²	درجة الحرية	مستوى الدلالة
العدوان الجسدي	الضابطة	البعدي	8.43	1.60	2.84	26	0.01
	التجريبية	البعدي	10.21	1.72			دال
العدوان اللفظي	الضابطة	البعدي	8.36	1.78	3.32	26	0.00
	التجريبية	البعدي	10.86	2.18			دال

0.00 دال	26	3.34	1.09	7.50	البعدي	الضابطة	التخريب
			1.58	9.21	البعدي	التجريبية	
0.01 دال	26	2.77	1.67	9.79	البعدي	الضابطة	العدوان الرمزي
			2.71	12.14	البعدي	التجريبية	
0.00 دال	26	4.68	0.63	6.64	البعدي	الضابطة	العدوان الموجه نحو الذات
			1.22	8.36	البعدي	التجريبية	
0.00 دال	26	3.80	1.44	10.07	البعدي	الضابطة	العناد
			1.64	12.29	البعدي	التجريبية	
0.00 دال	26	3.42	1.74	10.64	البعدي	الضابطة	سرعة الاستئارة
			2.41	13.36	البعدي	التجريبية	
0.00 دال	26	4.50	7.04	61.43	البعدي	الضابطة	استبيان السلوك العدواني
			10.30	76.43	البعدي	التجريبية	

بالنظر إلى الجدول رقم 10¹⁰ يبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على مستوى استبيان السلوك العدواني بالنسبة للاختبار القبلي يساوي 61.43 والاختبار البعدي يساوي 76.43 ووجدنا أن قيمة ت² 4.50 عند مستوى الدلالة 0.00 اقل من 0.01 وبالتالي دالة إحصائية. ومن الجدول السابق الذكر نجد قيم

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" المحسوبة للمحاور السبعة تبعا للاختبار القبلي والبعدى للمجموعة التجريبية للاستبيان وباستعراض قيم مستوى الدلالة المرافق لقيمة "ت" المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.01 تجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور على التوالي (العدوان الجسدي، العدوان اللفظي، التخريب، العدوان الرمزي، العدوان الموجه نحو الذات، العناد، سرعة الاستثارة) كانت (0.01-0.00-0.00-0.01-0.00-0.00-0.00) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية للاختبار القبلي والبعدى للمجموعة التجريبية. وكانت قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للاستبيان الكلي هي (0.00) وهي أقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي.

12-3-1: تفسير نتائج محاور المقياس والاستبيان للمجموعة التجريبية للنشاط الجماعي كرة القدم

*مقياس تحليل الذات: دلت النتائج في هذا المقياس على أن هناك دلالة إحصائية عند مستوى '0.05' للفرق بين القياس القبلي والبعدى للمجموعة التجريبية للنشاط الجماعي كرة القدم في كل المحاور الأربعة ألتهمج والعدوان اللفظي وسرعة الاستثارة والعدوان غير المباشر" ومنه فان هذه المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج تعدل سلوكهم العدوانى بهذا النشاط الجماعي كرة القدم.

*استبيان السلوك العدوانى: دلت النتائج في هذا الاستبيان على أنه هناك دلالة إحصائية عند مستوى '0.05' للفرق بين القياس القبلي والبعدى للمجموعة التجريبية للنشاط الجماعي كرة القدم في كل المحاور السبعة أالعدوان الجسدي والعدوان اللفظي والتخريب والعدوان الرمزي والعدوان الموجه نحو الذات والعناد وسرعة الاستثارة" ومنه فان هذه المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج تعدل سلوكهم العدوانى بهذا النشاط الجماعي كرة القدم.

12-3-2: الاستنتاجات الخاصة بالفرضية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلي والقياسات البعدية في استبيان السلوك العدوانى

ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة التجريبية للنشاط الجماعي كرة القدم حيث أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي لتحليل الذات هي (0.00) و هي اقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي وكذلك أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للاستبيان السلوك العدواني هي (0.00) و هي اقل عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس والاستبيان ومنه يمكن القول أن الفرضية الثالثة تأكدت صحتها وان المجموعة التجريبية تأثرت بالبرنامج الخاص بالنشاط الجماعي كرة القدم بمعنى أن هناك تعديل في السلوك العدواني. ومنه فان ممارسة النشاط البدني الرياضي الجماعي المتمثل في رياضة كرة القدم تكسب الفرد لياقة بدنية عالية و هذه اللياقة البدنية تمنح الممارس قدرات و مهارات ذهنية عالية و هذا ما أكدته كثير من الأبحاث و الدراسات .

12-3-3: مناقشة نتائج الفرضية الثالثة: تنص الفرضية على انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في القياسات البعدية الاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية (كرة القدم) لصالح المجموعة التجريبية ومن الجدول رقم (7) والجدول رقم (8) نجد مستوى الدلالة لمقياس تحليل الذات 0.00 وهي دالة إحصائيا ونجد 0.00 مستوى دلالة لاستبيان السلوك العدواني وهي دالة إحصائيا وعليه نؤكد صحة الفرضية الثالثة وهذه النتيجة تتفق مع فرضية التي وضعها الباحث صبحي عبد الفتاح محمد الكفوري حيث تنص الفرضية هناك فروق دالة إحصائيا بين التطبيق القبلي والتطبيق البعدي لمجموعة التدريب على مهارات الاجتماعية لصالح التطبيق البعدي. وعليه يمكن القول بعد تحقق الفرضية أن رياضة كرة القدم لها اثر في نفوس كل الأطفال والمراهقين وبجزم أنها رياضة شعبية تعمل بالتعاون في الجماعة والأهداف الواحدة وهذا في إطار التنافس مما أدى إلي تعديل في السلوك للمجموعة التجريبية. وكما تتفق هذه الفرضية مع

الفرضية التي وضعها الباحث قاسمي فيصل وهي توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العلاقات الاجتماعية والسمات الانفعالية أثناء ممارسة النشاط الرياضي الجماعي بين الجنسين.

12-4: عرض وتحليل ومناقشة النتائج الخاصة بالفرضية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في القياسات البعدية الاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية الفردية (الكرة الحديدية) لصالح المجموعة التجريبية. جدول رقم: جدول رقم: (11): نتائج اختبار (ت) لمقياس تحليل الذات نوع الرياضة المطبقة الكرة الحديدية

المحاور	المجموعة	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
التهجم	الضابطة	أبعدي	21.00	8.19	0.55	4	0.61 غير دال
	التجريبية	أبعدي	24.67	8.08			
العدوان اللفظي	الضابطة	أبعدي	30.33	2.31	1.86	4	0.14 غير دال
	التجريبية	أبعدي	33.67	2.08			
سرعة الاستثارة	الضابطة	أبعدي	16.67	5.51	1.05	4	0.35 غير دال
	التجريبية	أبعدي	21.00	4.58			
العدوان الغير مباشر	الضابطة	أبعدي	16.00	7.81	1.05	4	0.35 غير دال
	التجريبية	أبعدي	22.00	6.08			

0.37	4	1.01	22.61	84.00	البعدي	الضابطة	تحليل الذات
غير دال			19.09	101.33	البعدي	التجريبية	

بالنظر إلي الجدول رقم "11" يبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية التي طبقت النشاط الفردي الكرة الحديدية على مستوى مقياس تحليل الذات وبعد عرض لكل المحور فان للاختبار القبلي يساوي 84.00 والاختبار البعدي يساوي 101.33 ووجدنا أن قيمة "ت" 1.01 عند مستوى الدلالة 0.37 وبالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية للمتوسطات الحسابية للاختبار القبلي والبعدي 0.37 اكبر من 0.05 وبالتالي غير دالة إحصائيا.

ومن الجدول السابق الذكر نجد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" المحسوبة للمحاور الأربعة تبعا للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية لمقياس تحليل الذات وباستعراض قيم مستوى الدلالة المرافق لقيمة "ت" المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.05 نجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور الأربعة على التوالي (التهجم، العدوان اللفظي، سرعة الاستثارة، العدوان الغير مباشر) كانت (0.61-0.14-0.35-0.35) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية. و كانت قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي هي (0.37) وهي اكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.01) مما يعني لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي.

جدول رقم: جدول رقم: (12): نتائج اختبار (ت) لاستبيان السلوك العدواني
نوع الرياضة المطبقة الكرة الحديدية

المحاور	المجموعة	الاختبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار t	درجة الحرية	مستوى الدلالة
العدوان الجسدي	الضابطة	البعدي	9.67	0.58	2.68	4	0.06 غير دال
	التجريبية	البعدي	11.67	1.15			
العدوان اللفظي	الضابطة	البعدي	9.00	1.00	1.26	4	0.27 غير دال
	التجريبية	البعدي	10.33	1.53			
التخريب	الضابطة	البعدي	8.33	0.58	2.50	4	0.07 غير دال
	التجريبية	البعدي	10.00	1.00			
العدوان الرمزي	الضابطة	البعدي	10.67	1.15	2.65	4	0.06 غير دال
	التجريبية	البعدي	13.00	1.00			
العدوان الموجه نحو الذات	الضابطة	البعدي	5.33	0.58	3.13	4	0.04 دال
	التجريبية	البعدي	7.67	10.15			
العناد	الضابطة	البعدي	9.00	1.00	3.67	4	0.02 دال
	التجريبية	البعدي	12.00	1.00			
سرعة الاستثارة	الضابطة	البعدي	10.00	1.00	2.00	4	0.12 غير دال
	التجريبية	البعدي	11.33	0.58			

0.06	4	5.88	2.00	62.00	البعدي	الضابطة	استبيان السلوك العدواني
غير دال			3.61	76.00	البعدي	التجريبية	

بالنظر إلي الجدول رقم "12" يبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على مستوى محورا لعناد فان للاختبار القبلي يساوي 9.00 والاختبار البعدي يساوي 12.00 ووجدنا أن قيمة "ت" 3.67 عند مستوى الدلالة 0.02 اقل من 0.05 وبالتالي دالة إحصائيا. ويبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على مستوى محور سرعة الاستثارة بالنسبة للاختبار القبلي يساوي 10.00 والاختبار البعدي يساوي 11.33 ووجدنا أن قيمة "ت" 2.00 عند مستوى الدلالة 0.12 أكبر من 0.05 وبالتالي غير دالة إحصائيا.

ويبين أن المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية على مستوى استبيان السلوك العدواني بالنسبة للاختبار القبلي يساوي 62.00 والاختبار البعدي يساوي 76.00 ولوجود هذا الفرق بينهما ووجدنا أن قيمة "ت" 5.88 دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.06 أكبر من 0.05 وبالتالي غير دالة إحصائيا. ومن الجدول السابق الذكر نجد قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" المحسوبة للمحاور السبعة تبعا للاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية للاستبيان وباستعراض قيم مستوي الدلالة المرافق لقيمة "ت" المحسوبة ومقارنتها بالقيمة 0.05 نجد أن قيم مستوى الدلالة المحسوبة للمحاور على التوالي (العدوان الجسدي، العدوان اللفظي، التخريب، العدوان الرمزي، العدوان الموجه نحو الذات،العناد،سرعة الاستثارة) كانت (0.06-0.07-0.01-0.06-0.04-0.02-0.12) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية.

و كانت قيمة مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة الاستبيان الكلي هي (0.06) و هي اكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.05) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاستبيان الكلي.

12-4-1: تفسر نتائج محاور المقياس والاستبيان للمجموعة التجريبية للنشاط الفردي الكرة الحديدية

*مقياس تحليل الذات: دلت النتائج في هذا المقياس على أنه ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ' 0.05 ' للفرق بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية للنشاط الفردي الكرة الحديدية في كل المحاور الأربعة "التهجم والعدوان اللفظي وسرعة الاستثارة والعدوان غير المباشر" ومنه فان هذه المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج لم يتعدل سلوكهم العدواني بهذا للنشاط الفردي الكرة الحديدية.

*استبيان السلوك العدواني: دلت النتائج في هذا الاستبيان ليس هناك ذات دلالة إحصائية عند مستوى ' 0.05 ' للفرق بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية النشاط الفردي الكرة الحديدية في المحاور الخمسة "العدوان الجسدي والعدوان اللفظي والتخريب والعدوان الرمزي وسرعة الاستثارة " ودلت النتائج في المحورين العدوان الموجه نحو الذات ومحور العناد انه هناك فروق ذات دلالة إحصائية ومنه فان هذه المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج لم يتعدل سلوكهم العدواني بهذا النشاط الفردي الكرة الحديدية. وهذا بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية للاستبيان الكلي حيث بلغ مستوى الدلالة " 0.06 " وهي اكبر من 0.05 .

12-4-2: الاستنتاجات الخاصة بالفرضية الرابعة: لا فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القبلي والقياسات البعدية في استبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات لدى أفراد العينة التجريبية للنشاط الفردي الكرة الحديدية حيث أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للمقياس الكلي لتحليل الذات هي (0.37) وهي اكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.05) مما يعني لا توجد فروق

ذات دلالة إحصائية في المقياس الكلي وكذلك أن مستوى الدلالة المرافقة لقيمة (ت) المحسوبة للاستبيان السلوك العدواني هي (0.06) وهي أكبر عند مقارنتها بالقيمة (0.05) مما يعني لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المقياس والاستبيان ومنه يمكن القول أن الفرضية الرابعة لم تتحقق وإن المجموعة التجريبية المطبقة للنشاط الفردي الكرة الحديدية لم تتأثر بالبرنامج الخاص بالنشاط بمعنى أن السلوك العدواني لديهم بقيا ثابت.

12-4-3: مناقشة نتائج الفرضية الرابعة: تنص الفرضية على أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في القياسات العدية الاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية التنافسية الفردية (الكرة الحديدية) لصالح المجموعة التجريبية ومن الجدول رقم (9) والجدول رقم (10) نجد مستوى الدلالة لمقياس تحليل الذات 0.37 وهي غير دالة إحصائياً ونجد 0.06 مستوى دلالة لاستبيان السلوك العدواني وهي غير دالة إحصائياً وعليه لم تتأكد الفرضية الرابعة وعليه فإن النشاط الفردي لا يعطي نتيجة في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي.

13: الاستنتاجات: الدراسة الحالية هي ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية وتعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي حيث طبق مقياس تحليل الذات المتكون من أربعة محاور واستبيان السلوك العدواني والمتكون من سبعة محاور وبعد تحليل وإثراء متغيرات البحث نظرياً وتطبيق مقياس تحليل الذات واستبيان السلوك العدواني على عينة مكونة من 34 حدث من المركز المختص لإعادة التربية لولاية الوادي. وبعد جمع البيانات وعرضها ومعالجتها إحصائياً ومناقشة نتائج الدراسة ومقارنتها ومناقشتها مع الدراسات السابقة توصلنا الاستنتاج ما يلي:

أولاً: كشفت الدراسة الحالية أن ممارسة الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية دور إيجابي في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي وهذا بإجراء منافسات خارج المركز مع تلاميذ من المؤسسات

ثانيا: بينت الفرضية الأولى من الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية للمجموعة الضابطة في القياس القبلي والبعدي وتأكدت الفرضية بمعنى أن غير الممارسين للنشاط فان سلوكهم بقي ثابت ولم يتغير رغم وجودهم في مركز يهتم بهم من الجانب الاجتماعي والنفسي.

ثالثا: أظهرت نتائج الدراسة الحالية انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في القياسات البعدية الاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية الرياضية التنافسية (كرة القدم) لصالح المجموعة التجريبية وعليه فان رياضة كرة القدم أثرت في سلوك المجموعة التجريبية دون الضابطة من الاتجاه السلبي إلى الاتجاه الايجابي.

رابعا: أشارت نتائج الدراسة الحالية إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في القياسات البعدية الاستبيان السلوك العدواني ومقياس تحليل الذات تعزى لمتغير الأنشطة البدنية التنافسية الفردية (الكرة الحديدية) لصالح المجموعة التجريبية وحسب النتائج الإحصائية فان المجموعة الضابطة والتجريبية لم تتأثر برياضة الكرة الحديدية ولم تتحقق الفرضية مما يمكن القول أن هذه الرياضة لم تعطي الهدف المنشود وهو تعديل السلوك.

14:الاقتراحات:

*إعطاء النشاط البدني الرياضي الحجم الساعي الكافي ضمن برنامج المركز المختصة لإعادة التربية نظرا لدوره المهم في تنمية القدرات البدنية والعقلية.

*توظيف مختصين في النشاط الرياضي بالمراكز وفقا لأهداف النشاط البدني الرياضي والتي تحقق التنمية البدنية و النفسية و الاجتماعية و العقلية و التركيز على قدرات التفكير باعتباره أرقى أنواع القدرات العقلية.

*ضرورة الاهتمام بالنشاط البدني الرياضي التنافسي لأنه يوفر للحدث خلق جو تنافسي مع تلاميذ من المؤسسات التربوية مما يدفعه فتح مجال التعاون والأخوة والمحبة كما يكون له فرصة الاندماج الاجتماعي.

* العمل على إجراء بطولات بين مراكز إعادة التربية تضم مجموعة من الرياضات حسب رغبة الحدث مما يفتح مجال الموهبة والاكتشاف للمختصين في الرياضة.

* القيام بدراسات و بحوث تبرز العلاقة بين السلوك و النشاط البدني الرياضي باعتباره يمثل ميدان من ميادين التربية ويستحق الدراسة والبحث .

الخاتمة:

عرف الإنسان منذ القدم أساليب كثيرة في تعديل السلوك واستخدمها في حياته مع بني البشر، وقد أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من الأساليب العلاجية التي يمكن استخدامها في تعديل السلوك وتقويمه، ومن ذلك ما ورد بشأن علاج نشوز المرأة، حيث قال الله تعالى " واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا" (النساء:34).

وقد اشتملت هذه الآية على أسلوبيين من أساليب تعديل السلوك هما: أسلوب العقاب السليبي (المهجر) وأسلوب العقاب الايجابي (الضرب) ويسبقهما أسلوب عقلي معرفي هو (الوعظ).

ويعتبر انحراف الأحداث ظاهرة خصت كل المجتمعات قديما وحديثا بسبب العديد من العوامل المتفاعلة فيما بينها والتي تختلف من مجتمع إلي آخر وهذه الدراسة التي قمنا بها هي ربط العلاقة بين النشاط البدني الرياضي وفئة الأحداث في خطر معنوي وهذا من اجل تعديل السلوك العدواني لديهم ، فلقد أصبحت الرعاية الاجتماعية والتكفل الحقيقي بمختلف الفئات الخاصة أحد أهم مميزات المجتمعات الراقية والتي تهدف إلى الحماية أو إعادة التأهيل للمساعدة على إدماج هذه الفئات في المجتمع وفق المعايير الاجتماعية بما يتوافق مع المتطلبات الحالية والتي تسمح للطفل والمراهق بتحقيق حاجياته ورغباته الذاتية والتي تمثل إحدى أهم الغايات التي تصبوا إليها سائر الأمم بقصد التدخل الواعي المخطط لإحداث تغير مقصود به توافق الإنسان وتحسين أدائه الاجتماعي للأدوار

والوظائف التي يضطلع بها في عالم اليوم. الأحداث هم الأطفال والمراهقين الذين ينحرفون عن قيم المجتمع وقوانينه ويرتكبون أفعالاً تضعهم تحت طائلة القانون وينتهكون به حقوق الآخرين .

وقد قمنا بتقسيم الدراسة إلي جانبين .الجانب النظري الذي رصدنا فيه المعلومات التي تقدم البحث فكان لابد من التعريف بالممارسة الرياضية وكذلك أهمية النشاط البدني الرياضي التنافسي والتعريف بالسلوك الإنساني عامة والسلوك العدواني بصفة خاصة كما تطرقنا إلي أساليب التعديل للسلوك والاهم في هذا الجانب وهو الأحداث في خطر معنوي حيث تطرقنا للجوانب القانونية للأحداث في الجزائر.

ثم الجانب التطبيقي و الذي يعتبر الأساس في الدراسة حيث يعمل على نفي أو صحة الفرضيات وما تنتج عنه من دلالات إحصائية فقد أكدت الدراسة صحت ثلاثة فرضيات من مجمل الأربعة التي وضعها الباحث ومن هنا نستنتج أهمية ممارسة النشاط الرياضي التنافسي في تعديل السلوك العدواني لدى فئة الأحداث في خطر معنوي.وتبقى نتائج بحثنا خاصة بمجموعة بحثنا وفي بيئة بحثنا أيضا ولا نستطيع تعميم النتائج المتوصل إليها حيث أنها تبقى نسبية نظرا لعدة أسباب ومتغيرات منها أن العينة ليست ممثلة للمجتمع ككل وهناك اختلاف في البيئة والظروف المعيشية والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأسرة

وبما أن النشاط البدني الرياضي يشكل محورا هاما تربويا وتعليميا فإنه أجدد أن يكون كذلك أو أكثر من ذلك لذوي الفئات الخاصة عامة والأحداث بصفة خاصة حيث أنه يتناسب مع مستواهم وقدراتهم وهو الذي لا يتطلب التحديد والدقة والانضباط قي القوانين والوقت وليس هدفه الربح وتحقيق النتيجة بخلاف النشاط الرياضي التنافسي على مستوى الأندية.

❖ هوامش البحث

- (1) العيسوي عبد الرحمان سيكولوجية الانحراف والجنوح والجريمة ط1 دار الكتب الجامعية بيروت، 2001، ص:18.
- (2) بشير معمريّة: **بحوث ودراسات في علم النفس**، منشورات الخبر تعاونية عيسات ايدير، ج3، الجزائر، 2007 ص:139-140
- (3) صالح حسن الداھري: **مبادئ الصحة النفسية**، دار وائل للنشر، عمان - الأردن، 2005، ص: 3236.
- (4) أبو العلاء احمد عبد الفتاح، أحسن نصر الدين سيف: **فيزيولوجيا اللياقة البدنية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص25.
- (5) ابن منظور جمال الدين محمد: **لسان العرب الجزء الحادي عشر**، الدار العصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون تاريخ، ص18.
- (6) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: 2.
- (7) ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ص20.
- (8) محمد حسن علاوي، **سيكولوجية التدريب والمنافسات**، ط7، القاهرة، دار المعارف، 1992، ص138 .
- (9) رحايلية محمد أمين: **الطفولة الجانحة في الجزائر**، مجلة الأفق التربوي، المركز الوطني المتخصص بمؤسسات المعوقين، قسنطينة، العدد1، 1991، 09، ص1.
- (10) فتوح عبد الله الشاذلي: **قواعد الأمم المتحدة في تنظيم قضايا الأحداث**، دراسة تاصيلية مقارنة بقوانين الأحداث العربية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ص27-28.
- (11) محمد عبد القادر قواسمية، مرجع سبق ذكره، ص 17.

(12) محمد حسن علاوي: علم النفس الرياضي، دار المعارف للطبع والنشر، القاهرة، 1992، ص: 23 .

(13) محمد حسن علاوي: موسوعة الاختبارات النفسية للرياضيين، مركز الكتاب للنشر، 1998، ص ص 472-473-474.

الدراسات باللغة الأجنبية

Revue des Sciences de l'homme et de la Société



**Périodique international à comité de lecture Publié par
la Faculté des Sciences Humaines et Sociales**

Université Biskra- Algérie

ISSN 2253-0347

Dépôt Légal 1695-12

Juin 2014

N°10

The Origins and development of Arabism and the Arab Identity

Dr .Omar Assous

University of Guelma, Algeria

الملخص:

يتناول هذا المقال مفهوم الحس العربي القومي وعلاقته بالهوية العربية مركزا على أهم المحطات التي مر بها منذ النشأة في العهد العثماني قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، حتى تحول إلى نضال قومي يصبو إلى إقامة وحدة عربية قائمة على عناصر الهوية العربية الواحدة المتمثلة في اللغة والثقافة والدين والرقعة الجغرافية المتصلة الممتدة من النهرين إلى المحيط الأطلسي. كما يتطرق إلى العوائق المؤدية إلى اضمحلاله وعدم توصله لتحقيق الوحدة العربية.

Abstract:

This article deals with the concept of Arab nationalism and/ or Arabism in terms of its rise and decline, focusing on its meaning and the factors which led to its emergence ever since the Ottoman Empire until now as well as the obstacles preventing Arabs from achieving the Arab unity despite their nationalism.

Introduction :

In attempting to define the Arab identity, one may ask the following questions: "who are the Arabs?" Have they always been one nation? What is Arab nationalism or Arabism? What role if any, did or can Arabism play in unifying the Arab nation?

According to (Duri, 1987), the Iranian Cuneiform writings of the Achaemenids applied the word ' Arab' to the Bedouins who inhabited the land extending from the Euphrates to Egypt.

As well, Greek and Roman writings used the word ' Arabia' to refer to the Arabian peninsula and its inhabitants while not limiting the land of Arabs to the Arabian peninsula and extending it as far as " *the southern part of Syria, the Sinai peninsula and eastern Egypt between the Nile and the sea*" (Duri, 1987:7).The current definition, however, applies the word ' Arab' to anyone who speaks Arabic as his or her native language.

The word 'Arabic' which refers to the language spoken by Arabs was mentioned in many verses of the *Quran*. In his ' *Hadith*', the prophet Muhammad referred to 'Arab' to depict the town dwellers while he used Arabic to refer to the Arabic language which was spoken by both Bedouins and city dwellers. So, Arabic language was and still is a unifying medium of communication for the people who spoke it then and speak it now thus playing a crucial element in determining the Arab sense of Identity.

Arabs lived in dark ages called ' *Jahilyya*' when the prophet Muhammad was being inspired by the message of Islam. After embracing Islam in the seventh century, they started the propagation of the word of god ' the Islamic faith'. They

covered the whole of southwestern Asia, the whole of North Africa thus reaching the Iberia peninsula. As a result, the Muslim faith became a unifying factor among the peoples of the conquered lands thereby enabling them to adopt the language of Quran, Arabic as their *lingua franca*. Hence, Islam became the third element of unity after Arabic language and culture for the Arab Muslim Empire. Thus, albeit some Arabs remained Christian or Jews, Islam became the religion of the overwhelming majority of the Arabs and non-Arabs. Thus, one can conclude that Arabs have always been one nation.

However, the fall of the Arab Islamic Empire gave way to the Ottoman Empire under the leadership of a Turk Caliphate. The Ottoman Empire extended from Persia to Europe on the north and reached North Africa on the south. During the Ottoman rule, especially under *Solaiman* the magnificent (1520- 1566), the Arabs endured many sorts of oppression: heavy taxation, Turkification, racism and the like (Hoskins, 1954). This situation coupled with other political circumstances triggered some kind of revolt against the Ottoman Turks expressed in claims of administrative reforms, recognition of their language, culture and socio-economic rights (Duri, 1987).

These movements took a nationalist tone expressing the particularity of Arabs as the largest subject nationality of the Ottoman Empire and thus their right for some kind of political and cultural autonomy within the framework of the Ottoman Empire. As well, the Arab nationalist movement continued to be expressed even after the departure of the Ottomans but this time as a reaction to the colonizing European powers especially Britain and France and Western imperialism as a whole.

This nationalist movement was termed Arabism by some scholars. This article will trace the evolution of this concept ever since its emergence in the early nineteenth century until now, the beginning of the twenty first century.

In order to deal with Arabism, this concept is going to be used as equivalent to Arab nationalism when it has to do with Pan-Arab affairs, this article will be divided as follows:

- 1- The definition of Arab nationalism and/or Arabism.
- 2- The origin of Arab nationalism and/ or Arabism.
- 3- Pre-World War I Arab nationalism and/ or Arabism.
- 4- The role of cultural and political societies in the spread of Arab nationalism and/ or Arabism.
- 5- Post-World War I revolutionary Arab nationalism and/ or Arabism
- 6- The decline of Arab nationalism and/ or Arabism.
- 7- The future of Arab nationalism and/or Arabism

1- Definition of Arab nationalism and/ or Arabism:

Defining nationalism, Shafer, (1955: 6) argued that nationalism can mean various meanings:

"1- *The love of a common social, race, language, or historical culture.*

2- *A desire for political independence, security, and prestige of the nation.*

3- *A mystical devotion to a vague, sometimes even supernatural, social organism which, known as the nation or "folk", is more than the sum of its parts.*

4- *The dogma that the individual lives exclusively for the nation with the corollary that the nation is an end in itself.*

5-*The doctrine that the nation (the nationalist's own) is or should be dominant if not supreme among other nations and should like aggressive actions to this end" (Shafer 1955). While Shafer saw nationalism as a compound of all the latter definitions, Silver (1967:18) argued that the term nationalism is composed of four concepts:*

"1- *The judicial concept has to do with the legal relationship between individuals and the state and among states internationally".*

2- *The symbolic concept means the " stock of patriotic symbols enveloping such common cultural characteristics as language, dress and food habits, and the expression of respect for familiar surroundings, the flag, the anthem, and so on",*

3- *The ideological concept meaning" those bodies of political thought concerning the characteristics of the nation, and the means to be employed for seeking national goals and for discriminating between state power and individual rights".*

4- *The social value concept or nationalism " in terms of the norm defining the loyalty due to fellow citizens and the activities of the state within the national society, and the internalized feeling of national community".(Tibi:1981:90)*

From the latter definitions, it is clear that nationalism "reflects *inwardly-oriented feelings and actions, and prejudice and discrimination against members of the out-groups*" (Makhlouf, 1970: 15). Arabism, however, is a larger version of Arab nationalism. That is, to say, an organized movement in the name of Arab people.

The Arab National Congress held in Jerusalem in December, 1939, defined Arabism as the desire of Arabs for the creation of an independent Arab entity that includes the various Arab countries (al-Solh, 2003), whereas Goldschmidt. Jr defined it as follows: "*simply put, it is the belief that Arabs constitute a single political community (or nation) and ought to have a common government*" (Goldschmidt, 1979: 181)

As well, Barakat argued that Arabism means the desire to feel and live the Arab national identity which comprises elements such as "language, *common culture, geography or shared history*" (Barakat, 1993:32). Thus, Arab nationalism or Arabism is all the activities and efforts exercised in order to regain the Arab sense of nationhood which is based on what is common among Arabs " *namely, language, culture, sociopolitical experiences, economic interests and collective memory of their place and role in history*" (Barakat, 1993:33).

2- The Origin of Arab nationalism and/ or Arab Arabism:

Nationalism in the name of the Arab people (Arabism) emerged first in Greater Syria (present time Syria, Lebanon, Palestine and Jordan). The Syrian nationalism based on Arabism was influenced by Turkish nationalism when a group of young Turkish intellectuals formed a movement oriented toward the importance of the political order in the Ottoman Empire.

According to Tibi, (1981:90), "*in the pre-colonial period Arab nationalism was formulated by the Syro- Lebanese Western educated intellectuals who sought to introduce liberal freedoms and bourgeois democracy on Western lines in the framework of secular Arab state..... to point to the existence of an Arab people who were different from the Turks by referring back to classical Arabic literature. Then equality and national cultural autonomy within the Ottoman Empire were demanded for this Arab nation. In both cases the advanced bourgeois society of the West was the model*". (Tibi, 1981:90),

As a result, Arab Ottomans regarded the 1908 coup carried out by the young Turks with high favor because they thought it will put an end to the old Ottoman regime and gave them hope for autonomy and political democracy. Unfortunately, this same Turkish movement shattered their hopes by embracing a program of ruthless turkification.

This kind of Turkish nationalism had a great effect on the transformation of Arab nationalism from mere demands for improving socio-economic conditions into a dynamic political program (Hoskins, 1954).Furthermore, Arab nationalism (Arabism) in Syria was also influenced by the establishment of French schools in Beirut, Damascus, Aleppo, Jaffa and Jerusalem. These schools were essential in inculcating the French revolution's ideals: freedom, equality, and brotherhood (liberate, *égalité et fraternité*) values which have been already conveyed by Islam. As well, American missionary schools, especially the Syrian Protestant College founded in 1866 which became later the American university of Beirut, had their important influence on the consciousness of the Arabs as a different entity.

Yet, North African nationalism emerged in quite a different framework from that of Egypt and Syria. While North African nationalism stressed Islam and Arabic language as its basis, other movements in the Middle East emphasized an Arabism limited to Islam or the classical Arabic heritage. This diversity of consciousness, which was the result of the prevailing circumstances in each part of the Arab world, led to the emergence of different trends of Arabism as will be shown later.

According to Tibi (1981:91), "*Arab nationalism underwent a change of direction. Arab nationalism, once Francophile and partly, anglophile, changed with the British and French colonization of the area and became anti-British and anti-French, and germanophile*". With regard to how Arab nationalism became germanophile, Tibi argued that "*The germanophilia of Arab nationalism originated partly with the Arab nationalist officers of Al-'Ahd, who were trained by German instructors, and who shared their germanophilia with the young Turks. These officers only took part in the pro-British Arab revolt after considerable hesitation, and the British 'betrayal' of the Arab cause once more strengthened their germanophilia, especially as German policy in the Middle East was always directed against British and French colonial intention in the area, and, was misinterpreted by the Arab officers as anti-colonial*" (Tibi 1981:92),

In order to trace the emergence of Arabism, two periods will be considered: 1) - the pre-World War I period which has known three trends of nationalism and 2)- the post-World War I period in which the revolutionary Arab nationalism or Arabism has emerged.

3 - Pre-World War I period of Arab nationalism and / or Arabism

Threatened by western powers, the Ottoman Empire during the era of Abdulhamid II adopted a harsh policy based on highly centralized form of authority in order to prevent the emergence of separatist movements and all manifestations of intellectual awakening. By applying the centralization of administration that ruled Arab provinces from Istanbul, Abdulhamid strengthened his Pan-Islamic idea by the creation of the Islamic league (*Al jami'a al-islamiya*). By doing so, he thought he could buttress the empire in the face of western threat, on the one hand, and oppose any attempt aspiring for an Arab Caliphate, on the other (Duri, 1987). Sultan Abdulhamid invited Jamal al-Din al Afghani who is a proponent of the Islamic league and made him stay there surrounded by a group of *Ulama*, *shaykhs* and *Sufis* (Duri, 1987).

In addition, Abdulhamid appointed some of the Arabs in high ranking military and civilian positions and built a railway to Hijaz in the hope of winning the devotion of Arab Muslims. He also tried to apply the 1869 education law by founding government schools in the main cities in Syria (elementary and secondary levels in addition to military preparatory schools while putting private schools under government control (Duri, 1987). Adulhamid's developmental activities were motivated by:

- Suspicion and fear of missionary secondary schools.
- The need for civil servants, and
- The fear from the increasing level of Arab political consciousness of their rights as a different ethnic nationality, a matter that can lead to the separation of Arab provinces.

It is worthwhile to mention that these schools conducted their programs in Turkish and French while Arabic language received almost no attention. Ironically, Arabic was taught in private and foreign schools. Regardless of these difficulties, Syrian and Iraqi students who completed their secondary school levels pursued their higher education in Istanbul. By reaching more Arabs, education was a determinant factor in the awakening and intensification of the nationalist consciousness among Arabs.

Examples of this nationalist consciousness are the dissenting voices of Arab intellectuals such as Rashid Rida (d 1935) al- Kawakibi (d 1902) and al-Zahraoui (1916) whose nationalist activities were either secret or went abroad as a result of the Ottoman oppression.

All the latter activists called for administrative reform and more autonomy to be given to Arabs within the framework of the Ottoman Empire at first then shifted to call for Arab independence from the Ottoman Empire in the Middle East. As Duri put it: "*the Arab consciousness in the final quarter of the nineteenth century was thus at first inclined to call for the improvement of conditions in the Arab lands and for catching up with the march of civilization _ hence the tendency to favour decentralized administration or autonomy*" (Duri, 1987: 185).

The Arab consciousness was based on Arabist and Islamic tone advocated the use of Arabic and its cultural heritage in the Arab lands.

The gradual weakening of the Ottoman empire and the threat of foreign invasion of Arab countries by European powers (France's occupation of Algeria in 1830 and Tunisia in 1881, Libya by Italia and Egypt by Britain) triggered a debate among Arab intellectuals who focused on the issue of national identity, the

redefinition of the concept of 'umma ' and the awakening of Arabs and the struggle for the achievement of the *nahda* (renaissance). As well, issues like whether to pursue reform through science or religion and what are the directions for the future of Arabs and which western innovations could Arabs adopt without compromising their religion and their value orientations were widely debated (Barakat, 1993).

Pre-World War I witnessed the emergence of three major trends of Arab nationalism which are :A)- The religious or '*salafiyya*' (Pan-Islamism) trend., B)- The modernizing liberal trend, C)- the progressive or radical (Pan-Arabism) trend and the founding of many cultural and political societies which prepared the soil for political activism (Barakat, 1993: 242).

A)- The religious or '*salafiyya*' or Pan-Islamism trend:

The religious trend was composed of two factions:

1)-the traditionalists represented by the '*ulama*' who worked for the Sultan as officials and advisors who enjoyed special privileges. The prominent figure of this trend is Abul-Huda al- Sayyadi who is an Arab from the Aleppo province. Al-Sayyadi worked as chief advisor for Sultan Abdul- Hamid.

2) - The reformers represented by Jamal- Eddin al-Afghani (1839-97), Muhammad Abdu (1849-1905) and Rashid Rida (1865- 1935). The latter sub trend diverged from the former in viewing the rejuvenation of the Islamic Caliphate.

The *sallafist* or Pan-Islamist trend as a whole advocated the rejuvenation of Islamic Caliphate "through *the return to the original sources and the purity of early Islam*" (Barakat, 1993: 243).

For example, Jamal Eddin al-Afghani (1839-1897) was the most prominent of the Islamic reformers. He called on "Muslims to unite and reform Islam both as a religion and as a civilization" (Barakat, 1993: 243) to stand in the path of the danger coming from Europe. Al-afghani offered two "contradictory *courses of action*" to remedy the sick Muslim community:

- 1) - He called for the "return to the original sources of Islam".
- 2) - "*The adoption of liberal European ideas and institutions, including western sciences, constitutional rule, communal unity, elections and national representation*" (Barakat: 1993: 244)

Thus, al Afghani and his student Muhammad Abdu used Islam as an anti-colonialist ideology which called for political action against Europe (Tibi, 1981:64). While .Accepting from Europe just "those elements of its civilization and culture which might strengthen Islam" (Tibi, 1981: 64). Like al-Afghani, Muhammad Abdu, an influential Egyptian reformer, who became an associate and student of al-Afghani feared the western wave for endangering the distinctive Arab Islamic character, hence he called for the assertion of Arab identity through the revival of classical Arabic defending it against regional dialects and the spread of foreign languages (Duri, 1987).

In developing an educational theory, Muhammad Abdu took into account the national awakening of the Egyptians thereby reducing al-Afghani's "*universal Synthesis of Islam with the European bourgeois idea of the nation to the smaller format of Egypt without giving up his opposition to the nationalists, even when their acceptance of Islam was not in doubt*" (Tibi, 1981:66).

Like his contemporary Muhammad Abdu, Muhammad Rashid Rida viewed the concept of Arab nationalism or Arabism as corollary to the concept of Islam and therefore returning to the early Islam necessarily meant an Arab revival. And by so doing, the revival of Arabic studies is an imperative task. For this purpose, the learning of Arabic was a must because its dissemination represents the realization of spreading and understanding of Islam. In view of the Turkification process, he declared that, in the long run, the welfare of Islam is best served by Arab independence (Duri, 1987).

Khayr Eddin al- Tunisi (1810- 1899) is another " *pioneering intellectual and statesman* " who expressed loyalty to the Islamic Caliphate and opposed the west while recognizing the need for western- inspired reform (Barakat, 1993: 243)

In his 1887 book, " *Aqwam al-masalik fi ma'rifat ahwal al-mamalik* (the straightest road to knowing the conditions of states), Khayr Eddin al-Tunisi tried to bring to the attention of the rulers and elite the dire need for modernization arguing that whatever can be of benefit for the " *umma*" such as the spread of science and learning should be adopted from Europe. As well, Muslims should not neglect "what *is praiseworthy in other civilizations*" (Barakat, 1993: 244).

These calls for reforms voiced by the latter Arab reformists, Jamal Eddin al-Afghani, Muhammad Abdu and Khayr Eddin al-Tunisi fail on deaf ears because the Ottoman Empire was holding firm to its despotism policy based on Turkification. Instead, the latter calls often led to the execution of many of these reformers by the Ottoman regime.

B-The liberal trend:

The liberal trend emerged during the second half of the nineteenth century. This trend called for the replacement of the Islamic "Umma" with a nationalist *Umma*. That is replacing "*theocracy with secularism and a backward-looking orientation with a future-looking one*" (Barakat, 1993: 245).

The emergence of this trend was attributed to "*the encounter with the west and the adoption of European ideas*" as well as "*some internal developments and transformations within the Ottoman empire*" such as administrative decentralization, "*the appearance of local and regional autonomous*" ruling families like Muhammad Ali in Egypt, the spread of education, the revival of ethnicity and classical Arab culture, the intensification of the region's Integration into the European economic system, and the rise of middle class (Barakat, 1993:245- 46).

Some prominent figures of this trend were Sheikh Rif't al-Tahtawi, Ahmed Faris al-Shidiaq (1804-1887), Butrus al-Bustani (1819-1983), Yacoub Sarrouf (1852- 1927), Qassem Amin (1863- 1908), Sudqi al-Zahawi (1863- 1936), Ahmed Lutfi al-Syyid (1872- 1936), to name but a few.

Shikh Rifa'a Rafi al-Tahtawi is an Egyptian intellectual who sojourned in Paris from (1826 – 1831). He thus became familiar with French patriotism during his stay in Paris. As a result, French patriotic influence was evident in his patriotic writings which came out after his return to Egypt. This influence was apparent in his famous work "*Takhlis al-ibriz fi talkhis Bariz*" (the Purification of Gold and the Summary of Paris). Sheikh Tahtawi showed his "*interest in the French constitution and political system, including the concept of equality before the law regardless of creed and rank*" (Barakat, 1993:246).

" Tahtawi translated the French Anthem, la marseillaise and used the Arabic word '*Watan* ' for the French word *patrie*. As well, he translated Montesquieu's Work "*Considérations sur les Causes de la Grandeur des Romains et de leur Décadence*" (Tibi, 1981: 6).

As well, in 1855 Sheikh Tahtawi published a collection of patriotic poems in which he praised the new ruler Said Pasha, and the Egyptian contingent which was sent to help the Turks in the Crimean war

This collection was followed by other patriotic poems in 1868 praising the returning Egyptian battalion from Mexico which formed part of Napoleon III expeditionary force (Lewis, 1994:77). Tahtawi mentions in his prose poems that "*love of the country is part of the faith*". For him, "*patriotism is the bond that holds the social order together to inculcate it in the young one of the primary purposes of education*" (Lewis, 1994: 77). Indeed, Tahtawi called on Egyptians to adopt "*Egyptian nationalism as an alternative to the religious umma*" (Barakat, 1993: 246).

Tahtawi believed that "*national brotherhood is most binding on members of the same watan*". As well, those who share the same *watan* abide by moral obligation to work together in order to "*improve and perfect its organization in all that concerns its honor and greatness and wealth*" (Barakat, 1993: 246).

Affected by the 1860 Lebanese civil war, Butress al-Bustani called "*for replacement of sectarianism with nationalism*" (Barakat, 1993: 246).

In line with his ideas, he worked very hard for the revival of knowledge and Arabic language. In fact, he authored an Arabic dictionary (*Al Muhit*) and an Arabic encyclopedia (*Da'irat al-ma'arif*).

In addition to these achievements, he founded a secular school called *al-Madrasa al-wataniyya* in 1860. This school was based on national rather than religious principles. In 1870, he created his fortnightly magazine *Al-Jinan* (the paradises) which carried the formula " *love of country is part of the faith*" as its motto. In his writings, *Al-Bustani* showed his loyal attachment to the Ottoman Empire while he spoke of his *watan* which is Syria as a province of the empire (Lewis, 1994: 79).

In 1847, assisted by the American missionaries and Nasif al-Yaziji, al-Bustani : founded the first literary society in the Arab world, *jam'iyyat al-Adab w'al-'ulum* (the literary and scientific society), whose members were exclusively Syrian Christian and European. In 1857, this society "*was superseded by al-Jam'iyya al-Islamiyya al-Suriyya (the Syrian Scientific Society), which included Western-educated Muslims and Druzes as well as Christian among its members*" (Tibi, 1981:77).

In his publications, "*al-Bustani reminds his readers that they had once reached such a high degree of civilization that all Arabs, both Christian and Muslims, could look back on that period with feelings of national pride*"(40) (Tibi, 1981:77). In order to reach Arab unity, al-Bustani called for religious tolerance and the separation of religion from politics.

With regard to the other members of the liberal trend, Yacoub Sarrouf and Nimr Faris, after having been terminated from the staff of the American university of Beirut for mysterious reasons, they published two articles in their magazine *Al-Muqtataf*. The first article that appeared in 1885 criticized the university's policy which tended to impose "*a particular creed on its pupils*" rather than spreading

learning in order to show their disappointment at the university's neglect to teaching in Arabic language.

The second article was restricted to criticizing the American University of Beirut (A.U.B) for teaching in English, rather than Arabic thereby limiting the number and advancement of Arab teachers.

Another prominent figure of the liberal trend is Qassem Amin (1863- 1908) who dealt with Arab women's cause that is women's liberation. In his two books "the liberation of women- 1899" and "the new woman, 1901", he defended Arab women's rights basing his arguments on "*concepts of individual freedom and the right of free expression and beliefs*" (Barakat, 1993: 248).

C- The progressive Radical trend:

This trend, like the liberal movement, put the stress on nationalism and secularism but, in addition to these two principles, it adopts socialism. Figures representing this trend are Abd al-Rahman al-Kawakibi (1849- 1902), Shibli Shumayyil (1850- 1917), and Farah Antun (1874- 1922).

Al-Kawakibi wrote two books " *Tabai al-istibdad*" and " *umm al-qura*" whereby he diagnosed the ills of Islamic society, attacked political despotism of the Ottoman sultans and asserted the special role of Arabs in Islam. With regard to the special role of Arabs in Islam, he pointed out that revival of Islam and the unity of faith can only be achieved by Arabs (Duri, 1987).

According to Duri, al –Kawakibi was influenced by western views and concepts, especially those concerning democracy and patriotism "*but sought to*

apply these views to the problem of despotism in his own land and time" (Duri, 1987: 188).

Al-Kawakibi argued that when Arabs played a special role in Islam, early Islam was known for concepts such as *"justice, equality, deliberative consultations and the fundamental principles of political freedom"*. As well, during the time of Arabs *"Islamic government was based on principles of democratic administration, on popularism and aristocratic consultation, or deliberative consultation with the tribal notables"* (Duri, 1987: 188).

Al-Kawakibi argued that Arabs are a nation distinct from other Muslims which comprises the people of Arabia, Iraq, Syria, Egypt and North Africa. For him, Arabs are one nation because they share common elements such as descent, homeland, language and religion (Duri, 1987).

It is worthwhile to mention that Al-Kawakibi's writings have had a tremendous impact on the Arab consciousness and the rise of nationalist awareness among Arabs. Shibli shummayyil, the other representative of the progressive radical movement, embraced socialism as *"an ideology and program by following a specific materialist approach"* (Barakat, 1993: 250). Shummayyil saw *"science as the fundamental element which can revive society and liberate humanity from ignorance and fanaticism"*. He considered religion as *"a product of primitive and superficial feelings and illusions and not of an advanced mind"* (Barakat, 1993: 250). Despite his view about religion still he defended it against Lord Cromer's criticism with regard to it.

Shummayyil argued that narrow definition of nationalism could be just as bad as religion in terms of being a divisive element rather than a unifying one.

The other representative of the progressive radical trend is Farah Antun who was known for his progressive views. Indeed, his radical views were very troublesome for him for they put him in a conflicting situation *vis-a-vis* various groups such as other intellectuals, including his old friends like Muhammad Abdou and Rashid Rida, and the government. His journal *al-Jami'a* was censored and banned because of his radical views. In fact, the law of July 7th 1907 prohibited the establishment of societies and parties with political goals and nationalist names but nonetheless, organizations arose in secret. In his many articles, Shummayyil defended science and socialism and sought "to *acquaint Arabs with key western thinkers, including Marx, Nietzsche and Tolstoy*" (Barakat, 1993: 250).

These trends led to the creation of cultural and political societies that paved the way for the emergence of revolutionary nationalism both in terms of expression of opinions and creation of either overt or secret societies. These cultural and political societies did not emerge until it was clear that:

1)- The Ottomans before and after the promulgation of the constitution was imposed, decided to go ahead with their centralized administration and the adoption of the policy of Turkification thereby preventing non-Turkish peoples and the Arabs from studying their languages.

2) - That the Ottoman Empire is no longer able to defend Arab lands against European powers since it has been losing its provinces one after the other.

Under these circumstances, a number of societies came into existence under the influence of what was written and published by Arab intellectuals here and there (Duri, 1987).

4-Te role of cultural and political societies in the spread of political consciousness among Arabs:

At the beginning of the 20th century, Arabs were influenced by two major views:

- 1) - the widespread Ottomanist ideology advocating the unity and Modernization of the empire.
- 2) - the Arab conception of themselves as a distinctive nation that has its own feature.

Both views, however, were influenced in their turn by what was going on in Europe. The primary goal of the nationalist Turks was the introduction of a constitutional government which will satisfy the aspiration of the minorities by granting them equality before the law and at the same time would accelerate the pace of modernization by pursuing a centralization policy in the Empire. The latter policy adopted by the Committee of Union and Progress (C.U. P) led to the Turkification of the other subject nationalities.

The 1908 C.P.U political program supposedly stipulated that equality, freedom in education to all citizens, regardless of religion or ethnic origin, would be guaranteed. This program stipulated also that the official language and the language of education would remain Turkish.

While this latter policy aspired for the strengthening of the Ottoman Empire, it however, undermined the right of the other subject nationalities to the learning of their native languages. This situation upset the Arabs who decided to move in order to spur some change. As a result, a number of cultural and political societies started

to emerge. According to Duri, *"Arab activity in societies began in the days of Abdulhamid, when the Arabs in Cairo established the Ottoman Shura Society to confront his tyranny. Others were involved in a secret organization that became a branch of the C.U.P in Damascus in 1906"* (Duri, 1987: 219).

Following are the well-known societies that were created in order to promote the Arab cause:

1) - The cultural Circle of Shaykh Taher al-Jaza'iri in Damascus (*founded in 1903 by young people influenced by the discussions held in the circle of Shaykh Taher al-Jaza'iri*). Its aim was to study Arab history and Arabic grammar and literature and disseminate learning knowledge

2)- The Arab Awakening Society (*founded in 1906 by two former members of the cultural circle who moved to Istanbul to complete their higher education, with the cooperation of another two young Arabs who were there already*). The aim of this society was " *to make educated young Arabs aware of their Arabness, and to call upon them to co-operate in the reform of Ottoman society, the wellbeing of which was a precondition to the well-being of Arab society*" and " *promote the felicity of the Arab nation and to restore its proud glory*". As expressed by its name, *this society was seeing the national awakening of the Arabs. Like the cultural circle of Taher al-Jaza'iri, this society played a crucial role in the Arab nationalist movement*"

(Duri, 1987: 221).

3) - The Society for Arab-Ottoman Brotherhood (*founded in 1908*) sought to promote the Arab cause within the framework of the Ottoman empire while reaffirming the ability of each subject nationality to manage its own local affairs.

4) - The Literary Club, the Qahtanid Society (*founded on the wake of the abolition of the Arab- Ottoman brotherhood by the Arab youth of Istanbul*). Its creation was intended for social and cultural activities for Arab youth in outlook but worked " *to propagate the idea of Arabism among them*".

5) - The Qahtanid Society (founded as a secret organization in Istanbul in 1909). Its overall goal, like its predecessors, was the improvement of the living conditions of Arabs, initiating their awakening and perhaps gaining their independence if possible.

6) - The Covenant Society (*founded in 1913 by Aziz Ali al-Misri as a secret political society*). Its basic aim was the attainment of autonomous states for the subject nationalities of the Ottoman Empire and the freedom of each group in using its native language to be part of its identity while sustaining Turkish as the universal language for the empire.

7) - The Young Arab Society (*founded in Istanbul in 1909 but, became active only after its initiators went to Paris for the purpose of finishing their higher education*). The members of this society were most concerned about the backwardness prevailing in the Arab world and called upon the leaders of the nation to "*devote their lives to ways of awakening the nation from this backwardness. It advocated administrative reform (decentralization) and called for independence all together after the outbreak of the W.W.I*" (Duri, 1987: 226).

6-Post -World War I Period: The revolutionary Arab nationalism and/ or Arabism:

While the early period of Arab nationalism focused its attention on the revival of Arab identity and the awakening of the nation, within the Islamic Ottoman Empire albeit with some degree of autonomy through the founding of cultural organizations and intellectual debate over the meaning of the notion of nationalism (*umma*, *qawm'yya* and *wataniyya*), the second period was marked by revolutionary nationalism concerned with the confrontation with the western powers which divided the Arab lands as a result of the Sykes Picot agreement.

Thus, this period was marked by a new version of nationalism formulated by Sati' al Husri and Michel Aflaq. As the theoreticians of the new version of Arab nationalism, they *«influenced the whole course of Arab political thinking until the beginning of the 1960's in a particularly effective fashion»*. (Tibi, 1981: 90)

As the prominent figure of the new version of Arab nationalism, Syrian al Husri, who held many Ottoman administrative posts in the Ottoman Balkan provinces, carried out his studies in Paris, Switzerland and Belgium where he studied European national ideas and was particularly influenced by the theories of the German theories of Herder and Fichte. Al Husri was first attracted to the French idea of the nation but shifted his interest to study the work of German philosophers. His meeting with the French arabophobia General Gourand as a representative of Faical's kingdom during the French occupation to Syria in 1920 for negotiation aroused in him some sort of francophobia which made him anti-French colonialism. Unlike his fellow Syrian, Lebanese and Egyptian nationalists, his feelings about French colonialism made him reject European values " *thus, he criticized Taha Hussein, the spokesman of Egyptian nationalism, and Salama Musa, the early Arab*

Socialist on the grounds that their sympathies for Europe led them to an initiation of everything European which almost become anti-Arab" (Tibi, 1981:93).

In his theoretical work, al Husri attempted to prove the existence of the Arab nation by borrowing his theoretical tools from European history (Tibi, 1981: 99). Al Husri was able to provide a theoretical foundation for the Arab nation on the basis of German Romanticism which distinguishes the idea of the nation from the state.

In line with this reasoning, the nation "*is seen in cultural terms*" whereas the state is considered "*mechanical and legal construction which is external to the nation*" (Tibi, 1981: 100).

Despite his great influence by the German idea of the nation, al- Husri also derived his theory from Ibn Khaldun notion of '*asabiyya*' thereby producing a synthesis between the German idea of the nation and Ibn Khaldun's notion of '*asabiyya*' which means in Ibn-Khadun's terms the bond that makes possible the solidarity of one group vis-à-vis other groups. As Tibi (1981: 114) put it "*for both al-Husri and Ibn-Khaldun ' man' is a political animal, and the sociability of men is expressed in a national bond, which is described as ' asabiyya' "*

Overall, this period was characterized by the rise of ideologies and political movements. In that, nationalism initiated the formation of political parties. Thus, many parties came into existence such as «*the Wafd Party in Egypt, the League of National Action and the Syrian Social Nationalist Party in Syria, the al-Ahali Party in Iraq, the Destour Party and the independence Party in the Maghrib. In addition to these parties several Arab countries have witnessed the formation of communist and/or Islamic parties*" (Barakat, 1987: 251).

As well, North Africa has seen the emergence of other parties such as party of independence (*Hazb al-Istiqlal*) which was founded by Allal al-Fassi in Morocco, the star of North Africa ' *Najm Shamal Afriqia*' and ' *parti du peuple Algérien*' which was founded by the Algerian Messali al-Hadj among Algerian workers in France in 1926. Further, the Tunisian militant Taher al-Haddad (1899-1955) founded the Trade Unionist Movement for the purpose of the struggle for Tunisia's independence and the Arab national renaissance.

The emergence of political parties was coupled with the publication of many scholarly works illustrating the revolutionary nationalism that marked this era. For example, in his 1925 controversial work, Abd al-Raziq, an Egyptian scholar, argued that: *"Islam did not impose a political order or form of government. The Caliphate, based on the incorrect belief that Muslim rulers since Abu- Bakr, the first Caliph, were the temporal representatives of god's Prophet, Muhammad, was nevertheless a political rather than a religious order. It had been in the interest of various rulers and Sultans to propagate this error among the believers.*

In the name of religion, they had tyrannized over their subjects, imposing on them a narrow understanding of religion, and restricting their critical judgment and all free inquiry concerning the most suitable political system. There is nothing in Islam, Razik Said that forbids Muslims to overthrow a system of government that had humiliated them over since they adopted it. Muslims are free to establish rules of government in keeping with the achievement of the human spirit" (Barakat, 1987: 252). These radical views were behind the expulsion of Raziq from al-Azhar.

Like his countryman Raziq, Taha Hussein in his turn, yet published another controversial work in 1926 in which he «questioned *the authenticity of the pre-*

Islamic Poetry that, along with religious texts, had shaped Arab cultural thinking. In his criticism of this literary legacy, Hussein propagated principles of reason and skepticism in contrast to the doctrine of faith" (Barakat, 1993: 252).

Yet, in another more controversial work about the future of culture in Egypt, Taha Hussein reached the most resented conclusion that " *Egypt was culturally affiliated with western rather than eastern civilization" (Barakat, 1993: 253).*

In addition, Taha Hussein argued that if Egypt wanted to progress it " *must follow the path of the Europeans so as to be their equals and partners in civilization- in good and evil, its sweetness and bitterness, what can be loved or hated, what can be praised or blamed" (Barakat, 1993: 253).* Furthermore, Ahmad Lutfy al-Sayyid (1872- 1963), a nationalist and modernization proponent, criticized traditionalism saying that " *man needs freedom no less than soul needs a body" while defending the radical views of his fellow writers.*

Other nationalists such as Amin Rihani (1876- 1940) called for Arab unity by separating religion from politics by saying: " *I am [a] Syrian Lebanese who believes in the separation of religion from politics because I realize that the obstacle to national unity is religious partisanship" (Barakat, 1993: 253).*

This kind of pan-Arabist movement is further claimed by Constantine Zurayk who believed that " *internal and external contradictions could be resolved only through secularism and the elimination of feudalism' which contributed to the formation of two oppressed classes: the spiritually crushed middle class and the materialistically crushed low class". (Barakat, 1993: 254).*

Abdul Hamid Ben Badis (1889- 1940), the founder of the Society of Muslim Scholars in Algeria, based his struggle against French colonizers on Islam and Arabic language adopting his well-known motto " *Islam is our religion, Arabic is our language and Algeria is our homeland*". Besides Abdul Hamid Ben Badis' Arabo-Islamic orientation, Perhaps the most well-known of these political parties was Algeria's F.L.N «national *liberation front*" (1954- 62) which represented the political and ideological facet of the ' *National Liberation Army*' which made France recognize the independence of Algeria in 1962.

Based on Arabism and encouraged by the independence of many Arab countries such as Iraq (1932), Egypt (1936), Lebanon (1943), Syria (1946) and Jordan (1946), The latter movements promoted Arab nationalism in the Arab world at large.Perhaps the most determining factors in the rise of revolutionary Arabism during this era were the emergence of the Arab League in 1945, al-Ba'th party in Syria in 1947 and Nasserism in 1952.

The organization of Arab league played its role in the rise of revolutionary nationalism because, ever since its creation by the Alexandria protocol on the 22 of November, 1945, it became the hot bed of Arab nationalism based on pan-Arabism. Indeed, since the Arab league pact became active in April, 1952, its aims were oriented toward the realization of:

- Joint defense and economic treaty between the Arab states.
- Promotion of cooperation to consolidate stability and security in the Arab countries.
- Provision of the means of welfare and development in the Arab countries.

- The strengthening of relations between member states.
- The coordination of Arab states policies in pursuit of cooperation between them.
- Safeguarding their independence and sovereignty.
- And committing itself to the affairs and interests of the Arab countries.

The Arab league charter was drafted by Egypt, Iraq, Jordan, Lebanon, Saudi Arabia, Syria, and Yemen but, the other Arab countries joined it after their independence. These stipulated aims however, were disappointing for the Pan-Arab nationalists who aspired for the creation of one Arab political entity rather than a political forum.

Despite the fact that the Arab league did not meet the desire of Pan-Arab nationalists, it provided a forum for the discussion of Arab problems (Manandhar, 1973). Moreover, «*the league charter does not, however, prevent or obstruct a more compact and effective unity between two or more willing parties holding membership in the league*” (Manandhar, 1973: 165). In this sense, the real aim of the Arab league was not the creation of one Arab state at the outset rather, it established several functional organization to promote cooperation among Arab states in various spheres , economic, military, telecommunication, social, cultural, transport, crime prevention etc...(Manandhar, 1973).

Thus, the Arab league role in unifying the Arab states did not have much significance due to the non-binding nature of its resolutions.

After the intellectual and the cultural nationalist and arabist movements, the Ba'th party, which evolved in Syria in 1947 from the merger of al-Ba'th al –Arabi led by Zaki Arsuzi, Harakat al-Ba'th al-Arabi led by Michel Aflaq and Salah al-Din

Bitar, and the Socialist Party of Akram Hawrani, took the leadership calling for the unification of all speaking Arab people in one powerful Arab nation. The Ba'th party emphasized Arabic language as the common bond between all Arabs. Michel Aflaq founded the Ba'th party in order to find radical solutions to the problems of the Arab world by the Arab nation itself without any external intervention whether on an international level or an internal panacea based on class struggle.

As a result, the main aim of the Ba'th socialist party concerning the achievement of comprehensive Arab political unity became later the desire of all Arab nationalists especially Jamal Abdul Nasser.

Indeed, Jamal Abdul Nasser has never been interested by the Palestinian problem until the day during which he discovered, on the battle front his Arab dimension through his contact with his fellow Arab soldiers and the scene of the Arab armies fighting side by side against one common enemy while defending one common interest of one homeland. It is during this Arabist setting that Nasser felt like he was defending his own home and his own children.

Thus, " *Nasserism was basically a vehement protest movement against three interrelated conditions: 1)- the presence of imperialism on Arab soil; 2)- the division of Arabic speaking people into a number of independent and semi-independent states; and 3)- the backward social, economic, and political system of most Arab countries*" (Omar Khairy, 1984: 47-48).

Thus, Aflaq and Nasser had the same feeling towards an Arab homeland, albeit the former was a theoretician and the latter was a pragmatic man.

Nasser's July 26th, 1956 Canal Suez nationalization and the support he provided to the Algerian revolution transformed him into a hero in the Arab world. Thus, by

1954, Nasser already became the first figure of revolutionary Arabism. His revolutionary attitude was expressed in the following objectives which he set forth for the development of Egypt:

- Confronting colonialism
- Establishing social justice and democracy in Egypt.
- Specified the Egyptian identity as Arab first, African second and Islamic third.
- Favoring collective defense pact with all Arab states.

Unfortunately, despite Nasser's objective to establish social justice and democracy in Egypt, like in all Arab countries, it appears that these two aims were and still are far from being achieved due to lack of political democracy and lack of economic development compared to the high birth rate in Egypt.

Nonetheless and as a result of his revolutionary attitude, Nasser was considered by the west as Hitler of the Nile who should be eliminated. As well, because of his revolutionary actions such as the nationalization of the Suez Canal, his support for the Algerian revolution and all other decolonization causes, he became the enemy number one of Britain, France and Israel who launched an invasion against Egypt in 1956 to put an end to his threatening regime.

However, the political and diplomatic victory he won on the expense of the three invading countries boosted his image even further in the eyes of Arabs at large. His Arabism which was disturbing to the west and threatening to the very existence of Israel, led the latter to launch the June 1967 surprise attack soon after president

Nasser blocked the Aqaba canal and made the united nation's blue helmets leave.(Wafik, 1984)

On the practical level, pan-Arabism has been demonstrated by the unification attempts such as that of Iraq's Nuri Essaid Pasha who proposed a federal union which includes Syria, Lebanon, Palestine, Jordan and Iraq in the early 1940's. Another practical attempt of unification between Arab states was that which united Egypt with Syria in 1958, a union which ended in 1962.

As well, other attempts of merger happened between Jordan and Iraq, Egypt and Libya, Egypt and Sudan, Tunisia and Libya. Of all these attempts, the only successful merger was that of Yemen which reunited its northern and southern parts. On a regional level, the Arab *Maghrib* Union and the Gulf Cooperation Council are other two examples of unification attempts towards comprehensive Arab unity.

Despite the progress made within these two attempts in terms of political and economic cooperation, they are still far from achieving their objectives because of the same obstacles that hampered the overall Arab unity which will be discussed later. These were only attempts but the so long sought Arab-Unity was never achieved because of various obstacles which contributed to the

Weakening of Arabism, and as a result, its decline as will be shown later.

6- The decline of Arab nationalism and/or Arabism:

Arabism reached its peak during the October 6th, 1973 Arab-Israeli war during which Egyptian and Syrian armies destroyed the myth of the invincibility of the Israeli army. During this war, the Arab countries, both headed by the so-called

"reactionary regimes» and the so-called "revolutionary ones ", stood side by side in imposing an oil embargo against the west which backs Israel firmly against the Arabs. Despite this show of unity, nobody can deny the crisis Pan-Arabism ideology is going through nowadays because, instead of progressing, Arabism has known a tremendous decline for many reasons. Some of these reasons have been summarized by Manandhar (1973: 178). According to him, the following aspects hindered the fulfillment of Pan-Arab idea:

- Geopolitical and spatial factors,
- Political factors,
- Economic factors, and
- The presence of non-Arab minorities

In terms of geopolitical and spatial factors, «the *strategic position occupied by the Arab people has led the world's great powers into contention for influence and control of the area. This contention has adversely affected the realization of the political idea of one Arab state, and has tended to divide the region into antagonistic spheres of influence*" (Manandhar, 1973: 178).

Agreeing with Manandhar, Makhoul (1970: 162) adds that "*The strategic location of the Arab world- at the crossroad between three continents- has contributed both to her economic wellbeing and political troubles. The area has traditionally benefited from its use as a route of East-West trade, but it has also been thrown into the mainstream of power play, particularly during the 19th and 20th centuries, because of this favorable geographic location. Whoever controlled the Arab Middle East controlled the access to India and the other countries in the East*".

With regard to the economic factors, the Arab lands control «vast *oil reserves which appear essential to the survival of the industrial nations of the Free World*». In fact, the Arab world controls 59% of the world's oil reserve on which the US depends in its oil supply. In addition to their dependence on Arab oil, the Europeans and the Americans «*have a huge private and public investment in petroleum exploration, drilling, marketing, refining, and transportation.Nearly 82% of the OPEC countries' oil production is owned by the eight big Western oil companies*» (Manandhar, 1973: 184-85).

Concerning the political factors, the Arab World was divided in the twentieth century into several political units with different regimes, a reality which became an additional obstacle to the idea of one Arab state. The republican states which were during the Soviet Union reign, committed to socialism except for Tunisia and Lebanon. The monarchical states are in their turn a sub-divided into kingdoms (Saudi Arabia, Jordan, Morocco and now Bahrain) and sheikdoms (Kuwait, United Emirates, Qatar, and Oman). The latter regimes are known to be leaning towards the West while the former states are hostile to it.

Because each political system has its political philosophy, it is very unlikely that the Arab states can coexist in one political unity. Besides, the conflicting political systems of the Arab states, some of them are witnessing internal political instability (Algeria, Lebanon, Sudan, Iraq, Somalia and to some degree Egypt). These dissimilarities of political systems and internal political instability in some of the Arab states are likely to hinder any progress towards the achievement of the idea of Arab unity.

The other possible obstacle to the Arab unity mentioned by Manandhar(1973) is the linguistic minorities issue since unifying the Arab world may mean unifying a large number of the Kurds in Syria and Iraq and the Berbers in Algeria and Morocco. The unification of these two largest linguistic minorities in the Arab world, the Kurds and the Berbers, may give them a logical incentive to lean towards secession from the Arab world provided that their land and number will increase therefore entitling them for independence. This risk will lead to the loss of a great portion of the Arab lands. Indeed, Sudan m once the largest country in terms of area split into two independent states (non-Muslim African type Nubas in Southern Sudan and Muslim Sudanese in the north). Unlike these linguistic minorities, the Christian Maronites of Lebanon, despite their religious differences, are Arabist in tendency. Thus, they constitute no threat for the Arab unity. (Manandhar, 1973).

Like Manandhar, Speaking about some of these obstacles preventing the Arab unity, Barakat (1993) argues that the main obstacle to Arab unity resides in the lack of communication. According to him, this lack of communication can be illustrated in the "*process of economic disintegration*" since "*each country is being increasingly and separately-integrated into the world capitalist system*" as well as other difficulties between the Arab countries such as travel problem from one Arab country to the other and vice versa, and the policy of self-sufficiency pursued by each country in terms of culture, sustained by "*the strict process of censorship undermining cultural exchanges*" in terms of products of mass media and written literature. (Barakat (1993).

In addition, the 1979 Egyptian – Israeli Camp David accords which led to the expulsion of the biggest Arab country from the Arab league was determinant in

the decline of Arabism. As well, the 1980-88 Iran Iraq war did have some impact on the Arab united front since Syria and Libya supported Iran against Iraq. Perhaps the hardest blow of them all to Arabism was the Iraqi invasion of Kuwait which led to the 1990-91 gulf war which resulted in the destruction of the incredible Iraqi military power. This conflict was behind the invasion of Iraq on the 18th of March 2003 under the pretext of disarming Iraq from arms of mass destruction which were never found until now.

The other obstacle is the desire of the United States of America to protect its ally, Israel by eliminating the remaining pan-Arabists after the disappearance of Nasserists such as Jamal Abdelnasser himself and Cornel Qaddafi, a Nasserist Arabist, the late Ba'thist, Syrian president Hafez Al Assed who were experiencing an acute harassment by the United States of America, the main sponsor of Israel. Indeed, Qaddafi was allegedly accused of training terrorist groups by the USA and as a result, was attacked by former US president Ronald Reagan and later exterminated during the Libyan revolution by the allies.

Syria's president, like his late father, Hafez al-Assad, is in his turn accused of giving safe harbor for the so-called Palestinian "terrorist" groups in the US's terms and supporting *Hzbollah*. With regard to Saddam Hussein, he has been eliminated under the pretext of possessing weapons of mass destruction which was never found as was mentioned earlier

Speaking of other factors contributing to the decline of pan-Arabism, Lewis argued that: *"the decline of pan-Arabism was probably accelerated by the discovery of oil in some, though by no means all, Arab countries, and the consequent uneven distribution of the newly acquired wealth..... Another reason for the decline of*

pan-Arabism has been the Arabs' increasing disillusionment with successive attempts to achieve it. All too often, it seemed that the real objective of the pan-Arabism leaders was not so much unity as hegemony. Some chose a German model, each seeing himself as Bismark and his country as Prussia, with a dominant role to play in the United Arab State. Others chose a revolutionary model and tried to displace their fellow Arab rulers by subversion" (Lewis, 1994:97)

Bearing in mind the foregoing obstacles, incidents and U.S practices in the Middle East and in spite of their common language, culture, religion, past glory and way of life wrapped all together with pan-Arabism, Arabs failed to achieve their long sought goal of a united Arab state. Thus, one can conclude that these very obstacles, incidents and US practices represented a direct cause for the stagnation and later for its decline of Arabism.

7- The future of Arabism:

Indeed, despite these factors which greatly harmed Arab nationalism based on Arabism, Palestinian *Intifada* is one element which makes the Arab unite if not physically at least in opinion for it is a major unifying element essential to the Arab countries because it reflects "*the common opposition to Israel, a fact around which the Arabs can rally*". As well, the emerging threat coming from the western hemisphere (i. e, the American hegemony and its interests in reshaping the map of the Arab world to reach its ultimate goal of globalization as a new tool for the American hegemony on the world) requires the Arabs to raise their voice as one if they want to survive socially and economically.

In the era of one tailed world, Arabism is just as needed now as at the time of the Ottoman Empire or western colonialism in order to confront the new

American military and economic interests in the region. Thus, Arabism is the very incentive that will enable the Arabs to make tremendous effort as one social and cultural entity in order to preserve their cultural identity against the more than ever spreading cultural globalization. This does not mean that Arabs should unite in one state necessarily but, close cooperation between Arab states in all aspects of life can mean a new version of Arabism based on close cooperation between the Arab countries (Dawisha, 2003).

If the political union was not and will not be achieved, the economic union can be possible. Indeed, the economic cooperation among Arab countries is a must in the era of globalization. As separate economies, the Arab countries will be marginalized since the very economic aim of globalization is the integration of economies. Aided by the abundance of their oil and other natural resources, if integrated, the Arab economies can benefit greatly from globalization otherwise they will be removed out of the way by the strong economies.

In fact, economic cooperation between the Arabs is more than ever needed in order to put an end to their economic dependency and to overcome the problems of unemployment to meet the needs of one of the fastest growing birth rate in the world in terms of jobs, economic opportunities and social welfare. But, in order to be able to achieve this economic cooperation based on a new economic development strategy, the following conditions, as has been observed by Arab scholars, must be met :

- Development in the Arab world has to be a process of civilizational evolution.

- Development in the Arab world has to be a reality that improves Arab people's lives.
- Arab economies and the Arab mind have to be liberated from dependency.
- All challenges facing the Arab world have to be confronted efficiently.
- Factors of stability for economic development must exist.
- Transformation of infrastructure having to do with the process of economic production and the development of social and cultural institutions based on pan-Arab strategy as well as flexible labor and investment laws must take place.
- The weaknesses present in the productive performance in areas such as services, education, training, agricultural products, social welfare and health care must be eliminated.
- Private sector and foreign investment on a large scale must be encouraged.
- Provision of true democratic participation in the political agenda of the Arab states thereby enabling the return of exiled Arab experts to participate democratically in the development of their Arab nation.

Conclusion:

The aim of this article was to define Arab nationalism or Arabism as the political incentive for the Arab identity and find out its origin as well as its role, if any, in the Arab unity. In doing so, the author tried to shed some light about who are the Arabs and concluded that the word "Arab" was applied at first to the Bedouins who inhabited the land extending from the Euphrates to Egypt. Then, the concept was extended to include all the people who spoke Semitic language and were arabized by Islam thereby contributing to the formation of Arab civilization from the Euphrates on the East to North Africa on the West.

With regard to Arab nationalism or Arabism, the afore discussed literature agree that Arab nationalism "is *the belief that Arabs constitute a single political community or nation and ought to have a common government*" (Goldschmidt, 1979: 181).

As a result, one cannot talk about nationalism, which is in reality the fact of showing one's love towards his country and all what distinguishes it from the other, unless there is some threat directed against the country or one of its constants (i. e culture, language , religion or economy.

Arab nationalism was initiated by the contact of Arabs with the west and could not have emerged if the very existence and the Arab unity were not threatened or endangered by both the Ottoman socio-economic and political practices and the western encroachment of Arab lands.

Despite their tense nationalism or Arabism, Arabs failed to achieve their long sought goal of united Arab state. As a result, Arab nationalism or Arabism will not have any role in the future in unifying the Arab countries because, it no longer means to the Arabs, "*the desire to create one single state*» as it used to, few years ago. Rather, it only portrays the sense of belonging to the same cultural and linguistic identity and the awareness of their common interests even as separate political entities.

❖ **References:**

- A. A. Duri; *the Historical Formation of the Arab Nation, a Study in Identity and Consciousness*. Translated by Lawrence I. Conrad, Centre for Arab Unity Studies, Groom Helm Australia, 1987.
- Abdallah Laroui ; *Islam et Modernité*, Editions la Decouverte, Paris, 1977.
- Arthur Goldschmidt, Jr ; **A Concise History of the Middle East**. Westview Press, inc, 1979.
- Al-Ahram weakly,*Neo-Pan Arabism*,<http://www.ahram.org.eg/23-4-2002/595/sc12.htm>
- Bassam Tibi, *Arab Nationalism, A critical Enquiry*. The Memillan Press, 1981.
- Bernard Lewis, *l' Islam d'Hier a aujourd'hui* , Elsevier bordas, Paris, Bruxelles; 1981.
- Bernard Lewis, *the Shaping of the Modern Middle East*, Oxford University

- pressm1994.
- Boyd C. Shafer, *Nationalism, Myth and Reality*, Harvest Book, Harcourt, Brace and World, Inc, New York,1955
 - Christine M. Helm; *Arabism And Islam: Stateless States*, Mc Nair Papers Nr 10, the Institute for National Strategic Studies, July, 1990.
 - Dawisha, Aheed. *Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair*. Princeton University Press2003
 - George Antonius; *the Arab Awakening*, A Paragon Book, New York, 1979.
 - Halim Barakat; *the Arab World, Society, Cultures and States*, university of California press, 1993.
 - Halford L. Hoskins; *the Middle East, Problem Area in World Politics*, the Mac Milan Company, New York, 1954.
 - Hany Hassan Makhoulf, *Nationalism and International Business in the world Community and the Arab States*, University Microfilms, Ann Arbor, Michigan, 1970.
 - Louis Gardet ; *les Hommes de l'Islam- Approche des mentalités*, (2^{ème} édition) Librairie Hachette; Paris; 1977;.
 - K: H: Silvert; *Expectant Peoples, Nationalism, and Development* (New York , Vintage Books, A Division of Random House, 1947) , p18

- M. H Bakalla; *Arabic Culture*, Kegan Paul International Ltd, London, 1981.
- Majduddin Omar Khairy, *Jordan and the World System, Development in the Middle East*; Verlag Peter Lang, G mbh, Frankfurt am Main, 1984.
- Mangal Siddhi Manandhar, *The Idea of one Arab Nation-State: A study in political Geography*; University Microfilms, Ann Arbor, Michigan, 1973
- Michael C. Hudson; *Arab Politics_ the search for legitimacy*, New Haven and London, Yale University press, 1977.
- Nergis Mazid, *Western Mimicry or Cultural Hybridity: Deconstructing Qasim Amin's "Colonized Voice"* American Journal of Islamic Social Sciences, volume 19, fall 2002, No 4, pp: 42-67
- Rashid Khalidi (et al) editors; *the Origins of Arab Nationalism*, Columbia University press, New York, Chichester, West Sussex, 1991.
- Raghid El-Solh ; *the Development of the Arab Idea in Lebanon*,
- <http://www.lcps-lebanon.org/pub/preview/br6/solhbr6.html> (22-05-2003)
- Sidney Nettleton Fischer; **the Middle East, a history**, (3rd edition), Alfred. A. Knopf, New York, 1979.
- The Arab League Charter; <http://www.mideastweb.org/arableague.htm>
- Vincent Mansour Monteil ; *la Pensée Arabe*, (3eme édition). Editions Seghers, Paris, 1987.

-Wafik, Raouf ; *Nouveau regard sur le nationalisme arabe*, Paris,

Harmattan, 1984.

هاني عواد، تحولات مفهوم القومية العربية من المادي إلى المتخيل، بيروت 2013.

عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، بيروت 2008.

Le match Egypte- Algérie :

De l'évènement à l'évènementialisation médiatique

Nasreddine Bouziane

Université Constantine 03, Algérie

Résumé :

Le présent article vise en premier lieu à diffuser les résultats importants obtenus après l'étude de la manière dont ont été traitées les informations relatives au match Egypte- Algérie disputé dans le cadre des éliminatoires de la coupe du monde 2010. Il vise aussi, à montrer comment la « machine médiatique » a pu engendrer une véritable crise entre les deux pays et qui dépassait complètement le cadre sportif. Enfin, le grand souci de l'étude était de savoir si les médias algériens ont contribué à l'aggravation de cette crise ou s'ils sont tombés dans le piège du manque de professionnalisme en traitant les informations relatives au match suivi par plusieurs dérapages.

الملخص:

يهدف هذا المقال في المقام الأول إلى نشر النتائج المهمة، من منظور الباحث، والتي تم التوصل إليها بعد الدراسة الكيفية التي تمت وفقها المعالجة الإعلامية للمعلومات المتعلقة بمباراة مصر- الجزائر التي لعبت في إطار التصنيفات المؤهلة لكأس العالم 2010. وفي المقام الثاني تبين كيف استطاعت الماكينة الإعلامية خلق أزمة حقيقية بين البلدين تجاوزت إطارها الطبيعي وهو الإطار الرياضي. أما الهم الأساسي للدراسة فيكمن في محاولة معرفة ما إذا ساهمت وسائل الإعلام في تفاقم الأزمة بالسقوط في فخ غياب الاحترافية وتشويه الوقائع أثناء معالجة المعلومات المتعلقة بالمباراة التي نجحت عنها الكثير من الانزلاقات.

Introduction :

Depuis des décennies, on s'est rendu compte que les médias ont devenu un support super puissant qui transmet des idées, des informations et des valeurs. On s'est rendu compte peu après de ses potentialités énormes en matière de persuasion, de justification, d'argumentation ou bref de sa capacité de transmission du capital symbolique et des représentations. On se posait naturellement plein de questions sur la manière, l'opacité, les conditions, l'impact et la durabilité de cette transmission dans le temps, et il faut avouer qu'il est vraiment difficile de trouver des réponses suffisantes ou de prouver fermement et scientifiquement la validité de ces recherches car il existe souvent des fuites.

En effet, il ne faut jamais ignorer que la nature de la recherche en sciences humaines et sociales rend la tâche de prouver une réalité une question de probabilité (fournir une réponse juste parmi d'autres probablement justes) ou une question de temps pas plus, car ce qui est juste aujourd'hui peut ne pas l'être demain.

Donc, le fond du problème des recherches en sciences humaines et sociales consiste principalement dans le dynamisme et le mouvement perpétuel de l'objet de la recherche ⁽¹⁾, et aussi dans les effets parasites indésirables des variations de la recherche que le chercheur ne peut guère les éliminer complètement.

Etant donné que la présente étude a pour objet de traiter un phénomène hyper- dynamique, celui du traitement médiatique de

l'information, le plus grand défi était de cerner au maximum les effets parasites dus à la complexité du travail journalistique. Il n'est pas toujours évident de trouver un équilibre lorsqu'on fonctionne avec une trilogie non souvent harmonieuse. Patrick Charaudeau, dans son ouvrage *Les médias et l'information*, évoque en premier lieu la logique économique qui se base principalement sur le fait de faire vivre l'entreprise médiatique et assurer les ressources financières nécessaire pour la continuité et le développement de l'entreprise. En second lieu, il s'intéresse à la logique symbolique, celle de la production du sens et des messages. Et enfin, c'est la logique technologique qui s'ajoute pour construire la trilogie des médias ⁽²⁾.

Il entend par cette dernière logique la qualité et la quantité de leurs diffusions. Quand on parle de cette trilogie, on parle en effet d'un arrangement entre trois aspects importants qui se conjuguent souvent mal.

D'abord, un premier aspect nettement économique ou précisément commercial qui voit l'information comme un produit à vendre et à commercialiser au large public. Le plus important dans ce volet est d'assurer la bonne commercialisation du produit et donc attirer les annonceurs et bien entendu assurer les revenus financiers. Le produit médiatique répond dans ce cas aux besoins du marché, et s'appuie sur des études d'audience et des techniques marketing afin d'attirer le plus grand nombre possible de récepteurs, et on observe que les « trois S » ont longtemps été privilégiés à savoir : Scandale,

Sexe, et Sport. Et puis, on trouve l'aspect symbolique qui doit obéir obligatoirement aux règles déontologiques et professionnelles basées sur l'idéal de préserver et servir l'intérêt public.

Mais on constate –amèrement-, notamment dans les pays arabes, que la conjugaison entre ces deux aspects reflète une certaine banalisation des produits médiatiques (clip vidéo, diffusion des produits inadaptés...) pour un seul objectif, celui d'attirer un grand public mal préparé – malheureusement- à affronter ces flux de messages médiatiques permanents. S'ajoute ensuite l'aspect technologique pour garantir l'homogénéité des messages et également sa qualité et sa quantité.

Un autre constat important et plus dangereux, c'est la tendance des médias de redonner un aspect commercial à l'information d'actualité par le biais de traitement émotionnel des informations relatives aux événements, ce qui met en jeu l'objectivité et la crédibilité de l'information et influence négativement sa capacité de reproduire les faits, et donc la réalité sera aperçue incorrectement. La question donc est une question de manipulation des faits, des interprétations, des images et enfin des esprits.

Le problème s'aggrave encore lorsqu'on se rend compte que l'immense majorité des récepteurs manquent d'une éducation aux médias et bien entendu d'une vision critique envers les informations médiatisées.

Ce constat m'apparaît le même concernant la façon dont l'information relative au match Egypte- Algérie a été traitée. Il existait un certain traitement médiatique émotionnel et une certaine interaction journalistique soupçonnée avec les informations relatives au match.

Mais il est clair que ce constat porte un jugement subjectif et probablement incorrect, c'est pour cela j'ai formulé hypothèse suivante :

Le traitement médiatique émotionnel du match Egypte- Algérie a provoqué la crise de 2009.

L'objectif arrêté par cette formulation ne consistait pas dans le fait de décrire passivement le processus d'évènementialisation. On supposait alors, en se basant sur des constats divers, qu'il existait un certain traitement émotionnel. On a tenté même d'aller au-delà de la description vers l'étude d'un éventuel effet originaire de toute une crise comme nous prétendions.

Il est clair, donc, que la réponse que porte l'hypothèse reste dérisoire et non confirmée. Et pour affirmer ou infirmer cette hypothèse, j'ai procédé à une étude qui sera résumée dans cet article en trois parties. La première vise à présenter un bref fondement théorique sur le traitement de l'information médiatique, tandis que la seconde a pour but de montrer la méthodologie suivie dans l'élaboration de cette recherche, et la dernière vise à exposer les résultats et préconiser quelques recommandations relatives au sujet.

De l'évènement à l'évènementialisation médiatique :

De nombreux théoriciens et chercheurs se sont intéressés à la production journalistique sous ses différents aspects. En linguistique appliquée, à titre d'exemple, toute une filiation se développe sur les discours de presse. En sémiologie on s'y intéresse également, car ce type de signe, dit spécifique par son instance de production et ces modalités énonciatives et puis par ces modalités de réception et sa structuration sémiotique, mérite l'intérêt des chercheurs. Et bien entendu en sciences de l'information et de la communication, on s'y intéresse. Et parmi les théories remarquables, on trouve l'« Agenda setting » (1972) qui a proposé un modèle conceptuel pertinent devenu une référence dans l'analyse de la production médiatique.

Ce modèle parle d'une hiérarchisation et d'une organisation des informations en fonction d'un ensemble de facteurs et de critères propres à chaque entreprise médiatique. Il fournit également des éléments de réponses sur de nombreuses questions, entre autres, quelle est la différence entre un évènement et un évènement médiatique ? A quel processus l'information est soumise ? Quels sont les critères de sélection et d'hiérarchisation de l'information médiatique ? Et quelles sont les conséquences de cette hiérarchisation ?

Il est certain maintenant qu'on comprend mieux les pratiques journalistiques en matière de filtrage et de sélection de l'information parmi la grande quantité des évènements qui se passent quotidiennement dans le monde et qui tombent d'une façon continue dans les rédactions⁽³⁾. On peut maintenant déterminer scientifiquement

et systématiquement l'information médiatisable en se basant sur les critères de l'immédiateté, la nouveauté, l'importance, la proximité, l'intérêt et bien d'autres critères.

Mais une simple constatation nous fait part que ces critères sont variables et incontrôlables. Prenant à titre d'exemple le critère d'importance : Comment peut-on calculer l'importance d'un événement ? Une probable réponse intelligente nous fera part que l'importance se calcule après avoir posé la célèbre question : par rapport à qui et à quoi ? C'est-à-dire déterminer le public récepteur et comparer cet événement avec un autre. Mais la question se pose avec insistance cette fois : Est ce que cela est évident toujours ? Est ce que cela est juste et objectif ? Est-ce que c'est cela qu'il faut vraiment faire ?

La réponse me paraît bien claire, on ne peut pas tomber dans le piège de la comparaison figée ni de lui consacrer du temps car une simple observation du rythme de travail des établissements journalistiques nous renseigne sur l'impossibilité de suivre l'actualité ni de la traiter ni de la diffuser si c'était le cas. Les médias, en effet, sont en course avec la montre, et puis la fonction des journaux d'information écrits ou télévisés est de mettre à la disposition du public les informations dont il a probablement besoin. On ne peut certainement pas procéder à des études d'audience en permanence pour déterminer l'indéterminable.

On ne peut pas imaginer que les médias interrogent les publics sur le font de traitement des informations ou leurs proposent de les choisir sinon on se retrouve dans une logique purement commerciale, ce qui rend l'information qu'un simple produit de large consommation, et en conséquent, les résultats seront désastreux sur tout les plans.

C'est vrai que l'étude d'audience et l'ouverture des lieux d'échanges et de partages et de propositions aident les médias à repérer les grandes tendances mais surtout en ce qui concerne les émissions et les programmes mais pas les journaux d'informations qui restent un domaine sacré et spécifique et même stratégique. Les journaux d'informations ont ce caractère : d'abord à cause de leurs importance ; c'est avec eux que les citoyens prennent conscience de ce que se passe partout dans le monde ; c'est avec eux que le contact est noué entre les différents acteurs de l'espace public ; c'est par eux que le dialogue et l'échange et le partage se font ; c'est en se basant sur eux que les décisions sont prises et comprises ; c'est par eux que les débats s'élargissent et les acteurs politiques agissent.

Et puis parce que ces journaux décrivent la réalité, et la réalité se reflète comme elle est, et donc pas d'intervention du public. Et en plus, l'information médiatique n'est jamais prête à l'avance mais elle est le fruit de l'immédiateté, et le résultat d'un processus ou d'un dynamisme social, économique ou autre. Enfin, les journaux d'informations attirent un bon nombre des récepteurs, et donc une

opportunité pour les médias de refléter sa vision et ces représentations des faits ou en général de la réalité. C'est la raison pour laquelle la description de la réalité et la reconstruction des faits se font d'une manière différente par chaque organe de presse.

On peut dire en général que les éléments de réponses fournis par l' « Agenda Setting » et par un bon nombre de théoriciens et de chercheurs se confrontent à chaque moment avec la pratique journalistique. On constate quotidiennement l'introduction de la séduction (jouer sur l'émotionnalité plutôt que sur la rationalité) ⁽⁴⁾, de la persuasion (mobilisation du mode d'organisation argumentatif) ⁽⁵⁾ et des nouvelles modes de description des évènements médiatiques. Les changements se font donc beaucoup plus vite que les progrès scientifiques.

Pour nous, dans cette étude, la réponse aux quelques questions paradoxales sera simplifiée au maximum. La différence entre un évènement et un évènement médiatique se résume dans le fait de publier des informations sur l'évènement par les médias, c'est la base qui nous intéresse.

L'objectif donc de cette démonstration et la finalité d'évoquer les contraintes et les controverses autour du traitement médiatique de l'information, est d'aboutir à une conviction personnelle acquise après une certaine expérience dans le domaine :

Les médias d'informations possèdent de larges marges dans le traitement d'information, il leur suffit de procéder à la justification

directe ou indirecte pour assurer la légitimité d'un tel ou tel traitement.

C'est la raison pour laquelle on ne peut jamais dire à un organe journalistique que sa façon de traiter l'information est fautive mais on dit qu'il fallait faire autrement. C'est-à-dire qu'il y'a toujours plusieurs manières de traiter les informations.

Cette conviction nous permette donc d'affirmer la responsabilité des médias et considérer ces productions comme des faits volontaires qui reflètent et sa ligne éditoriale et sa vision et ses objectifs. Reste à mentionner que les médias ne sont pas la seule instance dans la production journalistique, ils partagent cette instance avec d'autres acteurs dans l'espace public (Public, hommes politiques...), mais ils détiennent toujours la capacité d'imposer ce que construit l'espace public⁽⁶⁾.

1- Méthodologie de recherche :

Pour atteindre les objectifs de la recherche visant à étudier, en premier lieu, le processus d'évènementialisation médiatique du match Egypte- Algérie et montrer en second lieu la manière dont les médias Algériens ont traité le sujet et bien entendu savoir s'ils ont contribué à l'aggravation ou même à la création de la crise... J'ai opté donc pour la méthodologie résumée ci- dessous :

A- Choix de L'organe de presse :

On compte en Algérie plus de 330 titres de presse écrite dont 65 journaux d'informations sont publiés d'une façon quotidienne, le reste représente des titres publiés périodiquement selon les statistiques de 2009 ⁽⁷⁾ Et naturellement, on trouve quelques titres qui dominent le marché du lectorat, entre autre, le journal quotidien « El chourouk » qui a atteint 02 million d'exemplaires dans la période de la crise médiatique l'Egypte et l'Algérie.

Il s'est affirmé bien avant, et les chiffres de son tirage ne cessent d'augmenter et sa "philosophie" du travail apparaît plus pertinente, plus adaptée, c'est la raison apparemment pour laquelle le quotidien devient rapidement et sans précédent le premier journal en Algérie et plusieurs études l'attestent. D'ailleurs, les statistiques fournis par le ministère chargé de la communication en Algérie montrent bien que les estimations de tirage moyen quotidien des journaux est de 2.5 million d'exemplaires par jour ⁽⁸⁾, et on apprend que le journal « El chourouk » arrive à dépasser le seuil de 02 million ex/ jour, donc il arrive à dominer le marché du lectorat dans la période de crise.

Le choix donc de ce journal est incontournable pour l'étude, d'abord pour la raison évoquée ci-dessus celle de la domination du marché médiatique Algérien. Et puis, il faut vraiment mentionner que le journal était le premier à s'intéresser au match Egypte- Algérie, et le premier qui a initié à conclure une convention avec les médias égyptiens pour assurer la sagesse et la bonne conduite du traitement

médiatique. Le journal était également la source écrite principale des informations relatives au match, on peut appuyer cela par le fait qu'une bonne partie des lecteurs francophones en Algérie se sont convertis vers la presse arabophone représentée majoritairement par le journal « Echourouk » qui fournit non seulement les dernières nouvelles sportives des deux pays mais aussi d'autres informations variées qui les concernaient. Enfin, les accusations attribuées par le coté Egyptien à cet organe et le soupçon de manque de professionnalisation et de traitement apparemment émotionnel, se sont des facteurs qui nous poussent à choisir cet organe.

Il est clair que le choix du support médiatique repose sur un ensemble de facteurs et sur tout un contexte qui a rendu le journal « le premier acteur médiatique dans l'affaire Egypte- Algérie », un acteur qui a su comment monter l'affaire à la une. Ces facteurs peuvent être rapportés comme suit :

- Le tirage important du journal.
- La maîtrise d'une part importante du marché du lectorat.
- Le large traitement de l'information relative au match.
- Le statut et la place qu'occupait le journal dans l'affaire.

On ajoute également que toute une atmosphère était à la faveur du journal et à son rebondissement sur l'affaire comme le monopole d'Etat sur l'audiovisuel, l'environnement politique et social et même psychique, et puis la prudence des autres médias. S'ajoute à tout cela

un élément important celui de la psychologie des foules et des représentations des messages médiatiques. Dans ce volet Mark Raboy nous indique que l'activité principale des médias se situe dans le champ symbolique ; il s'agit donc de construction du sens et c'est par les médias que le geste fut doté de son sens, affirme Raboy⁽⁹⁾ C'est le cas de journal « Echourouk » qui a contribué énormément dans la dotation du match d'un certain sens, il a également bien su comment valoriser ses particularités et mettre à l'affiche les informations qui le concernaient, selon mes propres constatations sur lesquels je me suis basé dans la formulation de l'hypothèse.

B- Choix d'échantillonnage d'étude :

Pour étudier le processus d'évènementialisation médiatique du match Egypte- Algérie, il a fallu revenir au début et se poser quelques questions clés en vu d'obtenir des réponses et des précisions sur la manière du traitement des sujets relatifs au match et son évolution au cour de la période qui précédait le premier match du Caire et le second de khartoum, et même après.

Pour résumer, je dis que la période couverte par l'étude était entre le 11 octobre (Date d'apparition du premier article sur le sujet dans le journal) et 31 décembre (Date arrêtée par le chercheur et jugée suffisante pour repérer la parution d'un quelconque changement perceptible dans le traitement de l'évènement).

Avec les chiffres cette fois-ci, l'étude a touché 66 numéros dans la période citée ci-dessus. C'est vrai que le plus important pour

l'étude était d'étudier le processus d'évènementialisation, et donc on pouvait restreindre la période d'étude et se contenter des premières publications sur le sujet dans le journal, mais ce qui nous a poussé à élargir le nombre de l'échantillon est le fait de constater le rythme ascendant que prenait le processus d'évènementialisation, on peut même parfois évoquer la notion de la sur- évènementialisation.

Je tiens à préciser que j'entends par le terme évènementialisation médiatique le fait volontaire des médias de faire imposer un sujet quelconque dans l'espace public, et ceci se traduit par un traitement massif de ce sujet et en leur donnant une importance et un statut qui ne le mérite pas souvent. En effet, c'est une sorte de classification des sujets ou précisément une Agenda imposée aux récepteurs. Tandis que le terme sur- évènementialisation reflète un sur- traitement de l'information qui dépasse les normes professionnelles et induit les médias dans l'exagération.

C- Choix d'outils et de techniques de récolte d'information :

Il est évident que le choix des outils et des techniques de récolte d'informations demeure une phase cruciale dans n'importe quelle action de recherche. Pour nous, le choix s'imposait naturellement par la nature de l'étude. On s'est basé sur l'observation scientifique dans un premier temps et puis sur l'analyse de contenu dans la récolte des données en second lieu.

L'observation nous a permis de suivre, de comprendre et de constituer une vision sur le thème à étudier mais aussi de formuler

notre hypothèse et même de trouver le cadre conceptuel adéquat, tandis que l'analyse de contenu avait un rôle déterminant dans la vérification de l'hypothèse, la récolte systématique des données et l'obtention des résultats.

D- Indices de formulation des résultats et les perspectives d'analyse :

Le cadre-référence de la présente étude repose sur des travaux pionniers comme ceux de Gitlin et Gamson aux Etats-Unis, d'Eliot et Alison en Grande-Bretagne, et de Champagne en France. Ces éminents théoriciens se sont intéressés à étudier la question du rapport entre médias et mouvements sociaux⁽¹⁰⁾, ils arrivent à rendre cette dimension des mouvements sociaux explicite à travers des études approfondies de plusieurs mouvements. Ces théoriciens retrouvent de nouvelles pistes pour comprendre les mouvements sociaux et fournissent des éléments de réponse qui dépassent complètement les paradigmes et les théories classiques.

Le renouvellement des cadres conceptuels fut donc installé, on développe alors une perspective d'analyse plus pertinente dépassant les hypothèses de la théorie des mouvements sociaux qui s'est « essentiellement focalisée sur des questions relatives aux valeurs, aux identités collectives des groupes mobilisés, à la nature de revendications, moins sur les interactions avec les médias ou les pouvoirs publics »⁽¹¹⁾.

Ces contributions servent à développer toute une vision sur la sociologie du journalisme et permettent d'inscrire des nouvelles

démarches fondées sur les faits d'interactions et d'interdépendances des mouvements sociaux. Les affirmations sur le statut des médias dans les trois phases des mouvements sociaux (avant, pendant et après le mouvement) se confirmaient de plus en plus après les années quatre-vingts et l'étude de Ted Gitlin consacré au SDS américain aux années soixante fut désormais l'une des majeures contributions structurantes dans la matière.

A savoir, l'étude de Gitlin avait pour objet d'étudier l'évolution des relations entre le mouvement social initié par l'organisation étudiante de la gauche radicale en Amérique SDS (Students for democratic society) et les médias. C'était un mouvement intéressant qui s'orientait vers une réflexion théorique sur les possibilités de changement radical de la société américaine, un mouvement également qui s'engageait dans la mobilisation contre la guerre de Viêt-Nam⁽¹²⁾.

Cette étude a illustré parfaitement la capacité des médias en matière de légitimation d'un mouvement et leurs pouvoirs de le rendre visible, fort ou même de l'affaiblir. Elle a illustré au même temps l'impacte d'accompagnement des mouvements sociaux et également ses empreintes irréfutables dans l'attribution d'une image représentative et dans la promotion de cette image.

S'ajoute à ce cadre théorique référentiel la célèbre théorie d' « Agenda Setting » qui nous a fourni d'autres éléments d'éclairages plus pratiques. La théorie représente pour cette recherche le pilier

d'élaboration des indices de validation de l'hypothèse. Ces indices peuvent être rapportés comme suit :

- Place réservée à l'objet d'étude (surface et lieu de parution du contenu médiatique).
- Techniques de mise en valeur des informations relatives à l'objet d'étude.
- Nombres de parution.
- Les genres journalistiques utilisés.
- Distinction entre fait et commentaire.
- Respect de la réalité et la reconstruction impartiale de l'information.

2- Résultats et recommandations :

L'étude a abouti à la validation de l'hypothèse. On s'est rendu compte que le journal traitait avec beaucoup d'émotion toutes les informations relatives au match ou plus encore un traitement émotionnel des informations relatives aux deux pays (Égypte-Algérie).

L'émotion peut être repérée à travers les mots trop forts employés par le journal dont les titres en témoignent, entre autres, « la guerre des buffles s'enflamme », « N'appréhendez pas les fanatiques », « la rencontre politique », « la rencontre de la haine », « Le sang algérien est chère », « première victime pour les verts ».

L'émotion est repérable également à travers le traitement des articles qui n'obéissaient pas au principe journalistique fondé sur la séparation entre fait et commentaire, on constate que l'avis du rédacteur est toujours prédominant dans l'article et que les faits ne sont pas rapportés avec partialité, ce qui met en question la crédibilité et l'objectivité des informations et nous pousse à dire qu'il existe des intentions de mettre des doses d'émotion dans les articles.

S'ajoute à cela l'absence d'une distance critique entre les faits et leurs interprétations et un sur- traitement du sujet. On observe dans ce cas que tout les informations sur les Egyptiens demeurent désormais importantes. Les chiffres regroupés par l'étude nous montrent que le journal attribuait une importance exagéré au match, et montrent également la volonté du journal de rendre l'événement le premier événement médiatique avant même le déroulement du match et qui s'inscrivait bien évident dans les mêmes phases qualificatives. Sur un ensemble de 18 numéros étudiés dans le mois qui précédait le match entre les deux pays, on compte 13 unes qui lui sont consacrées. Concernant les lieux de parution sur les pages, on observe d'abord que la moyenne des pages consacrés au match dépasse quatre pages par jour, et on trouve les informations sur le match principalement dans les pages sportives mais également dans les autres pages.

On s'est rendu compte que les techniques de mis en valeur de l'objet de l'étude se manifestaient par les unes, les images émotionnelles comme celle sur la une du journal apparu le 14-10-

2009, le traitement intense des informations relatives au sujet, le nombre de pages qui lui sont consacrés, les manchettes et les titres, et aussi le style rédactionnel.

Il reste à mentionner que le 11 octobre 2009 est le premier jour de tout un processus d'évènementialisation médiatique. Ce jour là, le journal s'intéressa au match avant de jouer un autre match décisif et aussi important et qui n'a pas connu le même traitement.

En conséquence, le large public recevait quotidiennement des doses émotionnelles par le journal mais aussi par d'autres médias. Donc, les pressions étaient au rendez- vous, les espérances et les attentes étaient grandioses, et bien entendu les résultats devront impérativement être à l'auteur. Mais au-delà de ces résultats, les relations entre deux peuples, entre deux Etats, entre deux pays ayant des liens fraternels, se retrouvent en crise. Est ce que la vraie cause est le ballon ou le match ?

Même si on avoue qu'il existe des antécédents ou d'autres causes qui ont influençaient les relations entre les deux pays, il est nettement clair que la cause majeure de ce malaise, de cette crise, de ces conséquences consiste dans le traitement et le ressort médiatique qu'a pris l'événement.

Et en vu donc d'éviter la reproduction de telles conséquences, les recommandations que je préconise seront :

- L'organisation de campagnes informatives auprès du large public en vue de le sensibiliser et de lui faire acquérir une culture médiatique car il existe d'autres conséquences inaperçues et qui sont du même ressort négatif. Il faut donc œuvrer à créer et à consolider une culture de consommation des produits médiatiques.

- Insertion d'une matière ou au moins un chapitre au niveau des établissements scolaires qui aura une finalité de fournir aux enfants une éducation aux médias.

- Instauration d'une instance journalistique professionnelle indépendante qui aura pour mission de sensibiliser les médias, de leur offrir des consultations et de les contrôler éthiquement sans avoir une autorité directe sur eux afin d'éviter toute question relative à l'indépendance et à la liberté de la presse. Elle se contentera donc de prononcer son avis et le mettre à la disposition du grand public.

- Fournir plus d'effort afin de garantir la professionnalisation et la promotion du journalisme, et ceci peut être réalisé par plus de formation professionnelle.

Conclusion :

C'est vrai qu'on s'est rendu compte par la présente étude que les dérives du traitement médiatique par l'introduction des émotions et le non respect des codes de principes (manque de professionnalisme) et le sur-traitement des informations, ont des conséquences dangereuses et palpables sur nos sociétés et sur notre espace public.

Mais ce qu'il faut craindre le plus, se sont les autres événements événementialisés avec d'autres conséquences souvent inaperçues. On communique par les médias des valeurs, des modes de vie et énormément de choses auxquelles on n'attribue pas souvent d'importance et pourtant, elles ont des conséquences très graves.

C'est pour ça, je pense, qu'il est toujours important de développer les études des médias et de faire évoluer ces métiers pour pouvoir servir l'intérêt public car les médias sont des armes à double tranchant, il faut œuvrer toujours à les mettre sur le droit chemin (de la professionnalisation) sinon on risque de ne récolter que les inconvénients. C'est que le traitement médiatique de l'information joue un rôle hyper- important dans la transcription de la réalité et la transmission des idées et des informations et même des réactions.

❖ **Références bibliographiques**

- (1) Jean-Michel Salaün. **Les sciences de l'information en question**. In: Réseaux. N58. Volume 11. 1993. P15.
- (2) Patrick Charaudeau. **Les médias et l'information**. Institut national de l'audiovisuel. 1^{ère} édition. Edition « De Bpeck université ». Bruxelles. 2005. p9.
- (3) Beatriz Padilla Villarreal. **L'agenda médiatique et la construction sociale de l'incertitude**. Magasine de la communication de crise. Observatoire international des crises. 2007. p3.
- (4) Guy Lochard. **Genres rédactionnels et appréhension de l'événement Médiatique**. In revue: Réseaux. 1996. volume 14 n°76. p89.
- (5) Ibid. p89.
- (6) Pacrick Charaudeau. Op. cit. p12.
- (7) **Secrétariat d'Etat auprès du premier ministre chargé de la communication**. Le livre de la communication. 2009. p46.
- (8) Ibid. p46.
- (9) Mark Raboy. **Crise des médias**, crise de société. In : revue de communication. Volume14. N01. 1993. p100.
- (10) Erik Neveu. **Médias, mouvements sociaux**, espace public. In : Réseaux. Volume17. N98. 1999. p21.
- (11) Ibid. p22.
- (12) Ibid. p25.